

اثنتا عشرة مسألة تبين أنّ المسيحيّة حق

دليلُ الدّفاع عن الإيمان المسيحيّ

اثنى عشرة مسألة تبين أنّ المسيحيّة حق

دليلُ الدّفاع عن الإيمان المسيحيّ

نورمان ل. جايسلر

Twelve Points That Show Christianity Is True

A Handbook on Defending The Christian Faith

Norman L. Geisler

Copyright © 2016 Norm Geisler International Ministries. NGIM.org. All rights reserved.

NGIM gives permission for this electronic book file to be shared freely so long as no changes are made to its content and the file is shared in its entirety.

تجيز مؤسسة NGIM مشاركة هذا الكتاب الإلكتروني بحرية بشرط عدم إجراء أي تغييرات في محتواه، ومشاركة كامل الملف.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواءً أكانت إلكترونية أو آلية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي مسبق من المؤلف أو الناشر.



شكر وتقدير

إن إخلاص زوجتي الرائعة باربارا الدائم، التي أغنى وجودها حياتي، وكان لها فضل تحسين هذا الكتاب، وكل كتبتي. وأني لأشكر الله على وقوفها إلى جانبي لأكثر من نصف قرن.

المحتويات

	مقدمة
الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة	1
لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين	2
الله الواحد موجود	3
المعجزات ممكنة	4
المعجزات طريقة لتأكيد رسالة من الله	5
العهد الجديد نص موثوق	6
أعلن يسوع المسيح في العهد الجديد أنه الله	7
إعلان يسوع أنه الله تأكد بمجموعة فريدة من المعجزات	8
تبرهن بشكل فوق طبيعي أن يسوع هو الله الظاهر بالجسد	9
كل ما أكده يسوع أنه الحق، فهو حق	10
يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله	11
الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف كل ما يعارض هذا الحق الكتابي	12
ملحق: الحجة من الموجود	
صلاة الإيمان	
قائمة المصادر	
مصادر إضافية من تأليف الدكتور نورمان جايسلر	
معلومات إضافية	

مقدمة

قال يسوع: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ، وَالْحَقُّ، وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِئِي» (يوحنا 14: 6). وقد أضاف: «أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ». ولكن «الَّذِي لَا يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ الْخِرَافِ، بَلْ يَطْلُعُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَذَلِكَ سَارِقٌ وَلِصٌّ» (يوحنا 10: 1، 9). وإذ أشار الرَّسُولُ بولس إلى ذلك، أَكَّدَ «أَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهُ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (1 تيموثاوس 2: 5). وأعلن بطرس: «وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَّاصُ. لِأَنَّ لَيْسَ اسْمَ آخَرَ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (أعمال 4: 12).

ويجد الكثير من الناس صعوبةً في تقبل هذه الدعاوي لأنها تبدو صعبة التصديق. ففي سوق الأفكار الراهنة يوجد الكثير من المدعين الذين يقولون عن أنفسهم أنهم أصحاب حقيقة. ونبي الإسلام محمد صرح أنه آخر الأنبياء، وقدم القرآن على أنه كلمة الله الأخيرة. والملايين يعتقدون أن بوذا هو المستنير الأوحى حقاً. وكان كونفوشيوس يعتقد أنه اكتشف الطريق للحكمة. ويؤكد الهندوس أن كريشنا هو تجسد الله للبشر. وإضافة لذلك، ثمة الآلاف من الفرق والطوائف التي تدعي أنها قنوات تواصل مع الله. وكل هذه المعطيات تجعل المرء يفهم سبب تردد أجيالنا لتقبل دعوى المسيح الفريدة. إضافة إلى ذلك، فإن موجة الإلحاد التي تعلن أن لا إله على الإطلاق. كما يتزايد عدد اللادريين الذين لا يعرفون إن كان ثمة إله، والريبيون الذين يدفعوننا للشك في وجود مثل هذه القوى. إذًا، فمن هو على صواب؟ وكيف يمكن للمرء أن يعرف الحق؟

في هذا العالم، على المرء أن يأخذ برأي سقراط، الذي يفيد أن الحياة غير المفحوصة لا تستحق أن تُعاش، بالتأكيد على أن الإيمان غير المفحوص لا يستحق التصديق. إذ لدينا مثلاً حالة أتباع ديفيد كورش، الذي ذهب مع سبعين من أتباعه الأوفياء للنار¹. وأكثر من سبعمئة تابع لجيم جونز انتحروا مع زعيم الفرقة في غيانا².

ونحن نعتقد أن الله إذ يريد الوصول إلى قلوبنا، لكنه بنفس الوقت لا يتجنب عقولنا. وقد كتب النبي اليهودي إشعياء: «هَلُمَّ نَتَحَاجَّ، يَقُولُ الرَّبُّ» (إشعياء 1: 18). وقد حث الرسول بطرس المسيحيين على أن يكونوا «مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمُجَابَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ» (1 بطرس 3: 15). ويسوع قال، «وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (يوحنا 8: 32). وقد أضاف يوحنا: «لَا تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلْ اْمْتَحِنُوا الْأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللَّهِ؟» (1 يوحنا 4: 1).

في الواقع، المسيح لم يطلب منا القفز إلى الإيمان في الظلام، بل طلب أن نأخذ خطوة الإيمان بالنور - في نور البرهان. فليس من عاقل من يغلق عينيه ويقفز داخل مصعد مظلم بدون أن يعرف أن ثمة أرضاً ستحملة.

¹ [ديفيد كورش (David Koresh) 1959 - 1993. قائد طائفة دينية أعلن عن نفسه أنه النبي الأخير. وقد عُثِرَ عليه وعلى سبعين من أتباعه محترقين].
² [جيم جونز (Jim Jones) 1931 - 1978. مؤسس جماعة دينية قامت سنة 1978 بعملية انتحار جماعية. وكان من ضمن المنتحرين أكثر من 200 طفل].

وبالمثل، فالمسيح لم يدعو الناس إلى أن يتخذوا قرارات طائشة بشأن هذه الحياة أو الحياة القادمة. بل، شدد على وجوب أن نحب الله من كل فكرنا كما من كل قلبنا (متى 22: 37). وحذر من «أنبياء كذبة» (متى 24: 11)، والدين المزيف (متى 23: 13 وما بعدها)، ومن الذين يضلون كثيرين.

ولهذا، من الضروري لمن يبحث عن الحق أن يطلب دليلاً معقولاً قبل أن يقرر أو تقرر قراراً حاسماً أو نهائياً. وهذا ما قام به بولس الرسول بالضبط «فَكَانَ يُكَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ [الكنيس]... [و] فِي السُّوقِ... قَابِلَهُ قَوْمٌ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْأَبِيكُورِيِّينَ وَالرَّوَاقِيِّينَ» (الأعمال 17: 17 - 18). وقد عاد ذلك بنتائج مثمرة، إذ «اقتنع قَوْمٌ مِنْهُمْ» (أعمال 17: 4)، بمن فيهم فلاسفة هم ديونيسيوس الأريوباغي، وامرأة اسمها دامرس وأخرون (أعمال 17: 34).

وها نحن في نفس الروح ندعو الملحد، واللاأدري، والريبي، وأي شخص آخر غير المسيحي إلى فحص الدليل على الإيمان المسيحي بنفسه. ونشجع كل شخص على النظر بتدقيق وعقل منفتح إلى الأسس المنطقية التي نوردها للتدليل على أن يسوع المسيح هو الطريق، والحق، والحياة، وأنه هو الطريق الوحيد إلى الله الأب.

وسنقوم بعرض برهاننا في اثني عشر فصلاً، تركز بعضها على البعض منطقياً. والفصل الأول يحتوي على الأساس المتين الذي يبني عليه الفصل الثاني، وهكذا، فكل فصل يؤسس لما بعده. وخاتمة كل فصل هي مقدمة منطقية للفصل/ الفصول اللاحقة. ونبدأ بحثنا عن الحق من القاعدة الأساس بفحص إن كان ثمة شيء هو الحق، ونسير قدماً خطوة خطوة، وفصلاً فصلاً، للنظر إن كانت المسيحية صحيحة، وإنجيل المسيح هو الطريق الوحيد للخلاص كما تقول المسيحية.

أهلاً بكم على متن الرحلة!

موجز الفصل: الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة	المسائل الاثني عشر
<ul style="list-style-type: none"> ● ثمة عالم فعلي ● الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة ● ما هو الحق؟ ● إخفاق المذهب الشكي ● فشل اللاأدرية ● ماذا نعرف؟ 	<ol style="list-style-type: none"> 1. الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة 2. لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين 3. الله الواحد موجود 4. المعجزات ممكنة 5. يمكن أن تأتي المعجزات لتأكيد رسالة من الله
<p>ملخص الفصل</p> <p>ثمة واقع، ويمكننا معرفته. أنا أعرف أنني أنا موجود. وأعرف أن العالم موجود خارجي. وأعلم أن آخرين موجودون. وأعلم أيضاً أن قوانين المنطق حق. وأعلم أن عكس الصدق هو زيف. وأعلم أيضاً أن الشكيين واللاأدريين خاطئون. وأنا على يقين أنه بوسعنا أن نعرف أشياء كثيرة. وكما سنرى لاحقاً (في الفصل 3)، نستطيع أن نعلم إن كان الله الواحد موجوداً، وإن كانت المعجزات ممكنة (في الفصل 4)، وإن كان يسوع ابن الله (في الفصلين 7 و8). وباختصار، بوسعنا أن نعرف إن كانت المسيحية صحيحة.</p>	<ol style="list-style-type: none"> 6. العهد الجديد نص موثوق 7. أعلن يسوع المسيح في العهد الجديد أنه الله 8. إعلان يسوع أنه الله تأكد بمجموعة فريدة من المعجزات 9. بهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد 10. كل ما أكده يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق 11. يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله 12. إذًا، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي

1 الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة

إن نقطة الانطلاق في البحث عن الحقيقة يجب تكون العالم الفعلي. فالحقيقة متطابقة مع الواقع. وبالتالي، لأجل معرفة أن كان الخبر صادقاً فعلاً، لا بد أن يكون لدينا موضوع واقعي معين يخص هذا الخبر عن الحقيقة.³ فجملة «أنا أكتب على طولة مكتب بنية» صحيحة لأنه يوجد في الواقع مكتب بني أكتب عليه. ونقطة الانطلاق في البحث عن الحقيقة هي العالم الحقيقي. وبالتأكيد ثمة بعض الشكيين، الذين يرفضون وجود عالم حقيقي فعلاً وعلى ذلك، يجب أن نبدأ ببيان أنه يوجد شيء حقيقي.

يوجد عالم حقيقي

إن وجود شيء حقيقي أمر لا يمكن نفيه على الإطلاق. مثلاً، أنا موجود. ولكي أنفي وجودي، فيجب في هذا الحال أن أثبت أني «لست على قيد الحياة». ولكن لكي أقوم بذلك، فيجب أن أكون على قيد الحياة. وبما أن وجودي هو أمر لا يمكن نفيه فعلياً. فينتأى من ذلك أنه يوجد شيء حقيقي موجود فعلياً، هو: أنا موجود.

والسؤال، هل بوسعنا أن نعرف إن كان يوجد شيء آخر موجود؟ نعم، يمكننا أن نعرف. وإلا، كيف لنا أن نقرأ هذا الكتاب؟ إلا إن رغبتنا في نفي جميع حواسنا، وبكل حال، ثمة عالم خارج ذاتنا نحن. ويستحيل أن ننفي أي شيء آخر موجود لسببين:

أولاً، لا يمكن أن يكون كل شيء وهمياً لأنه كيف يمكن أن نعرف ما هو غير الحقيقي إن لم يكن لدينا خلفية من الواقع الذي يمكن أن نعرف به ما ليس حقيقياً.

ثانياً، المرء الربيبي، الذي يطالبنا بعدم تصديق حواسنا، يناقض نفسه لأنه يتوقع أن نصدق حواسنا عندما نسمع لمحاضراته ونقرأ ما يكتبه!

إذاً، فثمة عالم حقيقي، ولا يمكن لنا أن نرفضه، بدون على الأقل نفترضه ضمناً.

³ بالطبع يوجد حقيقة مجردة، مثل الرياضيات، وبنى ذهنية صرفة، ولكنها لا تخبرنا شيئاً عن العالم الحقيقي كما هو، بل حول الاحتمالات فحسب. بالتأكيد توجد الإنشاءات المنطقية، التي يمكن أن تطبق على العالم الحقيقي. فمثلاً إذ أضفنا 2 إلى 3 يصبح لدينا 5 تجريبياً، وبالتالي قلما رصاص + قلما رصاص، يعطينا أربع أقلام رصاص فعلياً.

الحقيقة حول الوقع قابلة للمعرفة

والسؤال: هل يمكن لنا أن نعرف الحقيقة بشأن العالم الواقعي؟ نعم، فليس بإمكاننا نفيه. فأولئك الذين يقولون إننا لا نقدر أن نعرف أي شيء حقيقي عن العالم الفعلي يعتقدون أنهم يعرفون الحقيقة عن العالم الفعلي. ومن هنا، فتصريحاتهم هي هزيمة لأنفسهم. فعندما يعلن الربوبي أنه لا يمكن معرفة أي حقيقة عن العالم الواقعي، فهذا التصريح بمثابة حقيقة بخصوص هذا العالم الواقعي. وبالمثل، أي تصريح يفيد أن الواقع يقع خارج نطاق قدرتنا على معرفته، لهو تصريح حول الواقع الذي يدعون أنه غير حقيقي. فعلى سبيل المثال، تقول بوذية الزن، أننا لن نعرف التاو (الحقيقة المطلقة). وعندما يقول البوذيون ذلك، يصرحون بشأن التاو الذي يدعون أننا غير قادرين عن الإدلاء ببيانات عنه. ومثل هذا الكلام هزيمة لأنفسهم لأن تصريحهم يجب أن يكون خاطئاً لكي يكون صائباً. وهذا بدون شك هزيمة ذاتية.

ويسعى آخرون لتفادي معرفة الواقع، فيقعون في نفس الفخ. فعلى سبيل المثال، يدعي البعض أنه ليس بإمكاننا أن نعرف الحقيقة الإلهية (الله) لأن الله غير متناهٍ. وبالتالي، فنحن نبقى جاهلين بشأنه. وهذا الأمر عرضة لسلسلة إشكاليات. لأنه يفترض عن خطأ أنه لكي نعرف الله، فيجب أن تكون معرفتنا كاملة عنه. ولكن هذا ليس الحال، إذ يمكننا أن نفهمه بدون أن ندركه بشكل كلي. مثل أن نقبض على حبل طويل بدون أن نرى أياً من نهايتيه، وبإمكاننا أن نفهم الله الذي هو بدون حدود بدون أن نفهم كل شيء عنه. إن المعرفة المنقوصة لا تعني عدم المعرفة. في الواقع، لا يمكن أن نعرف إنها منقوصة (غير كاملة) إن لم يكن لدينا فكرة عن الكمال. وبهذا، فالعالم الحقيقي قابل للمعرفة. ولإنكار هذا الأمر يجب معرفة هذا الأمر.

وبهذا، يمكننا أن نعرف أشياءً عديدة. نعرف أننا موجودون. نعرف أن ثمة عالماً حقيقياً. نعرف أن شيئاً ما لا يمكن أن يكون موجوداً وغير موجود بنفس الوقت. ونعرف أن بعض الأشياء تتغير وأشياء كثيرة أخرى (انظر الفصل الثالث فيما بعد).

ما هي الحقيقة؟

ولكن ما هي الحقيقة؟ الحقيقة هي ما تتطابق مع الواقع. الحقيقة تطابق موضوعها. إذا قلت: «يوجد قطعان معدنيتان في جيبي»، فهذا الخبر حقيقة لأنه يوجد فعلياً قطعان معدنيتان في جيبي. وهذا الخبر يطابق الحقيقة. الحقيقة أن تقول الشيء كما هو موجود.

ما هو الزيف؟ ألا تقول الشيء كما هو. هو خبر عن أمر لا يتطابق مع الواقع. وبهذا، فالحقيقة هي ما تتطابق مع الواقع، والكذب ليس كذلك. ولهذا تعشل الربوبية واللاأدرية كلياً لأن ثمة أشياء كثيرة يمكن أن نعرفها.⁴

⁴ See Norman L. Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics* [hereafter *BECA*], "Truth."

الريبية تفشل

إن الريبية واللاأدرية خاطئتان. فالريبي الذي يقول إنه يشك في كل شيء. لكنه لا يشك في شكّه. ولا لا يرتاب بريبيته. وكما أظهر الفيلسوف الشهير رينيه ديكارت،⁵ كلما ازددت شكًا، كلما كنت متأكدًا من شكك. وكلما غدوت أكثر يقيناً أنك منخرطاً في الشك، كلما أصبحت أكثر يقينية أنك موجود. لأنه ليس بوسعك أن تشك إن لم تكن موجوداً. فيجب أن تكون موجوداً لتقدر على فعل الشك. وبهذا، فالشك يؤدي فعلياً إلى اليقينية بخصوص الواقع - الواقع أنك موجود.

اللاأدرية تفشل

لقد قال الفيلسوف إيمانويل كانط إنه يجب أن نبقى لأدريين بخصوص الحقيقة المطلقة.⁶ ولكنه لم يكن لأدرياً بخصوص اللاأدرية. فهو ادّعى معرفة عدم قدرته على معرفة الواقع نفسه. ولكن الدعوى نفسها التي تفيد أنني أعرف عدم قدرتي على معرفة الواقع هي نفسها دعوى لمعرفة شيء عن الواقع. من الناحية العملية، لا يمكن أن نجد طريقة لنفي قدرتنا على معرفة الواقع بدون أن نعرفه.⁷

ماذا نعرف

خلاصة القول، يوجد واقع، ويمكننا أن نعرفه: أعرف أنني موجود. أعرف أن العالم موجود خارجي. أعلم أن آخرين موجودون. وأعلم أيضاً أن قوانين المنطق صحيحة. وأعلم أن عكس الصحيح زيفاً (انظر الفصل 2 أدناه). أعرف أن الريبيين واللاأدريين على خطأ. وأعرف أنه بوسعنا أن ندرك أشياء كثيرة⁸. وكما سنجد لاحقاً (في الفصل 3)، بإمكاننا أن نعلم إن كان الله الواحد موجوداً، وإن كانت المعجزات ممكنة (في الفصل 4)، وإن كان يسوع ابن الله (في الفصل 7 و8). باختصار، نستطيع أن نتحقق إن كانت المسيحية صحيحة. فدعونا نبدأ في فحص هذه الإمكانيات من خلال النظر إلى الفكرة الأساسية، أي، أن عكس الصحيح هو مزيف.

⁵ René Descartes, *Meditations on the First Philosophy*, Meditation I.

⁶ Immanuel Kant, *The Critique of Pure Reason*.

⁷ See Norman L. Geisler, *Christian Apologetics*, chapter 1.

⁸ See Jay Budziszewski, *What We Cannot Not Know*.

موجز الفصل: لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين	المسائل الاثني عشر
<ul style="list-style-type: none"> • النتيجة المنطقية لقانون عدم التعارض • لا يمكن لكل الآراء أن تكون صحيحة • يمكن لدين أن يكون صحيحاً • يمكن لدين آخر أن يكون صحيحاً في مسائل مختلفة • الله والمنطق • قوانين المنطق تنطبق على الله • هل الله خاضع للمنطق؟ 	<ol style="list-style-type: none"> 1. الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة 2. لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين 3. إنها حقيقة أن الله الواحد موجود 4. المعجزات ممكنة 5. يرتبط حدوث المعجزات بدعوى صادقة تعلن حق الله عبر رسل الله 6. العهد الجديد نص موثوق 7. كما شهد العهد الجديد، فيسوع المسيح أعلن أنه الله
<p>ملخص الفصل</p> <p>إن الحقيقة تتطابق مع الواقع. وحتى انكار هذه الدعوى يتطابق مع الواقع. إضافة لذلك، ليس بوسعنا أن ننفي معرفتنا بالواقع بدون أن نعرف شيئاً عنه. وبالمثل، فعكس الصحيح هو مزيف. ولا يمكن لكل الآراء أن تكون صحيحة. فعلى الأقل ثمة رؤية واحدة صحيحة من أصل اثنتين متعارضتين. ومثلاً، إما إن الله موجود أو غير موجود. فإن كان خاطئاً أن الله ليس موجوداً، فهذا يستتبع أنه موجود. وبالمثل، من المحتمل أن ديانة واحدة صحيحة في كل دعاويها الأساسية، فإن صح ذلك، فيعني أن أي ديانة أخرى تحتوي على ما يخالف هذه الحقائق الأساسية يجعلها ديانة باطلة.</p>	<ol style="list-style-type: none"> 8. إعلان يسوع أنه الله تؤكد بمجموعة فريدة من المعجزات 9. وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد 10. كل ما أكده يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق 11. يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله 12. إذاً، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي

2 لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين

فيما يلي القوانين الأساسية للفكر. والقانون الأساسي للفكر هو قانون عدم التناقض. الذي ينص أنه لا يمكن لشيء أن يكون صحيحاً وخاطئاً في نفس الوقت وفي نفس المعنى. وكذلك ثمة قانونان آخران مثله. وبالإجمال فقوانين الفكر هي:

- قانون عدم التناقض: «أ» ليست لا «أ».
- قانون الهوية: «أ» تكون «أ».
- قانون الثالث المحذوف: إما «أ» أو لا «أ» (وليس كلاهما).

وعندما يتعلق الأمر بالله، فهذه القوانين تخبرنا أشياء هامة. مثلاً، تظهر لنا:

- الله هو الله.
- الله ليس هو لا الله.
- إما الله أو ليس الله.

ونحن نعلم أن هذه القوانين صحيحة لأنها بديهية، لأن النعت يقول الشيء نفسه عن المنعوت. وأمثلة أخرى عن جمل خبرية ظاهرة بنفسها:

- كل المثلثات لها ثلاثة أضلاع.
- كل الدوائر دائرية.
- كل الأزواج هم رجال متزوجون.

بالإضافة إلى أنها بديهية، نعلم أن قوانين الفكر الثلاثة صحيحة ولا يمكن نفيها بدون أن نثبتها. فمثلاً، لا نستطيع أن ننفي قانون عدم التناقض بدون استخدام قانون عدم التناقض. لأنه لو أكدنا «أنّ شيئاً يمكن أن يكون صحيحاً وخاطئاً في نفس الوقت، وبنفس المعنى»، فهذه الجملة لا معنى لها، ولا يمكن أن نفترض أنها بدون تناقض (وعكسها لا يمكن أن يكون صحيحاً).

أنه كالتقول «إن المتعارضين يمكن أن يكونا كلاهما صحيحين»، ولكن عكس هذا التصريح لا يمكن أن يكون صحيحاً أيضاً.

والفيلسوف ابن سينا الذي يعود للقرون الوسطى، كان لديه طريقة عملية بشكل فظ لبلوغ هذه النقطة بشكل فعال. إذ قال إن أي شخص ينفي قانون عدم التعارض يجب أن يبرح ضرباً ويحرق حتى يعترف أنه وهو يتعرض للضرب ليس مثل الذي لا يتعرض للضرب، والذي يُحرق ليس مثل الذي لا يُحرق!

نتيجة قانون عدم التناقض

إن نتائج قانون عدم التناقض بسيطة ولكنها فعالة: فالنقيضان لا يمكن أن يكون كلاهما على صواب. مثلاً:

- إن كان وجود الله صحيحاً، فخاطئاً أن الله ليس موجود.
- إن كانت الألوهية صحيحة، فالإلحاد مزيف (والعكس بالعكس).

وبالمثل:

- إن كان صحيحاً أن الله ليس موجوداً، فالألوهية خاطئة لأنه الله ليس موجوداً.
- وإن كان الإلحاد صحيحاً، فإن الألوهية خاطئة.

وهذا ينطبق على أي شيء آخر في العالم. مثلاً:

- إن كانت المسيحية صحيحة، فأى عقيدة تعارض المسيحية خاطئة.
- إن كان الإسلام صحيحاً، فأى عقيدة تعارض الإسلام خاطئة.

لا يمكن لكل الآراء أن تكون صحيحة

باختصار، لا يمكن لكل الآراء أن تكون صحيحة. لا يمكن لرأيين متعارضين أن يكون كلاهما صحيحاً. وبما أنّ الأديان المختلفة لديها نظرات مختلفة حول الله، الخلق، البشر، المسيح، الخلاص، فينتج عن هذا أن الآراء المتعارضة لمختلف الأديان لا يمكن أن تكون كلها صحيحة. فمثلاً، أغلب المؤمنين يعتقدون بحياة بعد الموت، وأغلب الملاحدة لا يعتقدون ذلك. فلا يمكن أن يكون كلا الرأيين صحيحين. إحداهما يجب أن يكون خاطئاً. وأديان كثيرة تعتقد بتناسخ الأرواح،⁹ وبعضها لا يؤمن بذلك. فلا يمكن لكلاهما أن يكون صحيحين. بعض الأديان تؤمن بالله الواحد (التوحيد)، وأخرى تؤمن بتعدد الإلهة. ولا يمكن لكلاهما أن يكونا صحيحين.

⁹ See Norman L. Geisler, *The Reincarnation Sensation*.

وكذلك بعض الأديان ترى أن الله سرمدى (غير محدود)، وأخرى تقول إنه محدود (له حدود). ومرة أخرى أحدهما على خطأ.

باختصار، إن قانون عدم التناقض يزيل الاعتقاد العام في التعدد الدينى¹⁰ بأكثر من ديانة واحدة، الذى يعلن إن الأديان صحيحة في عقائدها المركزية، وإن لم تكن جميعها صحيحة، فأغلبها صحيح. والحقيقة هي أن أغلب الأديان لديها نظرات مختلفة حول العقائد المركزية، وهي متعارضة فيستحيل أن تكون جميع الأديان صحيحة.

يمكن لدين واحد أن يكون حقاً

بهذا ينتج من قانون عدم التناقض أن ديناً واحداً يمكن أن يكون صحيحاً. لأنه لا يمكن لكل الآراء أن تكون خاطئة. إما الله موجود أو غير موجود. فإن كان خطأً أن الله غير موجود، يعني أن الصحيح هو أن الله موجود.

أيضاً، إن كان الله موجوداً، فإما أنه خلق العالم، أو لم يخلقه. فإن كان من الخطأ القول إن العالم غير مخلوق، فيكون صحيحاً القول إن العالم مخلوق. بالإضافة إلى ذلك، إن كان الله موجوداً، فإما أنه قادر على صنع العجائب أو غير قادر. فإن كان نفي المعجزات أمراً غير صحيح، فيصبح الحق هو أن المعجزات موجودة.

وبالمثل، فإما إن ابن الله قد أصبح إنساناً، أو لم يفعل. فإن كان من الخطأ أنه لم يصبح إنساناً، فمن الصحيح أنه أصبح إنساناً، وهكذا.

وبما أن المتعارضين لا يمكن أن يكون كلاهما كاذباً، ذلك يعني أن إحدهما صحيح. وبما الأديان المختلفة لديها نظرات متعارضة بشأن العقائد المصيرية حول الله، البشر، الخلق، المعجزات، الحياة الآخرة، وبالتالي، إن ديناً واحداً قد يكون حقاً بخصوص جميع التعاليم الأساسية، وبهذا، فجميع الآراء الأخرى المخالفة هي زائفة.

يمكن لأديان أخرى أن تكون صحيحة بخصوص مسائل مختلفة

إذاً، إن كان دين صحيحاً في تعاليم أساسية، فإن جميع العقائد الأخرى زائفة إن كانت معارضة لهذه الحقائق. مع أن هذا لا يعني أن الأديان هي زائفة بخصوص كل شيء. فعلى سبيل المثال، أديان كثيرة (اليهودية، المسيحية، الإسلام، والكونفوشية) تؤمن بشكل من الأشكال بالقاعدة الذهبية. ويمكن لهذه الأديان أن تكون صائبة بخصوص هذا الأمر، وحتى لو لم تكن على حق بشأن رؤيتها عن وجود أقتنوم واحد في الله (الإسلام)، أو ثلاثة أقتنيم (المسيحية). من الجلي، أن إحدى هذه الأديان صحيحة، والأخرى ليست كذلك بهذا الشأن. وبالمثل، فلا

¹⁰ See Geisler, *BECA*, "Pluralism, Religious."

يمكن أن تكون جميعها صحيحة بشأن كون يسوع هو الله الظاهر في الجسد (المسيحية) أو إنه ليس كذلك (اليهودية والإسلام).

بكلمات أخرى، حتى لو كان دين واحد على حق في كل التعاليم، فثمة إمكانية كبيرة أن حقائق عديدة موجودة في أديان أخرى بخصوص تعاليم أخرى. يتطلب قانون عدم التعارض أنه إن كان دين واحد هو الدين الحق (بمعنى، إنه على حق في جميع التعاليم الرئيسية)، فإن جميع التعاليم التي تعارض ذلك من أديان أخرى تكون خاطئة. ولكن ذلك لا يعني انعدام وجود شيء صحيح في أديان أخرى. فكل ما ينتج هو، إن كان الدين «س» هو الحق بشأن التعاليم (أ، ب، ج، د)، فإن كل ما يعارض: (أ، ب، ج، د) في دين آخر هو زائف.

الله والمنطق

وقبل أن نكمل، علينا أن نعالج مسألة هامة. إن كان الله موجوداً (انظر الفصل 3 يتبع)، فهل يجب أن يكون خاضعاً لقوانين المنطق؟ أو أن الله فوق المنطق؟ وما زال السؤال يُطرح حتى لو استبدلنا كلمة «الله» بـ «التاو»، أو «برهمان»، أو «الكل»، أو «القوة»، أو أي اسم آخر للمطلق. لأنه إما يوجد تاو أو لا يوجد.

قوانين المنطق تنطبق على الله

تعلن بوذية الزن¹¹ أن «التاو» فوق الحقيقة والزيف، أو الصواب والخطأ، أو أي من هذه الثنائيات أو التمايزات. وحتى بعض المؤمنين لديهم نظرات مشابهة يقولونها عن الله، إذ يقولون إنه يتعالى عن كل قوانين الخليفة، والمنطق إحدى هذه القوانين.

على كل حال، فهذا الموقف يناقض نفسه. فالقول إن المنطق لا ينطبق على الله هو في ذاته خبراً منطقياً (أي، غير متناقض) حول الله. وهو أن تقدم دعوى حق حول الله (التي تكون خلافها فاسدة)، ومع ذلك تتمسك بالقول إن ليس من حقيقة يمكن تقديمها عن الله التي فيها العكس زائفاً. لأنه عندما يعلن أحدهم أن التاو هو فوق مقولات الحق والخطأ فهذا التصريح خبر عن التاو. وبما أن عكس الصدق هو كذب، إذًا فإن التاويين يستعملون قانون عدم التناقض لنفي أن هذا القانون ينطبق على التاو.

وقد سعى مؤمنو بوذية الزن إلى تجنب الإشكالية بالقول إنهم لا يقدمون دعاوي حق عن الله. وقد قال آلان وات الذي اعتنق الزن إنه لا يوجد أي شيء في أي من كتبه التي دمجها لإقناع الآخرين باعتراف الزن يدعي أنها تحتوي على الحق. وعندما نسأله لماذا كتب كل هذه الكتب إذًا؟ فإنه يجيبنا، إن الطيور تطلق والمؤلفون يكتبون! باختصار، هو ينفي تقديم حقائق في كتبه، بل أنه كان يكتب لأن هذا ما يفعله المؤلفون!¹²

¹¹ See Geisler, BECA, "Zen Buddhism."

¹² Alan Watts, *The Book: On the Taboo against Knowing Who You Are*, 20.

وقدم سي إس لويس رداً ذكياً على هذه المناورة في سياق مختلف عما نحن فيه ولكنه ينطبق على حالتنا:

يمكنك أن تجادل شخصاً يقول: «الرز ضار»، ولكن لا يمكنك، ولا تحتاج إلى أن تجادل شخصاً يقول: «الرز ضار، ولكن لا أقول إن ذلك صحيح». ويظهر لي أن ذلك استسلام لقول إن الحقيقة لها مظهر وسيلة اعتمدت في اللحظة الأخيرة. فإن لم يدعوا معرفة أي حقيقة، ألا يكون حرياً بهم أن يحذرونا مسبقاً من هذا الواقعة؟ فحَقاً، من كل الكتب التي كتبوها... يحصل المرء على قناعة أنهم كانوا يدعون أنهم قدموا حساباً حقيقياً للأشياء. وهذا واقع ما يعلنونه غالباً بكل تأكيد. والدعوى يتم التنازل عنها فقط لدى مناقشة المسألة... وهي أزمة ضاغطة، ولكن عندما تنتهي الأزمة بخصوص هذه الدعوى، يتم العودة إليها تكتيكاً.¹³

خلاصة القول، إما أنهم يقدمون دعوى الحق حول التاو، أو لا. فإن كانوا يفعلون ذلك، فإنهم يناقضون أنفسهم لأنهم يدعون أنهم أصحاب الحقيقة المضادة للزيف (وهو الأمر الذي ينفونه). وإن لم يكونوا يقومون بهذا، فلماذا يبذلون جهدهم لإقناعنا بقبول التاو من خلال كتبهم ومحاضراتهم؟ أليس السعي إلى قبولنا بالتاو وترك إيماننا هو دعوى ضمنية تفيد أنهم على حق، وأن ما نؤمن به على باطل؟ بالتأكيد، فإن لم يكن ذلك مقصدهم، فعليهم أن يضعوا على أغلفة كتبهم: «ليس من صدق في هذا الكتاب. وأي شخص يريد أن يحصل على الحق، فليبحث عنه في مكان آخر. وعندما تشتري وتقرأ هذا الكتاب فإنك تهدر وقتاً ومالاً». وحقيقة أنهم لا يقدمون هذا التحذير، فذلك يدفعنا للاعتقاد أنهم يسعون إلى نأخذ كعك الزن وتتناوله أيضاً. وفي أعماقهم، يؤمنون حقاً أنهم اكتشفوا الحق ويريدون أن يقنعونا بالسير وراء خطواتهم. وهذا هو التناقض الذاتي بالضبط عندما يعلنون أن نظرتهم حقاً وهي مضادة للزيف ومع ذلك يصرون على أن قانون عدم التعارض لا ينطبق على التاو.

وبالمثل، هذا ينطبق على بعض المسيحيين المفعمين حماسة الذين يعتقدون أن الله يتعالى عن المنطق. نعم، إنه لمن الصحيح أن الله الواحد هو أعلى من قدرتنا على فهمه كلياً،¹⁴ ولكن، هذا الاعتقاد أن المنطق لا ينطبق على الله هو في ذاته تطبيق المنطق على الله. فالله مشتمل على المنطق. فطبيعته التي لا تتغير بوصفه الكائن العقلائي النهائي في الكون هو الأساس للمنطق. إذاً، فالله لم يخلق المنطق؛ بل هو المثال النهائي له. الكائن المتناسق، الكائن غير المتضارب المطابق لنفسه، وليس شيئاً آخر غير نفسه، ومبادئ المنطق عينها هي جزء من هويته الذاتية العقلانية.

هل الله خاضع للمنطق

فإن كان الله الواحد موجوداً، فهل خاضع للمنطق، أو المنطق خاضع لله؟ إن أفضل إجابة على ذلك هي أن المنطق جزء من طبيعة الله ذاتها بوصفه الكائن العقلائي. ذلك أن يكون الله خاضعاً للمنطق، فهو خاضع

¹³ C. S. Lewis, *Miracles*, 24.

¹⁴ يقول الكتاب المقدس: «مَا أَبْعَدَ أَحْكَامُهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقُهُ عَنِ الْاسْتِغْصَاءِ» (رومية 11: 33. قارن: التثنية 29: 29، وأفسس 3: 19).

لقوانينه الخاصة. كما أن الله هو الكائن الأخلاقي خاضع للقوانين الأخلاقية غير القابلة للتغير في طبيعته نفسها، بهذا، «لَا يُمَكِّنُ أَنَّ اللَّهَ يَكْذِبُ» (عبرانيين 6: 18)، لأنه من الاستحالة على الله أن يخرق قوانين عدم التعارض. وبالفعل، فباسم هذا الله الواحد، في تيموثاوس الأولى 6: 20، يتحدث بولس عن «مُخَالَفَاتِ الْعِلْمِ الْكَاذِبِ الْأَسْمِ».

إنه لحقيقة أن كل أقوالنا عن الله هي موضوع قوانين المنطق (وبهذا المعنى فالله موضوع المنطق)، وبذلك، فالله خاضع لقوانين طبيعته نفسها. بهذا، في ترتيب معرفتنا، فالله (أو الأدق، كلامنا عن الله) خاضع للمنطق. وفي واقع الوجود (واقعيًا)، المنطق خاضع لله لأنه قائم على أساس طبيعته نفسها العقلانية.

لنسمع المسألة بكاملها

الحقيقة هي ما تطابق الواقع. وحتى أن نفي هذه الدعاوي تتطابق مع الواقع. وعلاوة على ذلك، لا يمكننا أن ننفي أننا نعرف الواقع بدون أن نعرف شيئاً عنه. بالمثل، فإن عكس الصحيح هو خطأ. ولا يمكن لكل النظرات أن تكون صحيحة. فإن كانت نظرة على صواب، فخلافها كاذبة، وليست كل الآراء زائفة. فعلى الأقل ثمة نظرة من اثنتين متعارضتين صحيحة. فعلى سبيل المثال، إما الله موجود أو غير موجود. وإن كان كذباً عدم وجود الله، فيجب أن يكون وجوده حقاً. وبالمثل، من الممكن أن ديناً واحداً هو الحق في كل دعاويه الأساسية. وإذا كان ذلك صحيحاً، فأى شيء في دين آخر يتعارض مع هذه الحقائق الأساسية يجب أن يكون باطلاً.

<p>✓ وحدة الوجود: الكل في الله والله في الكل</p> <p>✓ الشرك: يوجد الكثير من الآلهة المحدودة في العالم</p> <p>• هل الله الواحد موجود؟</p> <p>✓ البرهان الكوني على وجود الله</p> <p>○ صيغ الحجة الأفقية (الكلام) على الله</p> <p>○ صيغة الحجة العمودية للبرهان الكوني على الله</p> <p>✓ البرهان الغائي على وجود الله</p> <p>○ المبدأ الأنثروبولوجي</p> <p>○ البرهان الغائي من علم الأحياء</p> <p>○ البرهان البيولوجي المستمد من تعقيدات محددة</p> <p>✓ البرهان الأخلاقي</p> <p>✓ البرهان من الحاجة الدينية</p> <p>✓ ردود على بعض الاعتراضات الهامة</p>	<p>المسائل الاثني عشر</p> <p>1. الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة</p> <p>2. لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين</p> <p>3. إنها حقيقة أن الله الواحد موجود</p> <p>4. المعجزات ممكنة</p> <p>5. يرتبط حدوث المعجزات بدعوى صادقة تعلن حق الله عبر رسل الله</p> <p>6. العهد الجديد نص موثوق</p> <p>7. كما شهد العهد الجديد، فيسوع المسيح أعلن أنه الله</p> <p>8. إعلان يسوع أنه الله تأكد بمجموعة فريدة من المعجزات</p> <p>9. وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد</p> <p>10. كل ما أكده يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق</p> <p>11. يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله</p> <p>12. إذًا، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي</p>
<p>ملخص الفصل</p> <p>تظهر مختلف البراهين على وجود الله أنه إله واحد، وليس متعددًا. ويجب أن يكون هذا الإله سرمدياً لأنه فوق العالم المتناهي الذي صنعه. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يكون شخصياً لأنه حكيم وأخلاقي، هو المصمم الذكي ومانح القانون الأخلاقي. كما أنه روحاني وفوق طبيعي لأنه فوق العالم الفيزيائي والطبيعي. ويمكنه أن يعمل المعجزات لأنه بالأصل قد صنع المعجزة الكبرى، وهي خلق العالم. وبهذا، فالدليل يشير إلى وجود إله واحد - سرمدى، ذكي، كامل، شخصي، وفوق طبيعي.</p>	<p>مسودة الفصل: إنها حقيقة أن الله الواحد موجود.</p> <p>• عن أي إله نتكلم؟</p> <p>✓ التوحيد: الله إله واحد سرمدى الذي خلق الكون</p> <p>✓ الربوبية: الله إله لاشخصي متناهٍ موجود، ولكن المعجزات غير موجودة</p> <p>✓ الإلوهية المحدودة: الله إله محدود موجود خارج العالم</p> <p>✓ الإلحاد: لا يوجد إله</p> <p>✓ وحدة الوجود: الله في الكل والكل في الله</p>

3 الله الواحد موجود

لا تتخطى هذه الفصل، فهو أحد أهم فصول الكتاب. وكل ما يعقب هذا الفصل متعلق به. فإما الله الواحد موجود، أو ليس موجوداً. إن لم يكن موجوداً، فالإلحاد (عدم وجود الله) حق. وإن كان موجوداً، فالإيمان بالله حق. وإن كان الإيمان بالله حق، فهذا يعني أن المسيحية قد تكون على حق. وإن لم يكن من إله، فالمسيحية لا يمكن أن تكون على حق بما أنها دين يؤمن بالإله.

عن أي إله نحن نتحدث؟

بما إنه يوجد آراء مختلفة عن الله، فعلينا أن نكون محددين حينما نتكلم عن الله. وبخلاف ذلك، لن يسعنا أن نعرف عن أي إله نتحدث عند السؤال عن إن كان الله موجوداً أو غير موجود. فالمسيحية هي إحدى الديانات التوحيدية الكبرى: اليهودية، والمسيحية، والإسلام. ونظرة التوحيد لله هي على تعارض مع كل النظرات الأخرى عن الله.

التوحيد: الله سرمدى شخصي وهو الذي خلق الكون

الله «هو» شخص، وليس «هو» لا شخصي. وبالمثل، إما الكون موجود منذ الأزل مع الله، أو إن الله موجود منذ الأزل. ويؤكد التوحيد أن الله أبدي، وأن للكون بداية. وإن الله خلقه. وهذا ما نقصده عندما نقول «الله»، أي الله الواحد.

والله الواحد يختلف عن العالم، مثل الرسام الذي يختلف عن اللوحة. الله خلق العالم، ولكنه لا يتطابق معه. واللوحة نتاج عقل الرسام. فهي من الرسام، ولكنها مختلفة عنه. وبالمثل، فالله هو الخالق، والكون صنع يديه.

وقد كان كثيراً من المفكرين الكبار، مؤمنين بالله. ومن بينهم القديس أغسطينوس، القديس أنسلم، والقديس توما الأكويني. وفي العالم المعاصر كان لايبينيتس مؤمناً،¹⁵ وفي عصرنا لدينا اسم واسع الشهرة هو سي. س. لويس. وبالطبع، فكل مفكري الأديان التوحيدية الكبرى كانوا مؤمنين بالله.

الربوبية: الله إله لا شخصي متناه موجود، ولكن المعجزات غير موجودة

¹⁵ [جوتفريد لايبينيتس (1646 - 1716): عالم موسوع ألماني كبير، كان فيلسوفاً وعالم طبيعة، وأحد أهم علماء الرياضيات].

ثمة اختلافان رئيسيان بين التوحيد والربوبية. الأول، الربوبية مثل التوحيد ولكنها بدون معجزات. بالنسبة للربوبي الله لا يعمل معجزات. والعالم الذي صنعه الله يسير وفق قوانينه الطبيعية. والأمر الثاني، وخلافاً للتوحيد، فالربوبي يرى أن الله لا يحكم العالم. فهو قد خلقه، ولكنه لا يحكم وجوده. فالكون بالنسبة للربوبية مكتفٍ بذاته.

مثل الكرة التي تُرمى بالهواء، فبالنسبة للربوبي العالم يستمر بنفسه بعد أن أوجده الله. وبالنسبة للتوحيدي، على العكس، الله لم يخلق العالم فحسب، ولكنه يمسك بزمام وجوده. ويقول الكتاب المقدس: «وَخَامِلُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ» (العبرانيين 1: 3). و«وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ» (كولوسي 1: 17).

ومن أبرز الربوبيين، فولتير، توماس بين، جيفرسون، وبنيامين فرانكلين. واليوم، فإن مفكرين كثر دخلوا في هذا الإطار وأصبحوا يؤمنون بالإله المحدود.

الألوهية المحددة: يوجد إله شخصي محدود خارج العالم

كان أفلاطون في العالم القديم أحد أشهر أنصار الألوهية المحدودة. فخلافاً لبعض المحدثين، كان أفلاطون يؤمن بسرمدية الكون، وأن الله لم يخلقه بل قام الله بتشكيله. ومن النماذج الحديثة لأتباع الألوهية المحدودة جون ستيوارت ميل وويليام جيمس. ومن المعاصرين لدينا الحبر كوشنر.

ومن وجهة نظر القائلين بالألوهية المحدودة، الله ليس مطلقاً (غير محدود). بل، الله محدود في القوة والكمال. وهم يرون أن نظرتهم هذه جاءت من واقع أن العالم ليس كاملاً، ولو كان الله كلي القدرة وكمال لكان خلق العالم كاملاً.

الإلحاد: لا يوجد إله قط

يعتقد الملاحدة بعدم وجود الله، سواء أكان شخصياً، أو لا شخصياً، مطلقاً أو محدوداً. ثمة الكون، وهذا هو الموجود. وفي قائمة الملاحدة المشهورين فريدريك نيتشه، سيغموند فرويد. واليوم ثمة ملحدان مشهوران على نطاق واسع هما: رينشارد دوكينز وكريستوفر هيتشينز.

يوجد عدة نظرات مترابطة نحتاج أن نصنفها. فالربوبيون يشكون بوجود الله. واللاأدريون لا يعرفون إن كان الله موجوداً، والملاحدة ينفون وجود الله. ولكن كلهم لا يؤمنون بوجود الله بالمعنى الواسع للكلمة، فهم ملحدون (أي: ليسوا مؤمنين بالله).

إن العالم المادي موجود، وهو كل شيء. كما وضّح كارل ساجان، «العالم هو كل شيء، كان من الأزل، وإلى الأبد سيبقى».¹⁶ فمنذ البدء ثمة مادة في حركة. وكل شيء، بما في ذلك «العقل»، هو إما مادي أو قابل للاختزال إليه.

¹⁶ Carl Sagan, *COSMOS*, 4.

وحدة الوجود: الله في الكل والكل في الله

بينما يقول الإلحاد إن كل شيء هو مادة، تؤكد وحدة الوجود على أن الكل هو العقل (أو الروح). والله هو الكل الموجود، والكل الموجود هو الله. وفي العالم القديم كان أفلاطون مؤمناً بوحدة الوجود. وبِنديكت سبينوزا من المحدثين المؤمنين بوحدة الوجود. وفي العالم المعاصر لدينا علماء مسيحيون، والكثير من جماعة العصر الجديد مثل ديباك تشوبرا. والكثير من الهندوس، وأتباع بوذية الزن هم مؤمنون بوحدة الوجود.

وثمة أشكال مختلفة لوحدة الوجود. وفي صيغتها الأكثر صرامة، مثل شانكرا الهندوسية، أو العلمية المسيحية، اتباعهما يرون أن الشرّ وهمّ. ويقول الإلحاد إن الشر حقيقي، وأن الله ليس كذلك، وفي وحدة الوجود تسلم بأن الله موجود، ولكن الشر ليس موجوداً.

وحدة الوجود: الكل في الله والله في الكل

قد يبدو أن وحدة الوجود تشابه وحدة الوجود، ولكن الحقيقية ليست كذلك. فوحدة الوجود تقول إن الله هو الكل، بينما تقول وحدة الوجود أن الله هو في الكل. فبالنسبة لأصحاب وحدة الوجود، الله له قطبان، الأول وراء العالم (القطب المحتمل) الآخر في العالم (القطب الفعلي). والقطب الفعلي متناه وفي تغيير مستمر. وهذه النظرة تُسمّى لاهوت الصيرورة.

والفيلسوف الإنجليزي، ألفرد نورث وايتهيد هو الأب الحديث لوحدة الوجود، وتلميذه، تشاليز هارتشورن الذي حمل التقليد في الولايات المتحدة، وتبعه شوبرت أوجدن، وجون كوب، ولويس فورد. وفي الأونة الأخيرة جريج بويد، وكلاك بنوك الذين تأثرو بشدة بلاهوت الصيرورة من خلال نظرة سموها التوحيد المفتوح (انظر كتاب بينوك، *Most Moved Mover*).

التعددية: يوجد الكثير من الآلهة المحدودة في العالم

خلافاً للموحدين، يقول المعدودون بوجود آلهة متعددة، وإن جميعها متناهية. وكذلك، هذه الآلهة لا تخلق العالم. بل هي في العالم، وليست وراء العالم.

وفي العالم القديم، كان المصريون، واليونان، والرومان متعددين. وفي الأزمنة الحديثة لدينا الويكا، وكثيرة من أتباع العصر الجديد، والمرمون الذين حافظوا على الشرك حياً.

هل الله الواحد موجود؟

باستثناء الهندوسية، التي في شكلها الرسمي لديها إله وحدوي الوجود (براهمان) وظهورات متناهية شخصية للإله، فإن كل النظرات السابقة عن الله متضاربة. وبهذا، يجب أن تكون إحدى هذه النظرات صحيحة والأخرى خاطئة. لأن الله لا يمكن أن يكون سرمدياً ومتناهيًا. ولا يمكن أن يكون إلهًا واحداً ومع ذلك متعددًا. كما أنه لا يمكن أن يكون الله فرداً ولا شخصياً. وبالمثل، إن كان الله موجود (التوحيد)، فالإلحاد لا يمكن أن يكون صحيحاً.

وبما أن المسيحية ديانة توحيدية، فالسؤال أمامنا هو: إن كان الله الواحد موجوداً. أي، هل ثمة شخص، أخلاقي، سرمدى خارج الكون، هو من خلق الكون؟ دعونا ننظر إلى الدليل عن الله الواحد.

البرهان الكوني على وجود الله

إن مفردة كوني (cosmological) مكونة من كون (universe)، وسبب (logos). وتعني تقديم علة لوجود الكون. وثمة صيغتان للبرهان الكوني: الأولى تعالج بداية الكون (الحجة الأفقية)، والثانية تعالج وجود الكون حالياً (الحجة العمودية).

أ. صيغ الحجة الأفقية (الكلام) 17 على الله

إن خطوط الحجة الأفقية على وجود الله بسيطة للغاية:

1. أي شيء له بداية، له بادئ (سبب).
2. للكون بداية.
3. إذاً، للكون بادئ (سبب).

المقدمة الأولى قائمة على المبدأ الأساسي للسببية: «لكل شيء علة». فلا شيء يأتي من لا شيء؛ فمثل ذلك لا يحدث قط. وحتى ديفيد هيوم الريبي أكد، «لم أقل قطّ بهذا الافتراض السخيف أنه يمكن لأي شيء أن يأتي بدون سبب: وكل ما اعتقد به هو أن اليقين الذي لدينا بخصوص زيف الافتراض لا يأتي من الحدس، ولا من الإثبات، بل من مصدر آخر».¹⁸

¹⁷ الكلام مفردة عربية. وقد قام فلاسفة عرب في القرون الوسطى بالدفاع عن هذه الحجة، وبالمثل، قام الفيلسوف المسيحي، بوناپتور. وأحد أقوى المدافعين عنها في حالياً نجده في كتاب ويليام إن غريغ، بعنوان: *The Kalam Cosmological Argument*.

¹⁸ David Hume, *Letters I*, 187.

المقدمة الثانية معززة بالبرهان العلمي والعقلي. علمياً، فالقانون الثاني للديناميكا الحرارية ينص على «أن في نظام مغلق (مثل الكون) فكمية الطاقة القابلة للاستهلاك في تناقص». باختصار، إن الطاقة القابلة للاستهلاك في الكون تُستهلك. وكما قال اللأدرى عالم الفيزياء الفضائي روبرت جاسترو، «ما إن يحترق الهيدروجين مع النجوم ويتحول إلى عناصر ثقيلة، فلا يمكن أن يعاد مجدداً إلى حالته الأولى. فدقيقة بعد دقيقة، وسنة بعد أخرى، فالهيدروجين يُستخدم في النجوم، ومصادر هذا العنصر تصبح أقل فأقل».¹⁹

إذاً، فالكون يخسر طاقته القابلة للاستعمال. ولكن، هو مثل ساعة رملية حيث يتدفق الرمل من القسم العلوي إلى السفلي، ونعلم إنه إن لم يكن رمل في القاع، فهذا يعني، أنه لم يكن من قبل. وبما أنه لم ينضب بعد الطاقة القابلة للاستعمال في الكون لم تنضب بعد، فهذا يعني، أن الكون ليس سرمدياً. فله بداية. ولكن أي شيء له بداية، فله سبب. وبهذا، فللكون علة (الله).²⁰ ذلك أن سبب الكون هو وراء العالم المحدود، ويجب أن يكون مسبب الكون غير محدود (سرمدياً). وبما أنه وراء العالم الطبيعي، فيجب أن يكون فوق الطبيعي. كما قال جاسترو: «ثمة ما يمكن أن أطلق عليه أنا أو غيري، قوى عليا تعمل الآن، واعتقد أنه لواقع مبرهن بشكل علمي».²¹ وأضاف في مكان آخر: «إن بحث العلماء عن الماضي انتهى في لحظة الخلق. وهو تطور غريب للغاية، وغير متوقع للكل، ما عدا اللاهوتيين. فهم كانوا قد قبلوا كلمة الكتاب المقدس: «في البدء خلق الله السموات والأرض» [التكوين 1: 1]».²²

وثمة حجة فلسفية لبداية العالم. وتنص:

1. توجد علة لكل بداية.
2. الكون زمني، وله بداية.
3. إذاً، فللكون الزمني علة (الله).

إن الوقت بوصفه سلسلة متعاقبة من اللحظات لا يمكن أن يكون سرمدياً. لماذا؟ لأن السلسلة السرمدية بالتعريف لا تنتهي أبداً. ولكن اللحظة الحاضرة هي نهاية لحظات سابقة قبلها. وبالتالي، فالحظات قبل اليوم لا يمكن أن تكون أبدية. إذ يجب للوقت أن يكون له بداية. وللعالم الزمني بداية، وبالتالي يجب أن يكون له علة (الله).

وبهذا، فكلا من البرهان العلمي، والمنطق السليم يقود إلى علة سرمدية عليا هي أصل العالم المادي - الزمني. وهذا ما يقصده التوحيد عند الحديث عن «الله».

¹⁹ Robert Jastrow, *God and the Astronomers*, 15–16.

²⁰ يقدم الكثير من العلماء برهان آخر على أن للكون بداية مثل توسع الكون، والإشعاع الميكروويفي، ونظرية أينشتاين العامة حول النسبية، كتلة الطاقة العظيمة التي اكتشفها تليوسكوب هابل. ودليل الانفجار الكبير الذي اقنع غالبية علماء الفيزياء الفلكية. ولكن حتى بعض هذه الأدلة محل نقاش، فعموم الحجة تقوي الشاهد الذي لا جدال فيه على عدم وجود أي استثناء في القانون الثاني.

²¹ Robert Jastrow, in an interview in *Christianity Today* (August 6, 1983), 15.

²² Robert Jastrow, *God and the Astronomers*, 115.

ب. صيغة الحجة العمودية للبرهان الكوني على الله

وهذه الحجة تجيب على سؤال قديم: لماذا الآن فحسب وُجد شيء ما، بعد أن لم يكن من شيء؟ وبكلمات أخرى، ما الذي جعل الكون يوجد الآن؟ ويمكن إيراد الحجة بأشكال مختلفة. والطريقة التقليدية هي التالي:²³

1. كل أمر مشروط (تابع) له علة الآن.
2. كامل العالم الفيزيائي مشروط الآن.
3. وبالتالي، فإن للعالم الفيزيائي علة الآن.

إن المقدمة الأولى هي صيغة لمبدأ السببية. لأن أي شيء مشروط (تابع) فهو غير مسؤول عن وجوده. لماذا؟ لأنه تابع في وجوده، وأي شيء تابع في وجوده فهو مرتبط بشيء آخر لأجل وجوده. وبكلمات أخرى، أي شيء هو تابع في وجوده كان يمكن ألا يوجد. وبهذا، فله إمكانية أن ألا يكون موجوداً. ولكن أي شيء موجود، ولكن كان يمكن ألا يوجد، يحتاج إلى أن يفسر سبب وجوده. ولكن كان بإمكان كل الكون ألا يكون موجوداً. فعدم وجوده ممكن.²⁴ وبالتالي، يحتاج كل الكون إلى علة لوجوده الآن. ولكن العلة التابعة لا يمكن أن تكون بنفسها وجوداً مشروطاً وإلا ستكون بحاجة إلى مسبب. وبالتالي فعلة العالم التابع يجب أن تكون وجوداً غير تابع، أو كائناً ضرورياً (الله).

بطريقة أخرى سنضع هذا البرهان في عبارات الأجزاء والكل.

1. كل جزء من العالم يحتاج إلى علة.
2. الكل هو مجموع كل الأجزاء.
3. بالتالي، كامل الكون يحتاج إلى علة (الله).

لا جزء من هذا العالم قائم بذاته. كل جزء مرتبط بجزء آخر لوجوده. وليس ثمة أجزاء لا سبب لها، مهما كان هذا «الجزء» الذي نعنيه (الجزئيات، الذرات، الطاقة الفيزيائية، أو أي شيء). فكل جزء من الكون متعلق بشيء خارجه لوجوده. وفي مصطلحات أكثر علمية، لا يوجد جزء يتكون من طاقة سرمدية، الطاقة التي لا تنتضب. فحسب القانون الثاني للديناميكا الحرارية (انظره فما سبق)، تستنفد كل المادة في الكون الطاقة القابلة للاستخدام. وبهذا، فكل جزء من الكون هو تابع أو له علة. ولكن الكل هو مساو لمجموع الأجزاء، وبالتالي، إن كان لكل جزء سبب، فلجميع الكون سبب أيضاً.

ويعترض المعارضين على هذه بالقول إنها مغالطة التركيب، التي تقول إن الكل ليس دائماً يملك خصائص الأجزاء. مثلاً، المربع، يمكن أن يرسم بمثلثين. ولكن كل جزء هو مثلث، ولكن الكل مربع.

وفي الرد على ذلك، يقول المؤمنون إن كلا الجزئين شكلان هندسيان، وأن طبيعة التركيب هي الشكل الهندسي. وإن كانت كل بلاطة على الأرض بنية، فإن كل الأرضية هي بنية. وفي حالة المثلاث التي لا تنتج

²³ Thomas Aquinas, *Summa Theologica* 1.2.3 (“Third Way”).

²⁴ أي، أنه ليس ثمة من تناقض حو عدم وجود أي شيء. فحالة الكاملة للفراغ هي حالة محتملة للقضايا.

مثلاً بالضرورة فهذه حالة عرضية وليست ضرورية. ولكن الأمر الأساسي هو أن الجزء التابع يضاف إلى كومة كاملة، وهي لا تعادل الكائن الضروري. وبغض النظر كم يبلغ عدد الأجزاء التابعة في الكل، فإن حصيلة الكل تبقى مشروطة.

وإحدى الطرق لفهم ذلك هو طرح سؤالاً بسيطاً: إن أبعدت كل أجزاء الكون، فهل يبقى أي شيء؟ إن كان الجواب لا، فهذا يعني إن كل العالم يساوي مجموع كل أجزائه، وبهذا، فله مسبب. وإن قالوا، نعم يبقى شيء ما عند ذهاب كل الأجزاء، عندها فهو يجب أن يكون شيئاً أكثر من شيء مشروط، وزمني، أو الكون المصنوع. بل يجب أن يكون كائناً متعالياً، ضرورياً، سرمدياً، غير مخلوق، به يتعلق كل جزء من الكل من أجل وجوده! ولكن هذا ما يقوله المؤمنون بـ«الله» الواحد. في كلا الحالين (أكانت الأجزاء مساوية للكل أم لا)، فإن كل جزء من الكون يحتاج إلى سبب (الله)، وكذلك يحتاج الكون برمته.

وقد قدم بعض المؤمنين الحجة المختصرة على وجود الله. وهي على الشكل التالي:

1. ثمة شيء موجود (مثلاً، أنا موجود).
2. ولكن اللاشيء لا يمكن أن يسبب شيئاً.
3. وبالتالي، فالكائن سرمدي والضروري (الله) موجود.

ويجب أن يكون سرمدياً لأنه أن كان ثمة عدم في وقت ما، فهذا العدم لا يمكن أن يسبب شيئاً ما. والسرمدي ضروري لأنه لا يمكن أن تكون كل الكائنات مشروطة (تابعة). فيجب أن يكون ثمة كائن ضروري به تتعلق الكائنات لوجودها. وبالتالي، فإن كنت أنا موجوداً بشكل لا جدال فيه، فهذا يعني أن ثمة كائناً سرمدياً ضرورياً موجوداً بوصفه أساس لوجودي (أو أي شيء آخر قد يكون موجوداً).²⁵

البرهان الغائي على وجود الله

إن الكلمة اليونانية *telos* تعني نهاية، الغاية، أو التصميم. إن إقامة الحجة من التصميم هي ما نسميها البرهان الغائي [التبولوجي] على الله. ولها أشكال مختلفة، وأحدث الشواهد العلمية عليها تأتي من مصدرين.

أ. المبدأ الأنثروبولوجي [الإنساني]

²⁵ وضع البعض إشكالية بقولهم إن هذه الحجة لا تنفي وحدة الوجود. وباختصار، إنها تبرهن فقط على أني موجود وأن الكائن السرمدي الضروري موجود. وي طرح القول: فربما أنا إله. ولكن هذه «فجوة» يمكن سدها بسهولة بالإشارة إلى (1) أنا أنغير (2) الله لا يتغير، و(3)، وبالتالي أنا لست إلهاً. ويقر القائل بوحدة الوجود أنه يتغير وأنه لا يفكر دائماً بأنه إله [فهو يقول لنا: هل تريد أن تقول «أنا»؟]. وبالتالي، فالقائلون بوحدة الله ليسوا إلهه.

إن أحد أهم الاكتشافات العلمية الهامة في الأزمنة المعاصرة هي المبدأ الأنثروبولوجي.²⁶ وحسب هذا المبدأ فإن بداية الكون الأولى كانت مناسبة أو موائمة أو مهيئة لظهور الحياة البشرية.²⁷ ثمة أكثر من مئة عامل²⁸ يجب أن تكون في تناغم كامل لأجل الحياة البشرية التي نعرفها الآن. ومن هذه العوامل:

- 21% من الأوكسجين هو المناسب للحياة (أكثر من ذلك، يعرضنا للاحتراق، وأقل من ذلك نتعرض للاختناق)؛
- إن المسافة بين الشمس والأرض هي المناسبة (أقرب من ذلك سنتعرض للاحتراق، وأبعد من ذلك سنتجمد)؛
- إن ميل الأرض هو المناسب للحياة (وبخلاف ذلك فسنعرض للبرد ليلاً والحرارة نهاراً)؛
- إن قوة الجاذبية مناسبة بحيث تسمح لنا بالحركة، لكنها تحول بيننا وبين التحليق في الهواء؛
- إن مكان كوكب المشتري مناسب بحيث يحمي الأرض من تصيبه وتدمره الأجسام الفضائية؛
- القوة النووية مناسبة للحفاظ على تماسك الذرات.

وقد لخص عالم الفلك روبرت جاسترو ذلك الوضع بشكل جيد: «إن المبدأ الأنثروبولوجي الأكثر تشويقاً بخصوص البرهان على الخلق، لا بل هو الأكثر تشويقاً لأنه يبدو أنه يقول إن العلم نفسه يبرهن، من الواقع المعقد، على أن هذا الكون قد خُلق، وصُمم، لكي يعيش فيه الإنسان. وهذه النتيجة التي يقول بها الإيمان بالضبط».²⁹

فلماذا يعطي المبدأ الأنثروبولوجي نتيجة متصلة بالإيمان؟ لأنه يشير إلى أن الله الواحد هو وراء كل العالم وأنه خطط لظهور البشر قبل الكون، وطوره بشكل مناسب من البدء ليجعله صالحاً. وبوسعنا أن نضع صيغة الحجة على الشكل التالي:

1. التخطيط الذكي دليل على علة ذكية.
2. يظهر الكون وجود تخطيط متقدم.
3. بالتالي، الكون كان مخططاً من جانب علة ذكية (الله).³⁰

عندما تأمل طبيعة القوانين الفيزيائية للكون وحده، فإن العالم الجليل ألبرت آينشتاين قال: «إن تناغم القانون الطبيعي... يظهر وجود ذكاء متفوق، وإن وازنا التفكير المنظم والتصرفات البشرية يظهر لنا أنها

²⁶ [الإنساني: الأنثروبولوجي (من الكلمة اليونانية *anthropos*، وتعني الكائن البشري)]
²⁷ لشرح وافٍ عنه الأمر انظر:

J. D. Barrow, *The Anthropic Cosmological Principle*.

²⁸ See Hugh Ross, *The Creator and the Cosmos*, 111–121.

كما تم جمع هذه العوامل بطريقة رشيقة (DVD) بعنوان:

The Privileged Planet by Guillermo Gonzalez.

²⁹ Robert Jastrow, "A Scientist Caught between Two Faiths: An Interview with Robert Jastrow," in *Christianity Today* 26 (13):15 (1982).

³⁰ بعض الأحيان يرد الملحدون على المبدأ الأنثروبولوجي بالمجادلة أن واقع العالم دليل فقط على أنه حدث بهذه الطريقة عرضاً، وإلا لم يكن هنا. ولكن هذا مثل المجادلة مثل القول إن اللوحة لا تحتاج إلى رسام، لأنها ما كانت ستبدو لوحة إذا ما كانت الألوان والأصباغ بالشكل الحالي، بل فقط صدف أنها صارت كذلك.

بالمقارنة معه لها تفكير تافه للغاية»³¹. وبالمثل، فالملحد السابق، عالم الفلك، ألان سانديج قال: «وكما قلت من قبل، فالعالم شديد التعقيد في كل جوانبه بحيث لا يمكن أن ينتج عن الصدفة فقط. وأنا على يقين أن وجود الحياة في كل نظامها، والكائنات الحية المرتبة والموضوعة سوياً بكل بساطة... وكلما تعلم المرء أكثر عن الكيمياء الحيوية كلما أصبح أكثر ميلاً وتصديقاً لوجود نوع معين من المبدأ التنظيمي - مهندس معماري بالنسبة للمؤمنين»³².

ويلخص العالم ميشيل به البرهان بشكل جيد، فيقول ما لدينا هو: «كوكب في مكان مثالي من المجموعة الشمسية، في المنطقة الصحيحة للمجرة، مع كل أنواع القوانين الصحيحة لإنتاج المواد الكيميائية، مع كل أنواع الخصائص الصحيحة - وكل هذا ضروري للحياة، ولكن ما زال لا يكفي. فالكوكب بنفسه لا يجب أن يكون كبيراً للغاية ولا صغيراً أيضاً، مع كمية كافية، ولكن ليست فائضة من المياه، وأنواع صحيحة من المعادن في المكان المناسب... وكلها حيوية. ولو نقص أحد هذه العناصر، لما وجدنا الحياة العاقلة»³³.

ولكن الترتيب المسبق الضروري لهذه الأجزاء كلها تتعاون سوياً لنفس الغاية، وهي علامة دائماً على التصميم. ونحن لم نشاهد سابقاً القوانين الطبيعية تقوم بمثل هذا الشيء.

ب. البرهان الغائي من علم الأحياء

في عصر داروين، كان ينظر إلى الخلية الحية على أنها «صندوق أسود» لافتقاد العلماء إلى المجاهر التي تسمح لهم بالنظر إلى أسرار الخلية. وفي كتابه المعنون: «صندوق داروين الأسود»، بدأ عالم الأحياء ميكائيل به تصميمياً ثورياً. فبعد أن تحدث عن الدليل الذي لا يصدق، على التعقيد المدهش للخلية الحية، استخلص به، «يظهر طبيعياً في ختام التصميم الذكي نفس المعلومات - وليس من الكتب المقدسة أو الإيمان المذهبي. مما يدل على أن الأنظمة البيوكيميائية كانت قد صُممت من طرف فاعل ذكي، وهي عملية مكررة لا تتطلب مبادئ منطق جديدة أو فاعلية ذكية»³⁴. وفي كتابه الأحدث، يطوّر به حجته بإظهار أن الحياة أكثر تعقيداً مما كان يُعتقد³⁵.

وحتى فرنسيس كريك، الملحد، حامل جائزة نوبل، أقر: «المرء النزيه، المسلح بكل المعرفة الممكنة المتوفرة لدينا الآن، يمكنه أن يقول بمعنى ما، أن أصل الحياة ظهر في لحظة هي تقريباً معجزة، إذ أن شروط كثيرة كان يجب تكون متوفرة لتسمح بالحياة أن تبدأ»³⁶.

³¹ Cited by Fred Heeren, *Show Me God: What the Message from Space Is Telling Us About God* (Wheeling, IL: Search Light, 1995), 66.

³² Alan Sandage, "A Scientist Reflects on Religious Belief," *Truth*, Vol. 1 (Dallas: Truth Incorporated, 1985), 54.

³³ Michael Behe, *The Edge of Evolution*, 212.

³⁴ Michael Behe, *Darwin's Black Box*, 193.

³⁵ Michael Behe, *The Edge of Evolution*.

³⁶ Francis Crick, *Life Itself: Its Origin and Nature*, 88.

وبالفعل، فالملحد السابق، السير فرد هويل، صرح أن الأمر على الشكل التالي: «منظومات الكيمياء الحيوية هي من التعقيد إلى حد بعيد، بحيث أن فرصة أن تتشكل خلال الخط العشوائي للجزئيات العضوية هي متدنية للغاية، إلى النقطة التي لا يمكن أن تبتعد عن الصفر». وبهذا، يجب أن يكون ثمة «ذكاء، قد خطط المواد الكيميائية الحيوية وله الفضل في أصل الحياة الكربونية».³⁷

وحتى عالم الأحياء التطوري، الملحد، ريتشارد دوكنيز أقر أنه يبدو أن الحياة قد صُممت، وأنّ الحيوان وحيد الخلية له ألف مجموعة كاملة للبيانات الجينية!³⁸ ولكن من أين يمكن أن تكون قد أتت هذه المعلومات المعقدة، إن لم تكن من مخطط ذكي للحياة الأولى.

ج. البرهان البيولوجي المستمد من تعقيدات محددة

الحياة فريدة. وهي تتسم بما يسميه العلماء: «التعقيد المحدد». البلورات هي محددة ولكنها ليست معقدة، فهل تمتلك رسالة تعيدها تكراراً. المركبات الكيميائية العشوائية معقدة ولكنها ليست محددة، ولا تحمل رسالة قط. الحياة فقط لها التحديد والتعقيد. وقد طور كلاود شانون نظرية معلومات لمختبرات بل، التي تظهر أن المعلومات تنقل أحرفاً تمتلك حرفاً معيناً ذا تردد. وطبق هوبرت يوكي هذه النظرية على الحمض النووي [DNA] في الخلايا الحية واكتشف أن وجود تماثل حسابي بين الأحرف المتتالية في الحمض النووي واللغة البشرية، فكتب: «تنطبق فرضية التتابع بشكل مباشر على البروتين وعلى النص الجيني مثلما تنطبق على اللغة المكتوبة، وبهذا فإن المعالجة هي متطابقة حسابياً».³⁹ وهذا يؤدي إلى الحجة التالية:

1. حيثما وجدنا تعقيداً محدداً في الحاضر (مثل اللغة البشرية)، فإن له علة ذكية.⁴⁰
2. التعقيد المحدد في الخلية الحية متماثل حسابياً مع اللغة البشرية.
3. إذًا، لا بد أن الحياة الأولى كان لديها علة ذكية.

ومن المهم ملاحظة أن ليس غياب العلة الطبيعية أدى إلى هذا الاستنتاج. بل وجود البرهان على العلة الذكية. وبهذا فوضع علة ذكية للحياة الأولى ليست مغالطة «إله الفجوات». فمثلاً، ليس بسبب غياب معرفة الأسباب الطبيعية الذي يدفعنا للقول بعلة ذكية على سطح جبل روشمور أو رمل قلعة على شاطئ. بل هو دليل معروف على علة ذكية من التجربة السابقة التي تدفعنا للاستنتاج بوجود علة للحياة الأولى. وفي سنة 1997، في فيلم «الاتصال»، الذي أعد فكرته كارل ساجان، فإن كارل ساجان وبرنامج البحث عن الذكاء خارج الأرض قد صوّر علماء ابتهجوا حينما حصلوا على رسالة من الفضاء الخارجي (كل الأعداد الأولية من 1 إلى 100) عبر تلسكوب راديو. وكما أعلن ساجان، «إن تلقي رسالة واحدة من الفضاء الخارجي كقيلة بإظهار أنه من

³⁷ Sir Fred Hoyle, *Evolution from Space*, 3, 143.

³⁸ Richard Dawkins, *The Blind Watchmaker* (1987), 17–18, 116.

³⁹ Herbert Yockey, *The Journal of Theoretical Biology* (1981), 91.

⁴⁰ في حال رفض الملحد هذه المقدمة، فيكون قد رفض مبدأ الانتظام نفسه، الذي به نعرف الماضي، أي نوع الأسباب الذي نراها تكرر في إنتاج أنواع محددة من التأثير في الحاضر، وهو نفس النوع من العلة التي يجب أن نضعها لإنتاج هذه الأشياء في الماضي. وبهذا يكون منطق التوحيدي بخصوص العلة الأولى الذكية يستند على العلم، ولكن النظرة المعاكسة ليست كذلك.

الممكن العيش عبر مثل هذه المراهقة التكنولوجية»⁴¹ لأنه كان سيثبت وجود حضارة ذكية خارجاً. وما يدعو للسخرية، أن ساجان نفسه، قال في مكان آخر أن العقل البشري هو معقد بحيث أنه يحتوي على 20 مليون مجلد ممثلي من المعلومات الوراثية فيه. إذ كتب ساجان «إن الكيمياء العصبية للدماغ مشغولة بشكل مدهش، فدوائر الآلة لهي أشد روعة من أي شيء أبدعه البشر».⁴² فإن كان الأمر كذلك، ويحتاج الأمر إلى كائن ذكي لتشكيل رسالة بسيطة واحدة، فكم أعظم هو العقل الذي خلق العقل البشري مع سعة تعادل مكتبة الكونغرس فيه!

وبعد مراجعة البرهان العلمي على وجود الله، فأكثر الملاحدة السابقين السيء السمعة في الأزمنة الحاضرة، أنتوني فلو، يستخلص: «هؤلاء العلماء الذين يشيرون إلى عقل الله لا يقدمون فقط سلسلة من البراهين أو عمليات الاستنتاج المنطقية. بل هم يقترحون رؤية للواقع تنبثق من قلب مفاهيم العلم المعاصر، ويفرضونها على الذهن العقلاني. وهي رؤية أجدها مقنعة وغير قابل للدحض».⁴³

البرهان الأخلاقي

بالإضافة إلى البرهان الكوني الذي يشير إلى العلة العليا السرمدية للكون، والبرهان الغائي الذي يظهر أن هذه العلة هي كينونة فائقة الذكاء، هناك البرهان الأخلاقي الذي يكشف أن الله هو الكامل أخلاقياً. وهو ينص على التالي:

1. لكل قانون أخلاقي ثمة مانح أخلاقي له.
2. ثمة قانون أخلاقي موضوعي.
3. وبهذا يجب أن يكون ثمة معطٍ أخلاقي موضوعي.

وأكثر الصيغ شهرة لهذه الحجة هي ما صرح به سي إس لويس.⁴⁴ والمقدمة الأولى وهي واضحة بنفسها. إذ يجب أن يكون للقوانين مشرّع، وللوصفات يجب أن يكون لها واصفين. وتقل البرهان يقع على المقدمة الثانية. ما هو الدليل على وجود قانون أخلاقي موضوعي، ليس فقط الفاعل أو الشخص. من الغريب أن الملاحدة يقدمون بأنفسهم الدليل على القانون الأخلاقي - الدليل المتين بحيث جعل الكثيرين منهم يتحولون للإيمان بوجود معطٍ قانوني أخلاقي (الله).

بوصفه ملحداً سابقاً، كان سي. إس لويس يعتقد أن الشر والظلم في العالم يلغيان الله. ولكن سأل نفسه:

كيف حصلت على فكرة العدل والظلم؟ فلا يمكن للمرء أن يسمي شيئاً ما أعوجاً إن لم يكن لديه فكرة عن الخط المستقيم. فيماذا كنت أقارن هذا العالم عندما كنت اسميه جائراً.... بالطبع كان يمكنني أن أقدم فكري عن

⁴¹ Carl Sagan, *Broca's Brain*, 275.

⁴² Carl Sagan, *COSMOS*, 278.

⁴³ Anthony Flew, *There is a God: How the World's Most Notorious Atheist Changed His Mind*, 112.

⁴⁴ C. S. Lewis, *Mere Christianity* (Part One).

العدالة بالقول إنها ليس إلا فكرتي الخاصة. ولكن إن فعلت ذلك، فإن حجتي ضد الله كانت ستسقط أيضاً - لأنّ الحجة متعلقة بالقول إنّ العالم كان جائراً فعلياً، وليس صدفة أنه لم يكن يرضي أهوائي الخاصة. وبهذا ففي المسعى الذي كنت أقوم به للبرهنة على عدم وجود الله - وبكلمات أخرى، إن كل الواقع كان بدون معنى - وجدت نفسي مجبراً على الافتراض بأن جزءاً واحداً من الواقع، أي فكرتي عن العدالة، هي ذات معنى كامل.⁴⁵

وليس سي. إس لويس وحده من سار على هذا الطريق، فهذا هو الملحد السابق جاي بودجيزوسكي من جامعة تكساس قد أقرّ بنفس الطريقة بالله. وكان منطقته، «ما الذي أعادني إلى الوراثة هو حدس متزايد بأن ظرفي هو شر بشكل موضوعي... إنّ الشر هو نقص في الخير؛ وليس ثمة شيء مثل جوهر الشر، أو الشر بحد ذاته. وبهذا فإنّ كانت حالتي الخاصة هي شر عملي، فيجب يكون هناك أمر صالح كانت حالتي في خراب بالنسبة له». باختصار، لا يمكننا أن نعرف الشر، إنّ لم يكن على ضوء الخير. فإنّ كان الشر حقيقة، فيجب أن يكون ثمة معيار موضوعي نعرف به الشر.⁴⁶

وحتى الملحد السابق والعالم المشهور حالياً ورئيس مشروع الجينوم البشري، الدكتور فرانسيس كولينز، كان متأثراً بالبرهان الأخلاقي في عودته إلى الله. وكتب لاحقاً: «بعد ثمانية وعشرين سنة كمؤمن، فإن القانون الأخلاقي يبرز على أنه أقوى علامات الإرشاد إلى الله. وأكثر من ذلك، فهو يشير إلى الله الذي يهتم بالبشر، والله الذي هو صالح ومقدس بلا حدود».⁴⁷

وثمة أسباب كثيرة تحتم وجود قانون أخلاقي موضوعي:

1. لم نكن لنعلم بوجود الظلم إنّ لم يكن ثمة معيار موضوعي عن العدالة.
2. يستحيل التقدم الحقيقي إنّ لم يكن لدينا معيار موضوعي نقيس به.
3. الأشياء إما تصبح أفضل أو أسوأ.
4. إنّ التضاربات الأخلاقية ليست ممكنة بدون معيار أخلاقي موضوعي.
5. ونفس القانون الأخلاقي الأساسي موجود في أغلب الثقافات.⁴⁸
6. لم يكن كسر القانون الأخلاقي إثماً عالمياً لو لم يكن ثمة قانون أخلاقي موضوعي.
7. حتى أولئك الذين ينفون الثوابت الأخلاقية لديهم مبادئ أخلاقية يعتبرونها عالمية مثل التسامح، حرية التعبير، وخطيئة التعصب والإبادة.
8. نحن لم نختراع القانون الأخلاقي أكثر من اختراعنا قوانين الرياضيات أو الفيزياء. إذ تم اكتشاف هذه القوانين وليس خلقها.
9. أحياناً نختار واجب انقاذ شخص يغرق على غريزة حفظ النفس من الخطر.
10. لقد تم اكتشاف القانون الأخلاقي، لا وفق طريقة تصرفنا، بل كيف نود أن يسلك الآخرون نحونا.

⁴⁵ Ibid., 45, 46.

⁴⁶ Jay Budziszewski, "Objections, Obstacles, Acceptance," an interview by Ignatius Press (2006).

⁴⁷ Francis Collins, *The Language of God*, 218.

⁴⁸ See C. S. Lewis, *The Abolition of Man*, Appendix.

11. لا يمكن تفسير الإيثار بشكل كافٍ من منطلق الطبيعة.

أعرف طالباً حضر بدوره ورقة دراسية قائمة على توثيق وبحث جيدين، حيث ادعى فيها أنه كان نسبي الأخلاق. وقد أعطى الأستاذ البحث درجة الرسوب، وذيل الورقة بهذه الكلمات: «صفر! لا أحب المجلدات الزرقاء!». فاحتج الطالب بشدة إلى الأستاذ أنه كان محققاً بحقه، غير عادل، ولا يحق له أن يعطي «صفرًا» بناءً على لون المجلد. وبالفعل كان الطالب محققاً باحتجاجه. ولكنه كان محققاً فقط لأنه كان على خطأ في بحثه. لأن أي طالب يعرف أنه ثمة مبدأ أخلاقي موضوعي يقول إنه من الخطأ إعطاء طالب «صفر» لأن لون المجلد لا يستند على محتوى البحث.

البرهان من الحاجة الدينية

ثمة سبب آخر لوجود الله يستحق الذكر هنا. وهو على الشكل التالي:

1. كل الناس يحتاجون إلى الله.
2. ما نحتاجه حقاً، موجود فعلاً.
3. وبهذا فإن الله موجود.

يقر أغلب الناس بحاجتهم لله. ولكن الذي ليس معروفاً على نطاق واسع هو أن أغلب الملاحدة يشعرون بحاجتهم إلى الله. فهم ببساطة لا يؤمنون بوجوده واقعياً، إذ قال سيجموند فرويد أنه وهماً،⁴⁹ وادعى لودفيج فويرباخ أن الإله إسقاط للتصور البشري.⁵⁰ وكلاهما أضاعا الأمر، فالحاجة إلى الله هي **حاجة فعلية**، وليست مجرد رغبة. لننظر إلى البرهان، كما وضعه فرانسيس كولينز الملحد السابق: «لماذا يوجد مثل هذا الجوع الإنساني العالمي بشكل فريد، إن لم توجد صلة بفرصة لتلبيته».⁵¹ وأضاف، «والمخلوق لا يولد برغبات إن لم تكن تلبية تلك الرغبات ممكنة. فالطفل يشعر بالجوع: وفعلاً ثمة شيء اسمه الطعام. وتريد البطة الصغيرة السباحة، وبالفعل ثمة شيء اسمه الماء. ويشعر الإنسان بالرغبة الجنسية، وبالفعل، ثمة شيء اسمه الجنس».⁵² فلما لدينا مكان لله في قلوبنا إن لم يكن لئيملاً بالله؟

إن الوهم مجرد رغبة، مثل الاعتقاد بوجود وعاء من الذهب في نهاية قوس قزح! ولكن الشعور بالحاجة إلى إله ليس مجرد رغبة، أكثر من حاجة المرء للماء. صحيح إنه لا يحصل كل شخص على الماء أو الطعام

⁴⁹ See Sigmund Freud, *The Future of an Illusion*, chapter 6.

⁵⁰ See Ludwig Feuerbach, *The Essence of Christianity*, chapter 1.

⁵¹ Collins, *The Language of God*, 38.

⁵² Ibid.

الذي هو بحاجة إليه. ولكن هذا لا يعني إنه ليس ثمّة من طعام أو ماء في أي مكان. وبالمثل، ليس كل شخص سيجد الله، ولكن لا يعني هذا أن الله ليس موجوداً في أي مكان. انظر إلى التشوق إلى الله، حتى بين أولئك الذين لا يؤمنون به:

- برتراند رسل: «حتى عندما يشعر المرء أنه أقرب ما يكون إلى الناس، ثمّة شيء في المرء يجعله منتمي لله بقوة... وعلى الأقل هذا ما يجب أن أعبر عنه إن كنت أعتقد بوجود الله. إنه لغريب، أليس كذلك؟ وأني كثير الاكتراث بشكل حار لهذا العالم وللكتير من الأشياء والناس فيه، وبعد... ما هو كل؟ ثمّة شيء يشعر به المرء أكثر أهمية، رغم أنني لا أوّمن بوجوده».⁵³
- إيريش فروم: «إن الحاجة... لموضوع للتوقير متجذر في شروط الوجود البشري».⁵⁴
- لودفيج فويرباخ: «الله حاجة للعقل، ضرورة للفكر: أعلى درجات قوة التفكير».⁵⁵
- جان بول سارتر: «أنا أحتاج الله... أتطلع إلى الدين، أتشوق له، كان شفاءً. لو رفضني، لكنت قد اخترعته بنفسني».⁵⁶
- فريدريك نيتشه: «ماذا تكون أنت، أيها الاله المجهول؟ إلى آخر كل ما هو وحيد، تعال!... فشعلة قلبي الأخيرة... تشتعل نحوك!!!، تعال إلهي المجهول».⁵⁷
- ألبرت كامو: «ليس ثمّة ما يثبط الرغبة نحو الإله في قلب الإنسان».⁵⁸
- القديس أوغسطينوس، هذا الريبي السابق يقر: «شككتنا لأجلك، وقلوبنا مضطربة ما لم تجدك».⁵⁹

فإن كان البشر يحتاجون الله، بمن فيهم الملاحدة، فمن غير المعقول أن نصل إلى نتيجة أن لا إله لمجرد أن بعض الناس لم تجده ببساطة.

يمكنك أن تقود جواداً إلى النبع ولكن...

إن كان ثمّة أسباب وجيهة للإيمان بالله، فلماذا يرفض الملحدون الله؟ أحد الملاحدة السابقين وضّح: «لأن وجود الله يجعلني منزعجاً أكثر وأكثر، فقد بدأت أتطلع إلى أسباب تدفع للاعتقاد أنه غير موجود. وأنه لأمر طريف يخصنا نحن البشر: هو أنه لا يوجد كتيرون منا يشكّون في وجود الله ومع ذلك يشرعون في الإثم. والكثير منا يبدأ بالخطيئة ثم يبدأ بالشك بوجود الله».⁶⁰ وقد كشف نيتشه أن إشكاليته ليست مسألة العقل، بل

⁵³ Bertrand Russell in a *Letter to Lady Ottoline*.

⁵⁴ Eric Fromm, *Psychoanalysis and Religion*, 22.

⁵⁵ Ludwig Feuerbach, *The Essence of Christianity*, 36.

⁵⁶ هذا من سيرة بول سارتر الذاتية المعنونة: *The Words*, 102, 97.

⁵⁷ Friedrich Nietzsche, *Thus Spoke Zarathustra*, Part Four, "The Magician." 42.

⁵⁸ Albert Camus, *The Rebel*, 147.

⁵⁹ St. Augustine, *Confessions* 1.1.

⁶⁰ Jay Budziszewski, *The Revenge of Conscience*, xii.

الإرادة حينما كتب: «إن قدر أحدهم على البرهنة على إله المسيحيين هذا، فيجب أن نكون حتى أقل قدرة على الإيمان به»⁶¹. وهذا مثال العلماء الذين يرون البرهان العلمي على وجود الله، ومع ذلك يرفضونه، وقد وضع روبرت جسترورا أصبعه على الإشكالية عندما كتب، «ثمة ضرب من الدين في العلم. إنه دين شخص يؤمن... ليس ثمة علة أولى... وهذا الإيمان الديني للعلماء يتعرض للكسر باكتشاف إن للعالم بداية... وعندما يحصل ذلك، يفقد العلم السيطرة»⁶². وقد كان ريتشارد ليونتين، أحد الملاحدة من هارفرد، صادقاً، عندما قال: «نحن ننحاز إلى طرف العلم الطبيعي رغم السخف الظاهر لبعض بنياته... ولأن لدينا التزام مسبق نحو المادية». وقد أضاف: «وحسب منظومتنا فالمادية مطلقة، وبهذا لا يمكننا أن نسمح للإلهي بالولوج من الباب»⁶³.

ردود على بعض الاعتراضات الهامة

وهذا ليس للقول إن الملاحدة لا يقدمون اعتراضات على الإيمان بالله، بل فقط أنهم لا يعرضون وجهات نظر صالحة بشكل عقلائي. وللحق فإن اعتراضاتهم متقدمة ويتم تجديدها.

الاعتراض الأول: إن كان كل شيء يحتاج لعلّة، فالله بدوره يحتاج إلى علة. وإن كان الله لا يحتاج إلى علة، كذلك الكون لا يحتاج بدوره إلى غلة.

الرد: هذا تعبير خاطئ لمبدأ السببية. لأن المؤمنين لا يحتاجون «أن كل شيء يحتاج إلى سبب». فقط **المفعولات** تحتاج إلى علل. فقط الأشياء المحدودة، والمشروطة، والأشياء التي لها بداية تحتاج إلى سبب لأنها لا تفسر لماذا هي موجودة، عندما لا يكون وجودها ضرورياً. وبهذا، فأشياء الكون محدودة ومشروطة وتحتاج إلى سبب. ولكن الله ليس له بداية، وليس محدوداً. وبهذا فهو لا يحتاج إلى علة. ولكن العالم محدود، ومشروط، وله بداية. وبهذا، فالعالم يحتاج إلى سبب، ولكن الله لا يحتاج إلى علة.

الاعتراض الثاني: يوجد إمكانية لسلسلة لا متناهية من العلل. وبهذا، ليس ثمة من علة أولى (الله).

الرد: إن سلسلة غير منتهية من العلل قبل اليوم مستحيلة. أولاً، لأنه لا يمكن أن يوجد سلسلة غير متناهية لأشياء متناهية قبل اليوم، لأن السلسلة السرمدية (أبدية) ليس لها نهاية. ولكن اليوم هو نهاية كل الأيام التي مضت قبله. وبالتالي، لا يمكن أن يوجد عدد غير متناهٍ من العلل قبل اليوم. وبالطبع، يمكن أن يكن ثمة عدد لا حصر له من **النقاط المجردة** بين أ و ب. ولكن النقاط المجردة ليست أشياء معينة. وبهذا، ثمة أعداد غير متناهية للنقاط المجردة بين نهايتي رف كتب. ولكن المرء لا يقدر أن يحصل على عدد لا نهائي من الكتب الحقيقية هنا، بغض النظر مهما كان رقيقة. وبهذا فرقم لا نهائي لأسباب فعلية هو أمر مستحيل.

⁶¹ Nietzsche, *Antichrist*, 627.

⁶² Jastrow, *God and the Astronomers*, 113–114.

⁶³ Richard Lewontin in *New York Review of Books*, 1/9/96.

ثانياً، في كل سلسلة أساسية من العلل، لكل سبب علة. وإلا سيكون لدينا سبب لا علة له (الله)، وهذا ما يحاول أصحاب هذا الاعتراض أن يتجنبوه. وعلاوة على ذلك، في أمثال هذه السلاسل من علل الوجود، فعلة على الأقل لدينا هي علة مُسببة. وإلا لن يكون ثمة من سببية في هذه السلسلة. ولكن في هذه الحالة، فإن هذا السبب سيكون سبب نفسه (وإذ يكون هو العلة والمعلول)، وهذا مستحيل. إن كل سبب هو سابق بالوجود على مفعوله، ولكن لا يوجد سبب سابق على نفسه في الواقع منطقياً.

الاعتراض الثالث: إن اعتبار الله يماثل الأسباب العاقلة في الحاضر لا يصل بنا إلى القول بالله الواحد، بل إلى علة شبيهة بالإنسان، التي هي فقط الأسباب التي نجدها تعطي هذه النوع من الأشياء في الحاضر.

الرد: لا يتطلب مبدأ التماثل (القائم على معرفة نوع السبب الذي يعطي شيئاً في الحاضر) سبباً مطابقاً في الماضي بل سبباً مشابهاً لما نلاحظه في الحاضر. وإن برنامج «سيتي» (البحث عن الذكاء خارج الأرض) لم يشترط أن يكون الذين خارج الأرض مثل البشر، بل فقط أن يكون لديهم ذكاء مماثلاً لذكائنا. علاوة على ذلك، لا يجب أن تكون العلة مشابهة بأي طريقة جسدية، بل فقط أن يكون لديها ذكاء مثل الذكاء البشري. وأخيراً، أن الخالق، لا يمكنه أن يكون مثل المخلوق. فالخالق سرمدى (غير محدود)، والمخلوق فانٍ (محدود). وبالتالي، أن ننسب جسماً أو أجزاء من الجسم (وهي كلها محدودة) للخالق أمر لا يمكن تبريره.

الاعتراض الرابع: إن الحجج المقدمة لإثبات الإله لا تبرهن على أنه يوجد إله واحد، كما يدعي أصحاب التوحيد.

الرد: إن هذه الحجج تؤكد وجود إله واحد فقط لعدة أسباب.

أولاً، فالهجة الكونية سرمدى، لأن كل شيء متناه ويحتاج إلى سبب. ولا يمكن أن يكون لدينا كينونتان سرمديتان. لأنه لو كان لدينا كائنان من نفس النوع، لكان يجب أن يكون كل كائن مختلفاً عن الآخر. وأما كائنان سرمديان فلا يمكن أن يختلفان؛ بل يجب أن يكونان من نفس الكينونة، أي يكونان سرمديين.

ثانياً، الله الواحد (في الحجة الأخلاقية) هو كامل بشكل مطلق. ولا يمكن أن يكون لدينا كينونتان كاملتان بشكل مطلق. لأنه يجب أن تكونا مختلفتين، وواحدة لها الكمال والأخرى ليس لها نفس الكمال. والكينونة التي ينقصها هذا الكامل لن تكون كاملة بشكل مطلق. وبالتالي، يجب أن يكون لدينا كينونة كاملة بشكل مطلق واحدة.

ثالثاً، تظهر الحجة الغائية (حسب المبدأ الأنثروبولوجي) أنه كان يوجد عقل واحد وراء كامل العالم الذي كان يخطط لكل الأشياء. وأخيراً، ثمة مجموعة واحدة فحسب من القوانين الفيزيائية في كل العالم التي تعكس عقلاً واحداً كامناً وراءه. إنه كون واحد (عالم واحد من عقل واحد) وليس قصائد متعددة (عوامل متعددة من عقول عديدة).

بعض الأفكار الختامية

تظهر مختلف الحجج بخصوص الله أنه يوجد إله واحد فحسب، وليس آلهة كثيرة. ويجب أن يكون هذا الإله سرمدياً لأنه يقف وراء العالم النهائي الذي صنعه. وأيضاً، يجب أن يكون شخصياً لأنه عاقل وأخلاقي، وهو المصمم العاقل ومعطي القانون الأخلاقي. بالإضافة لهذا، فهذا الإله روحاني وفوق طبيعي لأنه هو وراء العالم الفيزيائي والطبيعي. بوسعه أن يصنع معجزات لأنه قام هو بالمعجزة الأعظم على الإطلاق، وهي أنه خلق العالم. وبهذا، فالدليل يشير إلى وجود الله الواحد، السرمدى، العاقل، الكامل، الفرد، الخارق. حتى أن اللاأدرى، عالم الفلك روبرت جاستروا وضع:

إن تقصي العلماء في الماضي انتهى في لحظة الخلق. وهذا تطور غريب إلى حد بعيد، وغير متوقع من طرف الكل، ما عدا اللاهوتيين. الذين قبلوا دائماً كلمة الكتاب المقدس: «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» [التكوين 1: 1].⁶⁴

خلاصة القول، ينتهي العلم حيث يبدأ الكتاب المقدس.

⁶⁴ Robert Jastrow, *God and the Astronomers*, 115.

ملخص الفصل	المسائل الاثني عشر
<p>إن كان الله - الواحد - موجوداً، فالمعجزات ممكنة. وقد رأينا (في الفصل 3) وجود دليل متين على وجود الله. وبالتالي، يؤدي ذلك إلى أن المعجزات ممكنة، وأكبر المعجزات قاطبة التي حصلت هي الخلق. إن الله الذي خلق العالم من العدم لا يمكن أن يُحدَّ من العالم الذي خلقه. فبإمكان الله أن يتدخل إن أراد وحينما يريد. والله الذي خلق الحياة من عدم الحياة، لقادر أن يعيد الحياة إلى الأجساد الميتة.</p> <p>إن الحجة ضد إمكانية المعجزات دائرية؛ وهي مصادرة على المطلوب، بالافتراض أن كل الأحداث لها أسباب طبيعية (وهذا ما يجب أن يبرهن عليه). وهذا ليس فقط خاطئاً، بل هو على عكس العلم، الذي يترك مكاناً للأسباب الذكية. ومبدأ الانتظام (الذي به نعرف الماضي) لا يزيل الأسباب العاقلة لأحداث الماضي، بل يدعو إليها في علم الآثار وعلم الأحياء. بسبب من التعقيد المحدد في الحياة الأولى، بالمقارنة مع التعقيد المُعين المعروف في الحاضر، فإن له علة ذكية. وبهذا فالعلم كما يُفهم حقاً لا يزيل التدخل الذكي في الطبيعة؛ بل، يستدعيها. والمعجزات ممكنة. وأكبر معجزة (وهي الخلق) قد حصلت، وعلينا أن نفحص الدليل لرؤية معجزات أخرى حصلت (مثل التي وردت في الأناجيل) (انظر الفصل 8).</p>	<ol style="list-style-type: none"> 1. الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة 2. لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين 3. إنها حقيقة أن الله الواحد موجود 4. المعجزات ممكنة 5. يرتبط حدوث المعجزات بدعوى صادقة تعلن حق الله عبر رسل الله 6. العهد الجديد نص موثوق 7. كما شهد العهد الجديد، فيسوع المسيح أعلن أنه الله 8. إعلان يسوع أنه الله تؤكد بمجموعة فريدة من المعجزات 9. وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد 10. كل ما أكده يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق 11. يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله 12. إذأ، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي <p>مسودة الفصل: المعجزات ممكنة</p> <ul style="list-style-type: none"> • ليس كل ما يلعب ذهباً • إمكانية المعجزات • هل المعجزات ممكنة؟ <p>✓ تقييم حجة هيوم ضد مصداقية المعجزات</p> <p>✓ الاعتراض العلمي على المعجزات</p> <p>✓ الاعتراض التاريخي على المعجزات</p>

4 المعجزات ممكنة

بما أن الله الواحد موجود (انظر الفصل 3)، فالمعجزات ضرورية. لماذا؟ لأنه خلق العالم وهذه المعجزة الكبرى قاطبة. فلو كان للعالم بداية، فهذا يعني أن الله خلقه من العدم، وهذه أكبر معجزة ممكنة. وبهذا، فإن كان الله الواحد موجوداً، فالمعجزات ليست فقط ممكنة، بل المعجزة الكبرى، وهي خلق الشيء من العدم، قد حصلت. إن عمل الخمر من المياه (كما فعل يسوع في إنجيل يوحنا 2) ليست مشكلة لله الذي صنع الماء من العدم! فجميع الحجج التي تدعم وجود الله الواحد، تدعم إمكانية (وواقعية) الأعمال الخارقة.

إضافة لذلك، بما أن الله الواحد مازال موجوداً، يتبع ذلك أن المعجزات ما زالت ممكنة. وليس ثمة من طريقة لعزل الله عن كونه. إن الله كلي القدرة يستطيع أن يفعل أي شيء مستحيل فعلياً. كما إنه لا يستحيل عليه فعلياً التدخل بين الحين والآخر في مسار الأحداث العادية (والتي هي القوانين الطبيعية) بحدث غير عادي (والتي هي المعجزة). وعلى كل حال، فالمعجزات ليست مجرد إنها أحداث غير عادية. بل هي خارقة. وهي تدخل غير عادي في العالم الطبيعي من جانب الله الفائق القوة.

ليس كل ما يلمع ذهباً

وبالتأكيد ليس كل ما هو غير عادي هو خارق. فثمة على الأقل أنواع مختلفة من الأحداث تُعتبر بشكل خاطئ على أنها معجزات، ولكنها في الحقيقة ليست كذلك.⁶⁵

(1) الشذوذ

- حدث غير عادي مع أسباب غير معروفة أو مفهومة بشكل غامض (مثل الحياة حول الفتحات الحرارية على أرض المحيط، والتي كان من المعتقد من قبل أنها شديدة الحرارة، والظلمة، وعالية الضغط وسامة لا تصلح لوجود الحياة).

(2) الحدث النفسي الجسدي

- حدث غامض بسبب عقلي غير معروف (مثل تأثير الدواء الوهمي الذي يؤدي إلى الشفاء من الأمراض الجسدية).

⁶⁵ See Norman L. Geisler, *BECA*, “Miracles, False” and “Miracles and Magic.”

(3) «حدث سعيد»

- حادثة غير عادية نافعة من سبب طبيعي معروف (مثل الضباب الذي سمح لقوات واشنطن بعبور الديلاوير والبقاء في مأمن من القوات البريطانية المعادية).

(4) الخدعة السحرية

- حادثة غير اعتيادية ولكن لها سبب طبيعي سبب خداع العين أو الذهن (مثل سحب أرنب من قبعة)⁶⁶.

وكل هذه الأشياء تحدث من علل طبيعية أو عقلية. ولكن ليس أي منها فائقة الطبيعة. وأما السبب فوق الطبيعي فـ«بصمات» الله عليه. فثمة أشياء لا يقدر أن يعملها إلا الله. مثلاً، الله قادر على خلق الحياة (التثنية 32: 39؛ أيوب 1: 21). وكان بوسع سحرة مصر أن يقلدوا معجزات موسى بالسحر، ولكن عندما خلق الحياة من التراب، صرخوا: «هَذَا إصْبَعُ اللَّهِ» (خروج 8: 19). فقط الله قادر على إقامة الأموات (يوحنا 11). وكذلك، الله فحسب، الذي يقدر أن يعمل أشياء فوراً، مثل الشفاء الفوري للرجل الأعمى (يوحنا 9)، أو تحويل الماء إلى خمر (يوحنا 2). ولهذا فكثير من معجزات يسوع وتلاميذه حصلت «حالياً» (متى 8: 3؛ 20: 34؛ مرقس 2: 12؛ أعمال 3: 7). وحتى الداروينيون يقرون أنه أن حدث تغيير في شكل من الحياة إلى شكل آخر فوراً وليس تدريجياً، فإن ذلك هو معجزة.⁶⁷

ثمة خصائص أخرى للمعجزة مثل الدلالة على تدخل ذكي. وبما أن الله هو العقل المطلق، فإن حصلت أي حادثة في العالم الطبيعي تحمل طابع العلة الفائقة الذكاء، مثل الظهور المفاجئ للحياة (الفصل 3)، أو الصيغة الجديدة للحياة، فذلك يدل على أن لها علة فوق طبيعية. وأخيراً، بما أن الله هو المطلق الأخلاقي (انظر الفصل 3)، فالمرء يتوقع أن الغايات الأخلاقية من عمل الصلاح مرتبطة بأعماله.

ثمة كلمات عديدة مرتبطة بالمعجزات في العهد الجديد التي تظهر حضور اليد الإلهية، مثل «عجيبة» وهي أحداث خارقة لتشد الانتباه إليها. وكذلك: «القوة» التي لها مصدر خارق في الإرادة الإلهية. وكذلك «آية» التي تستعمل للتأكيد على رسالة الله (عبرانيين 2: 3 - 4). وباختصار، فالمعجزات هي فعل الله لتأكيد كلمة الله إلى شعب الله. وبهذا، تتصف المعجزات بالتالي:

أولاً، للمعجزات صفة خارقة. فهي استثنائية وتتعارض مع الطريقة الاعتيادية للأحداث في العالم الطبيعي. مثل «العجيبة» التي تجلب الانتباه بفرادتها. فشجيرة محترقة بدون أن تتلف، نار من السماء، شخص يمشي على سطح الماء هي كلها أحداث غير طبيعية. وبالتالي، فهي تجلب اهتمام المشاهدين.

⁶⁶ يمكننا أن ندرج سبباً خامساً هو السبب «الشيطاني». فإن قبلنا وجود روح شريرة، فعمله سيتحدد بالشر المرتبط به. وفي الكتاب المقدس إشارة إلى هذه الأعمال مثل الخداع (التكوين 3: 5؛ 2 تسالونيكي 2: 9)، والفساد (1 تيموثاوس؛ يهوذا 7)، والتعليم المزيف (كولوسي 2: 8 - 9؛ 1 يوحنا 4: 1)، والتنبؤات الكاذبة (التثنية 18: 21 - 22)، واستخدام الوسطاء (التثنية 18: 11)، واستعمال الأصنام والصور (الخروج 20: 3 - 4)، والعرافة (التثنية 18: 11).

⁶⁷ Michael Behe, *Darwin's Black Box*, 38.

ثانياً، للمعجزات **بعد لاهوتي**. المعجزة هي عمل الله وتستلزم أن الله فاعلها. إن النظرة التي تنص على أن الله وراء العالم الذي خلقه، ويتحكم به، ويقدر على أن يتدخل به هي التي تسمى **التوحيد** (انظر الفصل 3).

ثالثاً، للمعجزات **بعد أخلاقي**. فهي تمجد الله من خلال اظهار الصفة الأخلاقية له. والمعجزات أفعال مرئية تعكس طبيعة الله غير المرئية. وبالتالي، لا شيء شرير هو معجزة حقيقة، لأن الله صالح. والمعجزات بالطبيعة تهدف إلى إنتاج و/ أو تشجيع الخير.

رابعاً، للمعجزات **طابع تعليمي**. المعجزات في الكتاب المقدس متصلة بشكل مباشر أو غير مباشر بـ«إعلان الحق». (انظر الفصل 5 أدناه). وهي طريقة لإظهار النبي الحق من النبي المزيف (التثنية 18: 22). وهي تؤكد صدق الله من خلال خادم الله (عبرانيين 2: 3 - 4). إن الرسالة والمعجزة تسيران جنباً إلى جنب.

خامساً، إن للمعجزات **طابع غائي**. فخلافاً للسحر، فالمعجزات لا تقدم لأجل المتعة. وقد دفع الفضول بهيرودس للرغبة في رؤية معجزة، ولكن يسوع رفض فعلها (انظر لوقا 23: 8. قارن: متى 12: 39). المعجزات لها هدف مميز هو تمجيد الخالق وتقديم برهان لشعبه على الإيمان به من خلال تفويض نبي بحمل رسالة الله.

إمكانية المعجزات

الآن، بما أننا عرّفنا المعجزات، فيمكننا أن نبحث إن كانت ممكنة. ويكمن الجواب في الفصل السابق. إن كان الله موجوداً، فالمعجزات ممكنة. لماذا؟ لأنها عمل خارق من جانب الله، والأعمال الخارقة موجودة فحسب حيث يوجد كائن فوق طبيعي يقدر أن يتصرف بهذا الشكل. وقد ذكر سي. إس. لويس باقتدار، «إن كنا نقر بالله، فهل يجب أن نقر بالمعجزات؟ حقاً، حقاً، لا يوجد ما يقف ضدها. وهذا هو جوهر الأمر»⁶⁸.

وبعد، إن كان الله خلق العالم (انظر الفصل 3)، فأكبر المعجزات التي حصلت على الإطلاق - حيث تم صنع شيء من العدم. والمعجزات الأخرى في الكتاب المقدس هي عمل شيء من شيء آخر. فإن كان الله قادراً على صنع الماء من العدم، فليس لديه إشكالية أن يحول الخمر ماءً. وبالمثل، إن كان الله يقدر أن يعمل المادة من العدم، فإن تكثير الأرغفة مجرد عمل مادة من مادة.

في الواقع، فإن معجزات يسوع الكثيرة هي أفعال فورية (وهي إحدى علامات العمل الالهي) لما يحدث في الطبيعة بشكل تدريجي. فعلى سبيل المثال، فالماء ينساب إلى الأرض، إلى الأعلى عبر الجذور إلى الكرمة ثم إلى العنب. وماذا عمل يسوع عندما حول الماء إلى خمر، كان تسريع العملية. وهذا ينطبق على تكثير الأرغفة. فالقمح ينتج القمح بشكل طبيعي. ومرة أخرى، ما قام به يسوع كان تسريع العملية عندما قام بتكثير الأرغفة. وحتى عندما لعن شجرة التين، فإنه سرّع ما كان يحصل تدريجياً، أي الذبول.

⁶⁸ C. S. Lewis, *Miracles*, 109.

وهذا هو محور النقاش بين الداروينيين والخلقيين. أن التدرج هو علامة على التطور الطبيعي. ولكن الفجائية هو دلالة على الخلق. وهذا الحال، إذ ظهر في الفصل السابق أن الخلق قد حصل لدى نقطتين. الأولى، حينما عمل الله شيئاً من العدم لدى خلق المادة وهذا أمر معجز بما أنه كان فجائياً وغير متوقع - وبدون مادة مسبقاً. والنقطة الثانية، عندما ظهرت الحياة الأولى من عدم الحياة، فصارت فجأةً. وحتى الملحد فرنسيس كريك أقر بأنها كانت مثل «المعجزة».⁶⁹ والكلمات نفسها «التوليد التلقائي»، تظهر الطبيعة الإعجازية. إذ لم يكن ثمة حياة، وفجأةً ظهرت حياة بدون خطوات وسيطة تدريجية بين اللاحياة والحياة الأولى.

إذاً، وفق الدليل (انظر الفصل 3)، فالمعجزات حصلت في مرحلتين: الأولى، خلق المادة، والثانية خلق الحياة الأولى. وليس ثمة من تعليقات طبيعية لهذين الحدثين.⁷⁰

هل المزيد من المعجزات ممكنة؟

ما دام الله موجوداً، فالمعجزات ممكنة. وطالما المعجزات الكبرى قد حدثت، فلا سبب للاعتقاد أنه لا يمكن أن تحصل معجزات صغرى. وقد أظهر العلم إمكانية (بل فعلية) المعجزات؛ والتاريخ قادر أن يروي لنا إن كانت قد حصلت أي منها منذ ذلك الحين. ولكن نحن نعرف ذلك مقدماً قبل النظر في الدليل: إن كان الله خلق العالم، فهو قادر أن يقيم الموتى. وليس البعث مشكلة بالنسبة لخالق الحياة (انظر الفصل 8). وحتى ديفيد هيوم الفيلسوف الريبي أقرَّ إنّ إقامة الموتى سيكون معجزة.⁷¹ وإن كان الأمر كذلك، فلماذا يرفض العقل الحديث المعجزات؟ والجواب في كلمتين هو: بسبب ديفيد هيوم (ت 1776). فحججه ضد المعجزات هي المهيمنة على المشهد الثقافي لأكثر من مئتي سنة مضت. ويمكن وضع حجة هيوم في صيغتين. دعونا نبدأ من الحجة الأقوى أولاً.

حجة هيوم ضد إمكانية المعجزات (الصيغة الصعبة)

⁶⁹ انظر فرنسيس كريك، في كتابه: *Life Itself*، الذي يكتب: «إن المرء الصادق، المزود بكل المعرفة المتوفرة اليوم، لا يمكن إلا أن يصرح ببعض المنطق، أن أصل الحياة قد ظهر في لحظة هي تقريباً بمثابة معجزة، وعديدة هي الشروط التي يجب أن تكون متوفرة لاستمرارها» (التشديد مضاف).
⁷⁰ إن تجارب يوري وميللر لم تنتج الحياة من عدم الحياة. فهما قد أنتجا أحماض أمينية فحسب فقط بعد تدخل ذكي في العملية (في اختبار المواد الكيميائية، والجهاز المستخدم، وفي العملية المستخدمة). وبالإضافة إلى ذلك، فإن الاستنساخ يبدأ بأجزاء من الكائنات الحية لإنتاج كائنات حية أخرى. وأخيراً، وحتى لو قدر العلماء في النهاية على إنتاج الحياة من عدم الحياة، فإن هذا سيرهن على أن ذلك يستدعي علة ذكية، وليس علل طبيعية محضة.

⁷¹ David Hume, *An Enquiry Concerning Human Understanding*, Book X.

لقد شن هيوم هجومه على المعجزات بالتعليق: «أني أشعر بالرضى لأنني اكتشفت الحجة... التي، لو كانت صحيحة، ستكون، بالنسبة للشخص الحكيم والمتعلم، الاختبار الدائم لكل أنواع وهم الخرافة، وبالنتيجة ستكون مفيدة طالما العالم مستمر».⁷² وتسير حجة هيوم على الشكل التالي:

1. إن المعجزات بالتعريف تخرق قوانين العالم.
2. إن قوانين العالم قد توطدت بـ«التجربة الثابتة وغير قابلة للتغيير».
3. بهذا، فد«البرهان ضد المعجزة، هو من صميم طبيعة الواقعة، وهو كامل مثل البرهان من التجربة التي يمكن تصورها».

وقد كتب هيوم: «بالتالي، ثمة شيء يجب أن يكون التجربة المنتظمة ضد كل حدث معجز. وإلا الحدث لن يستحق هذه التسمية».⁷³ وبهذا، «لا شيء يُعتبر معجزة إن حدث قط في مسار العام للطبيعة».⁷⁴

رد على حجة هيوم الصعبة ضد المعجزات

في صيغة هذه الحجة، يصادر هيوم على المطلوب ببساطة بتحديد المعجزات أنها مستحيلة. فإن كانت المعجزات «خرق»، لما هو غير قابل لـ«التغيير»، وبالتالي المعجزات هي بالحقيقة مستحيلة. إن تجربة «المنتظم» لهيوم مصادرة على المطلوب أو مرافعة خاصة. إنها مصادرة على المطلوب إن كان هيوم يفترض أن معرفة التجربة هي موحدة وسابقة على الدليل. كيف يمكن للمرء أن يعرف أن كامل التجربة الممكنة ستؤكد المذهب الطبيعي بدون الوصول إلى كل التجارب الممكنة، الماضية، الحاضرة، والمستقبلية؟ وعلى الجانب الآخر، إن كان هيوم يقصد ببساطة بالتجربة «المنتظمة» التجارب المختارة لبعض الأشخاص (الذين لم يصادفوا معجزات)، فهذا التماس خاص. إذ ادعى آخرون أنهم اختبروا معجزات، كما لاحظ ستانلي جاكبي: «بقدر ما كان ذا نزعة حسية أو فيلسوفاً تجريبياً، فهو قد أعطى مصداقية متساوية للاعتراف بأي واقع، عادي أو استثنائي».⁷⁵

إن ملاحظة سي. اس. لويس في هذه النقطة: «علينا أن نوافق الآن مع هيوم إن كان ثمة «تجربة منتظمة» ضد المعجزات، وبكلمات أخرى فهي لم تحدث، فلما إذا لم تحدث. للأسف نحن نعرف أن التجربة ضدها متسقة فقط إن كنا نعرف أن جميع الأخبار بشأنها كانت مزيفة. ونحن نقدر أن نعرف أن جميع الأخبار مزيفة فقط إن كان نعرف من قبل إن كل المعجزات لم تحصل أبداً. وفي الواقع نحن نحاجج باستدلال دائري».⁷⁶

⁷² Ibid., 10.1.18.

⁷³ Hume, *An Enquiry Concerning Human Understanding*, 10.1.122–23.

⁷⁴ Ibid.

⁷⁵ Jaki, *Miracles and Physics*, 23.

⁷⁶ Lewis, *Miracles*, 105.

حجة هيوم ضد مصداقية المعجزات (الصيغة اللينة)

إن أعطينا لهيوم قرينة الشك، فإنه حجته ستكون في صيغة لينة على الشكل التالي، ومع ذلك تبقى فعالة. وهي ليست حجة على استحالة المعجزات، بل على عدم مصداقيتها:

1. إن المعجزة بالتعريف هي نادرة الحدوث.
2. إن القانون الطبيعي بالتعريف هو وصف للحادثة الاعتيادية.
3. إن الدليل على الأمر الاعتيادي هو دائماً أعظم من الدليل على الأمر النادر.
4. الأفراد الحكماء يؤسسون إيمانهم دائماً على الدليل الأكبر.
5. وبالتالي، لا يجب على الأفراد الحكماء أن يؤمنوا بالمعجزات قط.

لاحظ أن هذه الصيغة «اللينة» للحجة لا تستثنى المعجزات، بل تربط مصداقيتها بطبيعة الدليل. فلا يدعي الناس الحكماء أن المعجزات لا يمكن أن تحدث قط، بل بساطة لا يؤمنون قط أنها تحدث.

وفي هذا التفسير «اللين» للحجة، فالمعجزات ما زالت مستبعدة، بما أنها بطبيعة الحالة لا يجب على الناس المفكرين أن يتبنوا أنها تحدث حقاً. وإن كان الأمر كذلك، فهيوم على ما يظهر يتجنب المصادرة على المطلوب ومع ذلك يقصي بنجاح إمكانية الإيمان العقلاني بالمعجزات. وما زالت تنويعات مختلفة لهذه الحجج تُعتبر مقبولة من قبل بعض الفلاسفة المعاصرين الموقرين على نطاق واسع.⁷⁷

تقييم حجة هيوم ضد مصداقية المعجزات

في هذه الصيغة من الحجة، فالمقدمة رقم 3: الدليل على أن الاعتيادي هو دائماً أعظم من النادر. وهذا زيف بشكل واضح، وبالإمكان تباين ذلك من المثال المضاد من وجهة نظر هيوم الطبيعية للعالم. إذ ثمة أمثلة عديدة يعتقد فيها المؤمن بالطبيعة أنها الدليل الأكبر على الحدث المفرد من الحدث الاعتيادي.

1. يعود أصل الكون إلى حدث مفرد. كما أظهرنا سابقاً (الفصل 3)، فالكون المكاني - الزماني - الفيزيائي ليس سرمدياً. فله بداية، حسب القانون الثاني من الديناميكا الحرارية وهو ينضب من الطاقة النافعة منذ ذلك الحين. ويعتقد أغلب علماء الفيزياء الفلكية أن الكون بدأ بالانفجار الكبير، وهم يستعملون مجموعات أخرى مختلفة للبرهنة على آرائهم: توسع الكون، صدى الإشعاع، النظرية النسبية العامة لأينشتاين، كتلة الطاقة الكبيرة المكتشفة بواسطة مرصد الفضاء هابل. وبهذا، فحسب محاجتهم، وُجد الكون بالانفجار من العدم لمرة واحدة، وأن ذلك لم يتكرر ثانية. وهذا بالتعريف هو حدث مفرد، وهم يدعون بوجود أدلة متعددة تشير إليها. ومع ذلك

⁷⁷ أكثر مجموعات أبحاث اكتمالاً في الدفاع عن المعجزات تجدها في: Doug Geivett, ed., *In Defense of Miracles*.

فإن الحالة الفردية حصلت. ولكن وفق معيار هيوم، فالمرء الحكيم لا يجب أن يصدق حدوث شيء قط ما دام لم يتكرر مرة تلو المرة.

2. يعود أصل الحياة إلى حدث مفرد. ثمة فرادة ثانية يعتقد العلماء الطبيعيين⁷⁸ أنها حصلت. وبعضهم قد استعمل بشأنها كلمة «معجزة»، أي التوليد التلقائي للمرة الأولى. وأمثال هؤلاء العلماء يعتقدون أن الحياة جاءت من عدم الحياة مرة واحدة في الماضي، ولا يوجد دليل على أنها تكررت منذ ذلك الحين. وفي الواقع، فإن ردي وباستور لهما الفضل البرهنة على أن الحياة لم تحدث من عدم الحياة التوالد التلقائي. ويعتقد أصحاب النظرة الطبيعية أن الدليل يشير إلى ذلك الحدث الذي جرى لمرة واحدة في الماضي السحيق ولم يتكرر قط، بقدر ما يمكن أن نلاحظه. ولكن حسب هيوم، الذي كان من أصحاب الطبيعة، فلا شخص حكيم يجب أن يصدق قط التوالد التلقائي للحياة الأولى. فضلاً على أنه حسب اعتقادهم الخاص، فإن ذلك لم يحصل.

3. التطور الدقيق حدث مفرد. كل العلماء الطبيعيين يعتقدون بشكل ما بوجود نوع من التطور الدقيق، أي أن كل الحياة تطورت من سلف مشترك على فترة زمنية طويلة بوسائل طبيعية بدون تدخل فوق طبيعي. وحتى الكثير من التطوريين يشيرون إلى التطور الدقيق على أنه «حقيقة». ومع ذلك، فالتطور الدقيق لم يتكرر قط، لا في الطبيعة ولا في المختبر. فهو فريد، لم يتكرر، كما يعتقدون أن الدليل يشير إلى ذلك. ولكن مرة أخرى (وحتى إلى درجة أن يسموه «حقيقة»)، وحسب حجة هيوم ضد المعجزات، فليس من شخص حكيم من يؤمن بمثل هذه الفرادة. ويظهر بجلاء أن حجة هيوم ضد المعجزات تصيب نفسها بمقتل.

وثمة إشكالية أخرى بخصوص حجة هيوم تستحق الذكر هنا. وهي:

4. إن حجة هيوم تبرهن أكثر مما يجب. فهي تبرهن إنه وإن حصلت معجزة، فلا يجب على الشخص الحكيم أن يؤمن بها! لأن في الصيغة الثانية للحجة، لم يستبعد هيوم إمكانية حدوث معجزة. بل هو ببساطة حاجج ضد مصداقية الإيمان بأن مثل ذلك قد حدث. فإن كانت المعجزة قد حصلت في الواقع، فحسب منطق هيوم، فلا يجب على الشخص الحكيم أن يصدق أنها جرت. ويبدو بوضوح أننا أمام أمر خاطئ في الحجة، «حتى لو حصل حدث ما فعلاً، على كل حال لا يجب عليك أن تصدق أن ذلك قد حصل!». وهذا ما يجعل المرء يقول: «الكثير من الشك يفقدك صوابك!».

5. إن نظرة هيوم ستلغي تاريخ نابليون. إن من سخرية الأمور أن ريبية هيوم كفيلاً بأن تلغي أحد وظائفه. فهو كان مؤرخاً، وكتب تاريخ إنجلترا. وبوصفه مؤرخاً، فقد كان واعياً للأحداث الفردية في الماضي. وكان تاريخ نابليون مليئاً بها. وهذا ما جعل ريتشارد ويتلي يكتب عملاً بعنوان: «الشكوك التاريخية المتعلقة بتاريخ نابليون بوناپرت»، حيث سخر في كتابه من نظرة هيوم، إذ أظهر أنه إن طبقنا معيار هيوم برفض تصديق الأحداث غير الاعتيادية، فلا يجوز لأحد أن يؤمن بتاريخ نابليون. لأن أعمال نابليون كانت من الروعة، والاستثنائية، وغير مسبوقه، فلا يمكن لشخص عاقل أن يعتقد بأن هذه الأحداث قد وقعت. وبعد رواية نجاحات نابليون العسكرية المدهشة التي لا مثيل لها، كتب ويتلي: «هل يؤمن أي شخص بكل هذه الأمور، وبعد ذلك

⁷⁸ [أصحاب النظرة الطبيعية].

يرفض المعجزة؟ أو بالأحرى، ما هذا إلا معجزة؟ أليس هذا خرقاً لقوانين الطبيعة؟». فإن كان الريبون لا ينفون وجود نابليون، فإنه «يجب على الأقل أن يقرّوا أنهم لا يطبقون على هذه المسألة نفس خطة التفكير الذي استعملت في مواضع أخرى».⁷⁹

6. إن هيوم/أضاف دليلاً أكثر من تقييمه له. يوجد في أساس حجة هيوم خطأ أساسي: فهو يضيف دليلاً أكثر من تقييمه للدليل. خلاصة القول، هو يخلط الدليل والاحتمال. وبدقة أكثر، هو يضيف دليل لأحداث الماضي الطبيعية، أكثر من تقييم الدليل على الحدث الحالي فوق الطبيعي. فمثلاً، ليس على صلة بالموضوع إن كان يسوع قد قام من الموت ليضيف أن كل الناس قبله أنهم لم ينهضوا من الموت. الأمر الوحيد المتصل بالموضوع هو إن كان يوجد دليل على أن يسوع قد مات فعلاً وبعد أيام قليلة قام من الموت (انظر الفصل 8 لاحقاً). إن إضافة كل أدلة الماضي على الذين ماتوا ولم ينهضوا من الموت ليس على صلة بهذه المسألة. الأمر الوحيد الذي يحسب هو وزن الدليل المتوفر على قيامة يسوع من الموت. وحسب منطق هيوم، ليس ثمة من اختراع جديد أو تقدم طبي يمكن أن يقبل لأن ذلك لم يكن في الماضي. وقد اعترف هيوم بمغالطة هذا التحليل في مكان آخر عندما أقر، بناءً على مطابقة الماضي، أنه لا يمكن أن معرفة أي شيء صحيح فيما يخص المستقبل. وقال، نحن لا نقدر أن نعرف بثقة أن الشمس ستشرق غداً.⁸⁰ لأنه بالنسبة لهيوم، فإن رفض معجزات المستقبل يقوم على التجربة الماضية وهو أمر يتضارب مع مبادئه نفسها.

رفض علمي على المعجزات

وقبل أن نختم هذا الفصل بخصوص إمكانية المعجزات، بقي أن ننظر في اعتراضين. الأول، من الطبيعية المنهجية⁸¹ تقول إن المعجزة خرق للأجراء العلمي. وقال أصحابها إنه ليس من حدث معصوم عن التحليل العلمي. والسماح للمعجزات مثل تشييد علامة «ممنوع التجاوز» على واقعة. وقالوا إنه لا يمكن أن يُحال بين العلم والعالم الطبيعي. فكل ما يحدث في العالم الطبيعي متاح للبحث الطبيعي. والقبول بعالم المعجزات يعني كبح العلم عن التقدم.

رد على هذا الاعتراض العلمي

ثمة أشياء عديدة يجب أن تذكر في الرد. قبل كل شيء، إن كانت الفرضية الكامنة تعني: «إن كل الأحداث في العالم الطبيعي لها علل طبيعية»، وبالتالي هذا مصادرة على المطلوب لصالح الطبيعية. فالعلم يجب أن

⁷⁹ Richard Whately, *Historical Doubts Concerning the Existence of Napoleon Bonaparte*, 274, 290.

⁸⁰ David Hume, *An Abstract of Treatise on Human Nature*, 14–16.

⁸¹ إن الطبيعية المنهجية (خلافاً للطبيعية الميتافيزيقية التي تنكر المعجزات بجورها) تؤكد فقط على أن المنهج المسمى «علمياً» يتطلب أن نضع العلل الطبيعية للأحداث في العالم الطبيعي.

يكون مفتوحاً لأي سبب يمكن أن يكون. إمّا أن يكون لديك حكم مسبق على كل حدث سلفاً بالتأكيد على أن له سبباً طبيعياً، فهذا الحكم المسبق لا يظهر عقلاً منفتحاً في البحث وهو الواجب توفره في العالم.

ثانياً، أقر العلم الحديث بالفراة (في أصل الكون) الذي ليس له علة طبيعية منذ أن سمى العالم الفلكي اللأدرى روبرت جاستروا العلة «خارقة الطبيعية». وبخصوص أصل الحياة الأولى، فإنه حتى العالم الملحد فرانسيس كريك استعمل مفردة «معجزة» بشأنه.

ثالثاً، إن المعجزات لا تمنع البحث العلمي بالمعنى التجريبي لأن البحث يقوم على الأحداث العادية، والمعجزات بالتعريف ليست حدثاً عادياً. وبهذا، فالعلم الحق في البحث عن السبب الطبيعي لكل حدث هو جزء من النمط الاعتيادي للطبيعة. وبهذا، فالافتراض أن وجود علة خارقة لبعض الأحداث العادية هو مغالطة «إله الفجوة». وقد كان نيوتن مخطئاً عندما استحضر الله لتفسير أنماط من مسار الطبيعة الاعتيادي. وبهذا، تكون أية محاولات أخرى للقيام بنفس الشيء. والأحداث المفردة، مثل المعجزات، ليس جزءاً من النمط الطبيعي للعالم. بما أنها ليست موضوعاً للبحث التجريبي العلمي.⁸²

رابعاً، أن تلك الحجة المسماة «علمية» ضد المعجزات تفشل في تذكر أنه ليست كل الأحداث لها أسباب طبيعية. فالعلل الذكية كانت دائماً جزءاً منطقياً من البحث العلمي، كما يدل على ذلك علم الآثار [الأركيولوجيا]، وعلم الشفرات، والطب الشرعي، ونظرية المعلومات، وبرنامج البحث عن الذكاء خارج الأرض. وهي كلها تتعامل مع أحداث مفردة تسمح بأن تكون ناتجة عن كائن ذكي. وبما أن المعجزات، مثل تلك الأحداث، لها علة ذكية، فيجب أن تُبحث وفق نفس القاعدة، أي يُفحص الدليل إن كان يشير إلى علة ذكية. ولكن أن تلغي العلة الذكية لشخص ميت قد رجع للحياة (القيامة)، قبل أن تفحص الدليل هو مخالف لهذا النوع من العلم. لا سيما أننا نعرف (كما أظهرنا في الفصل 3) أن ثمة إلهاً فائق الطبيعة قادرٌ أن يعمل مثل هذه الأحداث الخارقة.

الاعتراض التاريخي على المعجزات

إن مبدأ التماثل قد وضعه إرنست ترويلتس (ح 1865 - 1923 م)⁸³ لدراسة الماضي. فهو طرح فكرة أن الماضي يمكن أن يعرف من ناحية الحاضر. وبما أنه لا تحدث معجزات في الحاضر، فهذا يؤكد على أنه ليس لدينا أي أساس لافتراض حدوثها في الماضي. وعلى ضوء هذا المبدأ، يرى البعض أنه لا يجوز الإيمان بالمعجزات في الكتاب المقدس لأنها لا تتعلق بما يحدث الآن. وبهذا، فالمنهج التاريخي السليم يقصي المعجزات.

⁸² بالطبع، إن تمكن العلماء من إظهار أن حدثاً (مثل خسوف القمر)، رغم أنه عرضي، هو جزء من النمط الاعتيادي، والموضوع الملائم للعالم. ولكن هذا ليس الحال مع المعجزات في الكتاب المقدس لأنها ليست جزءاً من أي نمط طبيعي، وبالتالي، لا يمكن التنبؤ بها على هذا النحو.

⁸³ See Ernst Troeltsch, "Historiography," in *Encyclopedia of Religion and Ethics*, ed. James Hastings.

وثمة اعتراف عريض اليوم من جانبي النقاش أن الولادات العذرية، أو قيامة الأموات، أو المشي على الماء لا تحدث اليوم. وبهذا، إن سرنا مع مبدأ التماثل فمثل هذه الأحداث لما يمكن أن تعرف أنها حدثت في الماضي. ووفق هذا المبدأ، فالمعجزات في الكتاب المقدس لا يمكن أن تكون قابلة للمعرفة تاريخياً.

وقد صرح أنتوني فلو بهذا الطريقة: (1) كل التاريخ النقدي متعلق بصلاحيّة مبدأين: (أ) إن بقايا الماضي يمكن أن تُستعمل كبرهان على إعادة تركيب التاريخ فقط عندما نسلم بنفس الضوابط الأساسية للطبيعة آنذاك والآن (ب) إن المؤرخ النقدي يجب أن يستعمل معرفة الحاضر الممكنة والمحمّلة كمعايير لمعرفة الماضي. (2) ولكن الإيمان بالمعجزات هو عكس هذين المبدأين. (3) بالتالي، فالإيمان بالمعجزات يتعارض مع التاريخ النقدي. وإن كان الحال كذلك، فالأشخاص السذج فقط وغير النقيدين يمكن أن يصدقوا المعجزات. والماضي يمكن معرفته فقط من خلال أنماط الحاضر الاعتيادية. وهذه أنماط الطبيعة في الحاضر تلغي أي معرفة للمعجزات في الماضي.

رد على الحجة التاريخية ضد المعجزات

أولاً، يجب أن نلاحظ أن هذه الحجة لا تقول إنها تلغي إمكانية المعجزات، بل هي ببساطة تسعى إلى استبعاد إمكانية معرفتها بما يسمى «التاريخ النقدي». فهي لا تنفي إمكانية المعجزات.

ثانياً، الحجة تخلط بين مبدأ التماثل (الحاضر هو مفتاح الماضي) والوتيرة الواحدة (كل أحداث الحاضر والماضي لها أسباب طبيعية). وليس ثمة فقط عدم تبرير للوتيرة الواحدة، بل أنها صادرة على المطلوب لصالح الطبيعية. وبالإضافة إلى ذلك، أنه ضد البحث العلمي، الذي يترك المجال للعلل الذكية لبعض أنواع محددة من الحوادث (مثلاً: علم الآثار وعلم الشفرات).

ثالثاً، خلافاً لمبدأ التماثل الصالح، الذي يفترض الحاضر مفتاحاً للماضي، وأن كل أنواع العلل التي نلاحظها تنتج أنواع محددة من الأحداث في الحاضر يجب أن نفترض أنها أنتجت أحداثاً مشابهة في الماضي. فمثلاً، تخبرنا الملاحظة المتكررة أن النصال [رأس الأسهم] تُصنع من جانب الكائنات الذكية. وبهذا عندما نكتشف نصلاً مدفوناً من الماضي، نفترض أن صانعه علة ذكية. وبالمثل، إذ رأينا بشكل متكرر نحاتين ينتجون منحوتات في الحاضر، فأمثال هذه المنحوتات الموجودة في الماضي نفترضها نتاج علة ذكية. وبنفس الطريقة، إن كنا نعرف من الملاحظة المتكررة في الحاضر أن النقوش هي نتاج كائنات ذكية، فإن أظهر التنقيب بعضها من الماضي، فإننا نعزوها لعلة ذكية. وبنفس المنطق، عندما نرى تعقيداً محدداً في اللغة البشرية هو نتاج كائن بشري في الحاضر، فعندما نجد تعقيداً محدداً بنفس الضرب من الحياة الأولى في الماضي، نصل إلى استنتاج أن له علة ذكية (انظر الفصل 3). ولكن هذا ما نعيه بالحدث فوق الطبيعي للخلق، أي، حدث من الماضي لم ينتج من قوانين طبيعية، بل بتدخل ذكي في العالم الطبيعي. وبهذا، فبدلاً من أن ينهض مبدأ التماثل دليلاً ضد المعجزات، فهو في الواقع حجة لصالح المعجزات.

الخلاصة

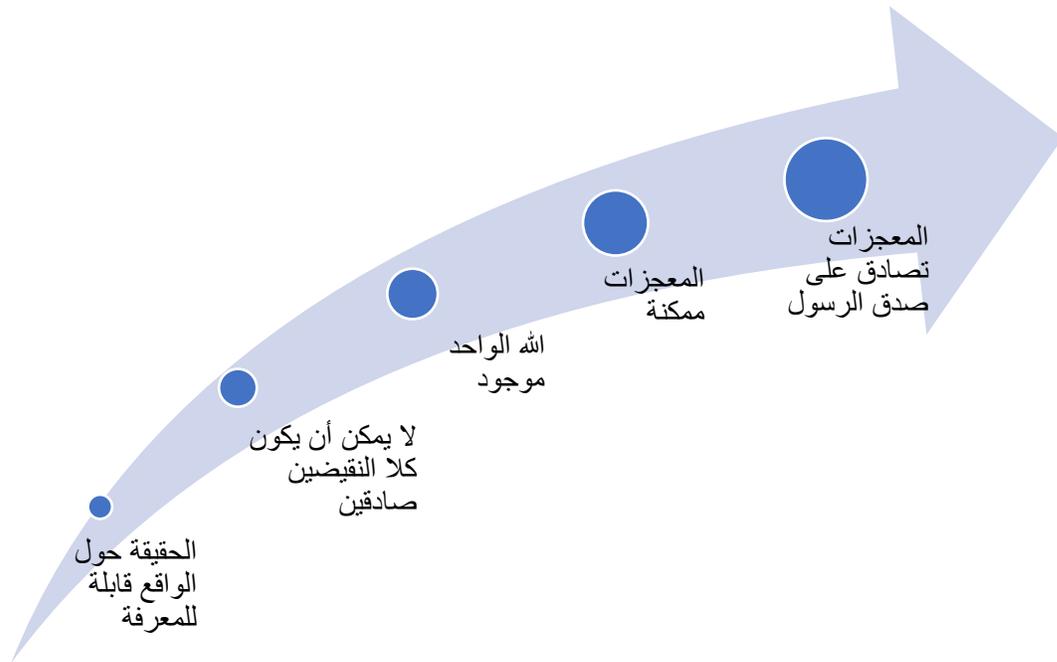
إن كان الله - الله الواحد - موجوداً، فالمعجزات ممكنة. وقد بيّنا (في الفصل 3) وجود دليل متين على وجود الله. وبالتالي، ينتج من هذا أن المعجزات ممكنة وأن المعجزة الكبرى - الخلق - قد حصلت فعلاً. الله، الذي خلق العالم من العدم لا يمكن أن يُحال بينه وبين العالم الذي صنعه. فهو قادر على التدخل متى وحينما يريد. الله الذي صنع الحياة من عدم الحياة، لقادر على أن يعيد الحياة إلى الجسد الميت.

إن الحجج ضد إمكانية المعجزات هي دائرية، فهي مصادرة على المطلوب بافتراض (وهو ما يجب أن يُبرهن عليه) أن لكل أحداث العالم علل طبيعية. وهذا ليس فقط زيف، بل هو عكس العلم، الذي يترك المجال دائماً للعلل الذكية (في علم الآثار، الطب الشرعي، علم التشفير، وبرنامج البحث عن الذكاء خارج الأرض، ونظرية المعلومات). وأن مبدأ التماثل (الذي نعرف به الماضي) لا يلغي العلل الذكية لأحداث الماضي. بل على العكس، هو يستدعيها في علم الآثار والبيولوجيا. وبخصوص التعقيد المحدد للحياة الأولى، بالتماثل مع التعقيد المحدد الذي نعرفه في الحاضر، فيجب أن يكون ثمة علة ذكية. وهذا ما يفهمه العلم على حق فلا يقصي التدخل الذكي في الطبيعة؛ بل، يستدعيها. يمكن للمعجزات أن تحصل. والمعجزة الكبرى (الخلق) قد حدثت، وعلينا أن نفحص الدليل لرؤية إن كان ثمة معجزات أخرى (مثل التي وردت في الأناجيل) قد حصلت (انظر الفصل 8).

<p>✓ المقصد الرئيس للمعجزات حسب الإسلام</p> <p>✓ غير المؤمنين أيضاً يعترفون أن المعجزات يمكن أن تأتي لتأكيد على الإلهي</p> <ul style="list-style-type: none"> ● العلاقة المنطقية بين المعجزات والتأكيد الإلهي ● معيار المصادقة بالمعجزات 	<p>المسائل الاثني عشر</p> <ol style="list-style-type: none"> 1. الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة 2. لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين 3. إنها حقيقة أن الله الواحد موجود 4. المعجزات ممكنة 5. يرتبط حدوث المعجزات بدعوى صادقة تعلن حق الله عبر رسل الله 6. العهد الجديد نص موثوق 7. كما شهد العهد الجديد، فيسوع المسيح أعلن أنه الله 8. إعلان يسوع أنه الله تأكد بمجموعة فريدة من المعجزات 9. وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد. 10. كل ما أكده يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق 11. يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله 12. إذاً، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي
<p>ملخص الفصل</p> <p>لقد رأينا من قبل أن الله موجود (الفصل 3) وبهذا، فالمعجزات ممكنة (الفصل 4). وفي هذا الفصل سنرى أن المعجزات قد تأتي للبرهنة على إن كانت رسالة ما مرتبطة بالله فعلاً. ولكي تكون ذلك، يجب أن تكون خارقة حقاً، متعددة، فريدة، ومرتبطة بالحق المعلن عنه. والقيام بتنبؤات (بما سيحدث) مسبقاً عن الحدث، مما يعطي الحدث تأكيداً أكبر على أنه من الله. وفي الفصول التالية سنرى أن نصوص العهد الجديد موثقة تاريخياً (الفصل 6)، وأن يسوع أعلن أنه الله الظاهر في الجسد (الفصل 7)، وأن هذا الدعوى تبرهننت بالتقاء ثلاث مجموعات من المعجزات غير مسبوقه وفريدة (الفصل 8). وبهذا، نجد أن يسوع هو تجسد الله الواحد، الله القوي، الواحد، خالق الكون (الفصل 3) في جسد بشري!</p>	<p>مسودة الفصل: يرتبط حدوث المعجزات بدعوى صادقة تعلن حق الله عبر رسل الله</p> <ul style="list-style-type: none"> ● المقصد الرئيس للمعجزات ✓ المقصد الرئيس للمعجزات في اليهودية ✓ المقصد الرئيس للمعجزات حسب المسيحية

5 يمكن أن تأتي المعجزات لتأكيد رسالة من الله

هذا الفصل واحد من سلسلة براهين (الفصل 1). ولقد رأينا أن الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة (الفصل 1)؛ وأن المتناقضين لا يمكن أن يكون كلاهما صادقين (الفصل 2)؛ وأن الله الواحد موجود (الفصل 3)، وأن المعجزات ممكنة (الفصل 4). وفي هذا الفصل سنطرح سؤالاً بخصوص إن كانت المعجزات التي تأتي بالارتباط مع الدعوى الحق هي تأكيد إلهي على هذه الدعوى.



مع نهاية هذا الفصل، سنظهر أن نصوص العهد الجديد موثوقة تاريخياً (الفصل التالي، 6). ومن ثم سنفحص العهد الجديد لنرى أنّ يسوع المسيح لم يعلن أنّه الله فحسب (الفصل 7)، بل أن ألوهيته قد تبرهننت بكم فريد للمعجزات (الفصل 8). وإن كان الأمر كذلك، فبوسعنا أن نصل إلى استنتاج أنّ يسوع هو الله الظاهر في الجسد (الفصل 9). وبالطبع، أي شيء أكدّه يسوع (الذي هو الله) أنه حق، فهو حق (الفصل 10). وبالختام، سنرى أن يسوع قد أكد أنّ الكتاب المقدس كلمة الله (الفصل 11). ويتبع من هذا أن الكتاب المقدس هو كلمة الله (الفصل 12). وقد رأينا فيما مضى (الفصل 2)، أن أي ما يعارض الحق الكتابي هو زائف. وهذه هي كل

الحكاية، ولكن لم تنتهي منها بعد. أولاً، علينا أن نناقش جزءاً هاماً من الحجة، أي أن المعجزات تأتي بالارتباط مع دعوى أنها أعمال الله لتأكيد الحق من خلال رسول الله.

وكما ظهر في الفصل الرابع، إنّ الله الواحد موجود، وبالتالي، فالمعجزات ممكنة. والآن، نحتاج إلى معرفة ما هي غاية المعجزة، إنّ قام بها أحد ما. والجواب هو بصيغة قديمة للأديان التوحيدية الثلاثة (اليهودية، الإسلام، والمسيحية) هي نفسها: المعجزات تأتي ارتباطاً مع الحق المعلن، وهي أعمال الله لتأكيد حق الله من خلال مرسل من الله.⁸⁴

المقصد الرئيسي للمعجزات

من المعقول الافتراض أن الله الذي صنع البشر على صورته (تكوين 1: 27) يريد أن يتواصل معهم. ولكن كيف للبشر أن يعرفوا أن من يكلمهم هو الله؟ الجواب يكمن في المعجزات. وأحد الأشياء الفريدة بالكائن المتعال هو أعماله الخارقة. وسيكون مفهوماً أن الله سيؤكد رسالته للبشر عبر وسائل خارقة. وبالفعل، هذا ما تقول به الأديان الثلاثة التوحيدية: اليهودية، المسيحية، والإسلام.

المقصد الرئيسي للمعجزات في اليهودية

جاء في العهد القديم، أنه حينما دعا الله موسى لإخراج شعب إسرائيل من مصر، أجاب موسى الله: «وَلَكِنْ هَا هُمْ لَا يُصَدِّقُونَنِي وَلَا يَسْمَعُونَ لِقَوْلِي، بَلْ يَقُولُونَ: لَمْ يَطَهَّرْ لَكَ الرَّبُّ»، عندها ردّ الله عليه: «مَا هَذِهِ فِي يَدِكَ؟»، فأجاب موسى: «عَصَا». فقال له الرب: «اطْرَحْهَا إِلَى الْأَرْضِ»، فقام موسى برميها على الأرض، فصارت حية «فَهَرَبَ مُوسَى مِنْهَا»، فقال الرب: «مُدَّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنبِهَا»، فمدّ موسى يده وأمسك بذنب الأفعى، «فَصَارَتْ عَصَاً فِي يَدِهِ». فقال له الله: «لَكِنِّي يُصَدِّقُوا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِهِمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ» (الخروج 4: 1 - 5. التشديد مُضَاف). وأنه لجلي أن المعجزات تهدف إلى تأكيد رسالة الله الموكلة له، وفي الواقع، هي جملة معجزات، «إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا وَلَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ الْآيَةِ الْأُولَى، أَنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ صَوْتِ الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ. وَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِكَ، أَتَكَ تَأْخُذُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ وَتَسْكُبُ عَلَى الْيَابِسَةِ، فَيَصِيرُ الْمَاءُ الَّذِي تَأْخُذُهُ مِنَ النَّهْرِ دَمًا عَلَى الْيَابِسَةِ» (الخروج 4: 8 - 9).

ولاحقاً، عندما تحدى قورح سلطة موسى، أيّد الله موسى بمعجزة. وقد قال موسى لقورح ولكل قومه أتباعه: «عَدَا يُعْلِنُ الرَّبُّ مَنْ هُوَ لَهُ، وَمَنْ الْمُقَدَّسُ حَتَّى يُقَرِّبَهُ إِلَيْهِ. فَالَّذِي يَخْتَارُهُ يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ». ثم قال موسى: «بِهَذَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي لِأَعْمَلِ كُلِّ هَذِهِ الْأَعْمَالِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ نَفْسِي. إِنَّ مَاتَ هُوَ لَأَيَّ كَمَوْتِ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَأَصَابَتْهُمْ مَصِيبَةٌ كُلِّ إِنْسَانٍ، فَلَيْسَ الرَّبُّ قَدْ أَرْسَلَنِي. وَلَكِنْ إِنْ ابْتَدَعَ الرَّبُّ بِدَعَاةٍ وَفَتَحَتْ الْأَرْضُ فَاهَا

⁸⁴ بالطبع، الله قادر أن يعمل معجزات في أي وقت شاء، سواء بالارتباط مع دعوى الحق لنبي الله، أو بعدم ارتباط معها. وبكل حال، فمثل هذه الأعمال الفائقة لا تكتسب أهمية دفاعية لتثبيت حقيقة أي دين.

وَابْتَلَعْتَهُمْ وَكُلَّ مَا لَهُمْ، فَهَبَطُوا أَحْيَاءَ إِلَى الْهَاطِيَةِ، تَعْلَمُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ اذْدَرَوْا بِالرَّبِّ»، وبالفعل، «نَزَلُوا هُمْ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُمْ أَحْيَاءَ إِلَى الْهَاطِيَةِ، وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمِ الْأَرْضُ، فَبَادُوا مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ» (العدد 16: 5، 28 - 30، 33). وبهذا، ترسخت سلطة موسى بقوة من هذه المرحلة.

ولاحقاً، عندما وقع مؤمنون تحت تأثير الآلهة الوثنية، تحدى إيليا شعب إسرائيل، فقال: «حَتَّى مَتَى تَعْرُجُونَ بَيْنَ الْفُرْقَتَيْنِ؟ إِنْ كَانَ الرَّبُّ هُوَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ كَانَ النَّعْلُ فَاتَّبِعُوهُ» (1 ملوك 18: 21). ولكي يبرهن لهم على أنه نبي من الله الحق، اقترح إيليا مبارزة حيث يحاول كل طرف أن يستحضر تأكيداً خارقاً. وعندما لم يقدر أنبياء البعل أن ينزلوا ناراً من السماء على الذبيحة، قام إيليا بعمل مذبح لله وحفر خندقاً حول المذبح وصلى: وَقَالَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ، لِيُعْلَمَ الْيَوْمَ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ فِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَبِأَمْرِكَ قَدْ فَعَلْتُ كُلَّ هَذِهِ الْأُمُورِ» (1 ملوك 18: 36). ويضيف النص: «فَسَقَطَتْ نَارُ الرَّبِّ وَأَكَلَتِ الْمُحْرِقَةَ وَالْحَطَبَ وَالْحِجَارَةَ وَالتُّرَابَ، وَلَحَسَتِ الْمِيَاهُ الَّتِي فِي الْقَنَاطَةِ. فَلَمَّا رَأَى جَمِيعُ الشَّعْبِ ذَلِكَ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَقَالُوا: «الرَّبُّ هُوَ اللَّهُ! الرَّبُّ هُوَ اللَّهُ!» (1 ملوك 18: 38 - 39).

المقصد الرئيسي للمعجزات حسب المسيحية

من بداية الأناجيل، جاءت المعجزات للبرهنة على دعاوي المسيح، إذ قال نيقوديموس - رَئِيسُ الْيَهُودِ -: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا، لِأَنَّ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ» (يوحنا 3: 2). وبالفعل، يسوع نفسه قال: «وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَابْنَ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطِيئَاتِ». كما قال لشخص مشلول: «لَكَ أَقُولُ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!» (مرقس 2: 10 - 11). ويسجل إنجيل متى أن بعض الفريسيين ومعلمي الناموس كانوا ما زالوا يطلبون آية تثبت من يسوع، فرد عليهم: «جِبِلُّ سَرِيرٍ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلَا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ» (متى 12: 38 - 39).

وعندما أرسل يوحنا المعمدان رسلاً إلى يسوع ليسأله إن كان هو المسيح، فإن لوقا ينقلها: «وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ شَفَى كَثِيرِينَ مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَدْوَاءٍ وَأَرْوَاحِ شَرِّيرَةٍ، وَوَهَبَ الْبَصَرَ لِعُمَيَّانِ كَثِيرِينَ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا: «اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوْحَنَّا بِمَا رَأَيْتُمَا وَسَمِعْتُمَا: إِنَّ الْعُمَى يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يَبْسُرُونَ.» (لوقا 7: 21 - 22).

وفي يوم الخميس، كلم بطرس الجموع بأن يسوع «قَدْ تَبَرَّهَنْ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ بِقُوَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللَّهُ بِدَيْهِ فِي وَسْطِكُمْ» (أعمال 2: 22). وتعلن رسالة العبرانيين (2: 3 - 4) أن الله برهن على الخلاص العظيم في الإنجيل «بِآيَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَقُوَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، حَسَبَ إِرَادَتِهِ». أي، أن المعجزات كانت لأجل تأكيد الرسالة الرسولية. وهي علامة خارقة للطبيعة لمواعظهم، والتأكيد الإلهي على رسائلهم.

وفي دفاع عن رسالته في كورنثوس، كتب بولس: «إِنَّ عَلَامَاتِ الرُّسُولِ صُنِعَتْ بَيْنَكُمْ فِي كُلِّ صَبْرٍ، بِآيَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَقُوَاتٍ» (2 كورنثوس 12: 12). إذًا، فيسوع ورسله عملوا معجزات تبرهن أن رسالتهم من الله.

ويختتم يوحنا كل الإنجيل بالقول إن المعجزات مرتبطة بإعلان يسوع أنه المسيح. إذ كتب: «وَأَيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ فُدَّامَ تَلَامِيذِهِ لَمْ تُكْتَبَ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ» (يوحنا 20: 30 - 31).

المقصد الرئيسي للمعجزات حسب الإسلام

لقد ادّعى محمد أنه نبي الله سيراً على خطى أنبياء الكتاب المقدس العظام. وكان واعياً أن الله يصادق على الأنبياء قديماً بالمعجزات. فقال: «فَإِنْ كَذَّبُوكَ، فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ، جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ» (آل عمران 3: 184). ويسجل القرآن أن موسى قال عن معجزاته: «لَقَدْ عَلِمْت مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ» (الإسراء 17: 102). ويقول إله القرآن: «ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» (المؤمنون 23: 45). كما أقرَّ محمد نفسه أن الله أعطى قدرة الشفاء ليسوع، وإقامة الأموات تأكيداً على رسالته (مريم 19: 29 - 31؛ المائدة 5: 110)⁸⁵. إذاً، من حيث المبدأ، فتلك الديانات الكبرى متفقة على أن الدعوة الحق يمكن إثباتها بالمعجزات.

غير المؤمنين أيضاً يعترفون أن المعجزات يمكن أن تأتي لتأكيد على الإلهي

وحتى كثير من الذين يرفضون المعجزات يتفقون على أنها يمكن أن تأتي لتعزيز دعوة حق لدين صاحب هذه المعجزات. وقد ألمح إلى ذلك ديفيد هيوم بشكل غير مباشر باعتباره أن المعجزات الفريدة حقاً يمكنها أن تؤكد حقيقة دعاوي الدين. وهو قد حاجج على أن معجزات متماثلة في أديان متصارعة ستلغى أهميتها. وصرح «إن أي معجزة، قد زُعم أنها حصلت في أي دين من هذه الأديان (المليئة بالمعجزات).. فلها نفس الأثر، ولو بشكل غير مباشر، هي أنها تسقط العقائد الأخرى». وبما أن المعجزات هي «المجال المباشر الذي يقوم عليه المنظومة الخاصة التي تنتسب إليه، وبهذا، فلها نفس المفعول... قلب كل منظومة أخرى»⁸⁶. وهذا يترك الإمكانية مفتوحة لأن يقدم دين ما تأكيداً معجزاً فريداً على أنه حق وأن كل الدعوى الأخرى باطلة.

وبالمثل، أقرّ اللادري برتراند راسل أن المعجزات، إن أمكن حدوثها، يمكن أن تبرهن على أنها من دعوى إلهية. وعندما سُئل: «ما نوع الدليل الذي يمكن أن يقنعك بوجود الله؟» أجاب راسل: «أعتقد لو أنني سمعت صوتاً من السماء يتنبأ بكل ما سيحدث لي خلال الأربع والعشرين الساعة القادمة، بما فيها الأحداث التي يبدو أنه يستحيل حصولها، فإن حصلت هذه الأحداث جميعها، فلعلي حينها أقتنع على الأقل بوجود نوع من

⁸⁵ من الغريب، إن القرآن لا يسجل أية معجزة لمحمد من طبيعة مشابهة لما عمل يسوع. وفي الواقع، رفض محمد القيام بمثل هذه المعجزات (آل عمران 3: 181 - 84). وبعد قرون على موت محمد، فإن المسلمين (في الحديث) قاموا بتأليف معجزات لمحمد في محاولة لجعله مكافئاً لما يعلنه المسيحيون بشأن المسيح (انظر: Geisler, *Answering Islam*, chapter 8).

⁸⁶ David Hume, *An Enquiry Concerning Human Understanding*, Book 10.

الذكاء الفوق بشري. وبإمكانني أن أتصور دليلاً أخرى من هذا الضرب يمكن أن يقنعني، ولكن على حد علمي لا يوجد مثل هذا الدليل»⁸⁷.

العلاقة المنطقية بين المعجزات والتأكيد الإلهي

إن المنطق الكامن في حصول المعجزة برهاناً على صحة الدعوة الدينية هو التالي:

1. إن كان الله الواحد موجوداً، فالمعجزات ممكنة.
2. المعجزة عمل خاص لله الواحد.
3. الله الواحد العالم (كلي العلم).
4. الله الواحد هو أيضاً الكائن التام أخلاقياً (النظر الفصل 3).
5. إن الله العالم، الكامل لا يمكن أن يخطأ أو يخدع.
6. وبالتالي، الله الواحد لن يقوم بتأكيد شيء ما على أنه حق في حال كان هذا الشيء باطلاً.
7. وبالتالي، فالمعجزات الحقيقية المرتبطة برسالة هي تأكيد على صحة أن الرسالة من الله.
 - أ. المعجزة تؤكد الرسالة.
 - ب. الآية تؤكد الموعظة.
 - ت. أن فعل الله يؤكد كلمة الله.
 - ث. الوحي الجديد يحتاج إلى تأكيد جديد.

فإن كان ثمة إله، كلي القدرة، كلي المعرفة، كلي الصلاح، فهذا يعني أنه لن يعمل معجزات لتأكيد أمر كاذب. وبما أن المعجزات هي بالطبيعة أعمال الله الخاصة، فالله لن يتصرف خلافاً لطبيعته الخاصة. وإله كل حق، لن يؤكد المعجزات ضلالاً. وبالتالي، عندما يتم تأكيد حقيقة بشكل متكرر بالمعجزات، مثلما فعل أنبياء العهد القديم، ومثلما فعل يسوع والرسول، فهذا يعلن الحق، وإن كل الآراء التي تعلم عكس ما في الكتاب المقدس هي خاطئة.

معيار المصادقة على المعجزات

⁸⁷ Bertrand Russell, *The Basic Writings of Bertrand Russell*, 584.

يمكن وضع معايير مختلفة بناءً على أساس المبادئ التي تم مناقشتها فيما مضى لنجعل من المعجزات تأكيداً على صدق الدعوى. وهذه المعايير ضمانات معقولة ضد استخدام المعجزات المزيفة لتثبيت دعاوي باطلة. ولأجل أن نعتبر المعجزة تأكيداً على دعوى من الله فالأحداث الواردة يجب أن تكون على التالي:

1. **الأحداث يجب أن تكون خارقة للطبيعة فعلاً.** إن الأحداث التي جرت يجب أن تكون فوق طبيعية. ليس شذوذاً، سحراً، أعمال حظ محضة (أي لا تتضمن تدخلاً خارقاً)، أو علاجات نفسية جسدية [سيكوسوماتيك] ينظر إليها على أنها معجزات (انظر الفصل 4).
2. **يجب أن يكون ثمة بضع معجزات.** يجب أن يكون على الأقل معجزتان أو أكثر. وهذا قائم على أساس قانوني «على فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهُودٍ» (التثنية 17: 6) ضروري لتأكيد القضايا الهامة.
3. **المعجزات يجب أن ترتبط بصدق الدعوة باسم الله.** فإن لم تكن دعوة الحق للأجل الله مرتبطة بالمعجزة، فليس ثمة من طريقة لمعرفة أن المعجزة هي تأكيد على دعوة الحق. لأن المعجزة إن لم تكن مرتبطة بدعوة الحق فهي لا تؤيد هذه الدعوى.
4. **المعجزات يجب أن تكون فريدة.** إن أحداث غير عادية مماثلة متعلقة بإعلانات دينية متضاربة تلغي بعضها، كما حاجج ديفيد هيوم عن صواب. وبالتالي، إن كان دين مُبرهن أنه دين حق، فلا يمكن للأديان الأخرى أن يكون لها نفس النوع من المعجزات المزعومة ارتباطاً مع دعاويها إلى الدين.
5. **إن العامل التنبؤي مساعد في تأكيد الدعوى الإلهية.** إن التنبؤات المرتبطة بدعاوي الحق تساعد على أن تكون برهاناً خارقاً لدعاوي متعلقة بها. فهي تزيل الشكوك أن ظاهرة غير عادية لم تكن خارقة للعادة حقاً أو أنها ربما كانت مزيفة. وإلا، ربما ينظر إليها على أنها حظ.

فمثلاً، تنبأ يسوع وأنبياء آخرون وقاموا بمعجزات تأكيداً لدعاويهم. وقد تنبأ يسوع عن قيامته منذ بداية خدمته (متى 12: 40، 17: 22 - 23، 20: 18 - 19؛ يوحنا 2: 19 - 22). كما تنبأ عن أن قيامته آية (معجزة) على دعاويه (متى 12: 39 - 40). وأخبر يسوع مسبقاً عن معجزة إنها ستكون دليلاً على دعاويه أنه المسيح: «قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: لَكَ أَقُولُ: قُمْ وَاحْمِلْ سُرِيرَكَ وَادْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!» (مرقس 2: 10 - 11). وفي مناسبة أخرى، قال يسوع: «أَقُولُ لَكُمْ الْآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ» (يوحنا 13: 19). وقد تنبأ إيليا أن ناراً ستنزل من السماء وتأكل التقدمة (1 ملوك 18: 22 وما بعدها). ووعده موسى بدينونة الله على مصر (الخروج 4: 21 - 23). وأعلن موسى أن عصى الله ستزهر (العدد 17: 5)، وأنه ستحل الدينونة بالمتنمرد قورح (العدد 16: 28 - 30). فإن صح ذلك، فكلها تُعد لصالح دعاوي الحق الخارقة. وقد أوضح إشعياء بجلاء أن الله وحده يصنع تنبؤات صحيحة على المدى الطويل قبل أن تقع الأحداث، عندما كتب: «قَبْلَمَا أَتَتْ أَنْبَاءُكَ، لِيَلَّا نَقُولَ: صَنَمِي قَدْ صَنَعَهَا، وَمَنْحُوتِي وَمَسْبُوكِي أَمْرٌ بِهَا» (إشعياء 48: 5). و فقط الله الواحد كلي القدرة يقدر أن يعطي تنبؤات صحيحة على المدى الطويل. وبالفعل، فإن الأنبياء المزيفين يتنبؤون عن أمور لا تحدث (التثنية 18: 22).

تعليقات ختامية

لقد رأينا أن الله موجود (الفصل 3)، وبهذا، فالمعجزات ممكنة (الفصل 4). وفي هذا الفصل رأينا أن المعجزات تأتي للبرهنة إن كانت الرسالة المرتبطة بها هي من الله حقاً. ولكي تقوم بذلك، يجب أن تكون خارقة حقاً، ومتعددة، وفريدة، ومرتبطة بالدعوة الحق. والتنبؤات (بما سيأتي) المسبقة بالأحداث تعطي يقينية أكبر أنها من الله. وسنرى في الفصول التالية أن نصوص العهد الجديد موثوقة تاريخياً (الفصل 6)، وفيها يعلن يسوع أنه الله الظاهر في الجسد (الفصل 7)، وأن هذه الدعوى تؤكد باللقاء فريد وغير مسبوق لثلاثة مجموعات من المعجزات (الفصل 8). وسنرى أن يسوع هو تجسد الله الواحد - الله القدير، الواحد، الخالق الأوجد للكون (الفصل 3) في جسد بشري!

<p>✓ إنجيل لوقا كتب حوالي 60 - 61 م.</p> <p>✓ ويليام ف. أولبرايت وتاريخية الأنجيل</p> <p>✓ تأكيد النقاد الليبراليين للعهد الجديد</p> <ul style="list-style-type: none"> • الأنجيل مبكرة جداً بحيث يستحيل أن تكون أسطورية • التأكيد التاريخي والأثري على الأنجيل • الدليل على تاريخية رسائل بولس المبكرة • تأكيد العهد الجديد بقوانين «الإيمان المبكرة» أو التقاليد • التأكيد على العهد الجديد من موقف الحقائق الأساسية • الدليل الداخلي على تاريخية الأنجيل • الاعتراضات على تاريخية العهد الجديد <p>✓ هل التاريخ قابل للمعرفة؟</p> <p>✓ هل روايات المعجزات غير موثوقة؟</p> <p>✓ هل تتطلب الدعاوي غير عادية دليل خارق؟</p> <p>✓ هل تنفي الدوافع الدينية كتابة تاريخ موثوق؟</p> <p>✓ هل لدينا كلمات يسوع الحرفية؟</p>	<p>المسائل الاثني عشر</p> <ol style="list-style-type: none"> 1. الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة 2. لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين 3. إنها حقيقة أن الله الواحد موجود 4. المعجزات ممكنة 5. يرتبط حدوث المعجزات بدعوى صادقة تعلن حق الله عبر رسل الله 6. العهد الجديد نص موثوق 7. كما شهد العهد الجديد، فيسوع المسيح أعلن أنه الله 8. إعلان يسوع أنه الله تأكد بمجموعة فريدة من المعجزات 9. وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد 10. كل ما أكدته يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق 11. يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله 12. إذاً، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي
<p>ملخص الفصل</p> <p>تقوم تاريخية العهد الجديد على دليل أكثر متانة من الأحداث الأخرى في العالم القديم. إذ لا يوجد حوادث أخرى تعتمد على مخطوطات أكثر، منسوخة بطرق أكثر دقة، ومكتوبة من جانب عدد أكبر من الناس، الذين كانوا بأنفسهم شهود عيان أو معاصرين للأحداث. ولولا التحيز غير المبرر للنقاد المعترضين (انظر الفصلين 3 و4 قبلاً)، فإن تاريخية روايات الإنجيل ستكون غير عرضة للشك، لا سيما أن هؤلاء النقاد كانوا من علماء الكتاب المقدس بعد ما يقارب من 1800 سنة على الأحداث.</p>	<p>مسودة الفصل: العهد الجديد نص موثوق.</p> <ul style="list-style-type: none"> • موثوقية مخطوطات العهد الجديد ✓ عدد مخطوطات العهد الجديد ✓ التاريخ المبكر لمخطوطات العهد الجديد ✓ دقة العهد الجديد ✓ تأكيد آباء الكنيسة الأوائل على مخطوطات العهد الجديد ✓ موثوقية رواية العهد الجديد • تاريخية روايات الإنجيل ✓ كاتب إنجيل لوقا مشهود له أنه مؤرخ دقيق

6 العهد الجديد نص موثوق

إن هذا هو ثاني فصل هام في الكتاب (بعد الفصل 3). فإن كان الله موجوداً (الفصل 3)، فالمعجزات ممكنة (الفصل 4). وبما أن المعجزات ممكنة، فيمكن أن تأتي لتأكيد رسالة من الله (الفصل 5). ولكن هل وجدت رسالة من الله؟ الجواب على ذلك متعلق إن كانت نصوص العهد الجديد موثوقة تاريخياً. فإن كانت موثوقة، فلدينا إزاء رسالة، أي، أن الله قد تجسد وعاش بيننا (الفصل 7)، ولدينا سجل موثوق تاريخياً للمعجزات التي تؤكد أن الرسالة من الله (الفصل 8). بما أن كل ذلك متعلق بموثوقية العهد الجديد، فمن الهام أن نفحص الدليل على موثوقيته التاريخية.

موثوقية مخطوطات العهد الجديد

ثمة خطان أساسيان يدعمان موثوقية مخطوطات العهد الجديد. الأول، أنها كانت تُنسخ بدقة عبر السنوات. والثاني. أن الأشخاص الذين دونوا التعاليم والأحداث فيها كانوا شهوداً وكتاباً موثوقين. باختصار: (1) نحن لدينا مخطوطات منسوخة وهي أكثر موثوقية من أي كتاب آخر من العالم القديم. (2). الذين دونوا الأحداث والتعاليم في هذه المخطوطات كانوا كتاباً موثوقين أكثر من أي كتاب آخرين لأحداث أخرى في ذلك العصر. وهذا يتضح من عدد الكُتّاب، وقربهم من الأحداث، والاثبات الذي نجده في مصادر أخرى، والتأكيد التاريخي والأثري للأحداث المروية في كتاباتهم.

عدد مخطوطات العهد الجديد

إن عدد مخطوطات الكتاب المقدس وفير العدد وكثير مقارنة مع الكتب العامة من العصور القديمة التي لها ما بين عشرة على عشرين نسخة مخطوطة فحسب. خلافاً للعهد الجديد الذي يوجد له حوالي (5800) مخطوطة باليونانية باقية. وأكثر كتاب له مخطوطات هو الإلياذة لهومر بعدد (643) مخطوطة.⁸⁸ وهذا ما يجعل العهد الجديد أكثر الكتب المؤيدة نصياً من العصر القديم.

التاريخ المبكر لمخطوطات العهد الجديد

إن الفجوة العامة بين زمن التأليف وبين أقدم مخطوطة لكتاب من العالم القديم هي ما يقارب من ألف سنة. وعلى النقيض من أقدم مخطوطة لا خلاف فيها لكتاب من العهد الجديد، «بردية يوحنا ريلاند» (P52)، التي

⁸⁸ Geisler and Nix, *General Introduction to the Bible*, chapter 22.

يعود تاريخها لسنة 117 - 138 م. وهي باقية من فترة جيل على تاريخ كتابته حسب العلماء (حوالي 95 م). وبما أنها كُتبت في آسيا الصغرى واكتشفت في مصر، فهذا يتطلب بعض الوقت للانتشار الذي يضع تأليف يوحنا في القرن الأول. وتحتوي «بردية بودمر» على كتب العهد الجديد، التي تعود إلى سنة 200 م، وبعد ما يزيد قليلاً عن 100 سنة على اكتمال العهد الجديد. وأغلب العهد الجديد، بما في ذلك الأناجيل متوفر في برديات «تشتري بيتي» بعد 150 سنة على اكتمال العهد الجديد (حوالي سنة 250).

وقد كتب السير فريدريك كينون، عالم المخطوطات البريطاني البارز، «إن الفاصل بين تواريخ التأليف الأصلي وأبكر دليل باق هو من الصغر بحيث أنه يمكن أن يعتبر ضئيلاً في الواقع، وآخر أساس للشك في الكتب المقدسة يزال على ضوء حقيقة أنها وصلت إلينا بشكل كبير كما كانت مكتوبة». وبهذا، «فإن كل من الموثوقية والسلامة العامة لكتب العهد الجديد بالوسع القول إنها لها أساس متين». ولا يوجد أي كتاب آخر في العالم القديم لديه هذه البرهنة الصغيرة (بين التأليف وأقدم نسخ المخطوطات) مثل العهد الجديد.

دقة العهد الجديد

وأكثر من ذلك، ليس فقط أن مخطوطات العهد الجديد أكثر، بل أنها محررة بدقة أكبر من أي كتب أخرى من العالم القديم. وقد قام بروس متزجر، المتخصص الكبير في العهد الجديد، وبروفيسور من برنستون، بعمل مقارنة بين إلياذة هومر، ومهاباراتا الهندوسية، والعهد الجديد، فوجد أن نص المهاباراتا يمثل فقط 90% من الأصل (مع 10% تحريف بالنص)، والإلياذة هي 95% لا شائبة فيها، في حين وضع بالشك فقط نصف الواحد من المئة من العهد الجديد. بينما يقدر عالم مادة اليونانيات أن الجزء الذي يمكن أن يثير سؤال النقد النصي هو «جزء واحد من الألف من كامل النص».⁸⁹ وهذا يضع دقة نص العهد الجديد عند 99.9% - أي أفضل ما هو معروف لأي كتاب في العالم القديم.⁹⁰

بالإضافة، فإن أجزاء هامة من بعض الكتب القديمة مفقودة. «فعلى سبيل المثال، 107 من كتب ليفي [Titus Livius] الـ 142 عن تاريخ روما مفقودة. وكما بقي نصف كتاب تاسيتوس التواريخ والحواليات فقط».⁹¹ في حين أن كل كتب العهد الجديد محفوظة، وليس أي جزء هام مفقود. وبالواقع، لاحظ السير فريدريك كينون أن «أعداد مخطوطات العهد الجديد، وترجمتها المبكرة، والشواهد من كتابات آباء الكنيسة القدماء، واسعة ويؤكد عملياً أن القراءة الصحيحة لكل مقطع محل شك محفوظ بشكل ما أو آخر في هذه المرجعيات القديمة. وهذا الأمر لا يمكن قوله بشأن أي كتاب قديم في العالم».⁹²

تأكيد آباء الكنيسة الأوائل على مخطوطات العهد الجديد

يوجد أكثر من (19.368) اقتباساً من الأناجيل لوحدها في كتابات الآباء. ومن ضمنها:

⁸⁹ Archibald T. Robinson, *An Introduction to the Textual Criticism of the New Testament*, 14.

⁹⁰ Robinson, *An Introduction to the Textual Criticism of the New Testament*, 14.

⁹¹ See Gary Habermas, "Why I Believe the New Testament is Historically Reliable" in *Why I Am A Christian*, ed. Norman L. Geisler and Paul Hoffman, 148.

⁹² Frederic Kenyon, *Our Bible and the Ancient Manuscripts*, 55 (emphasis added).

- (268) لجاستن الشهيد،
- و(1.038) لأيريناوس؛
- و(1.017) لأكليمنديس الأسكندري؛
- و(9.231) لأوريجانوس؛
- و(3.822) لثرتوليان؛
- و(734) لهيبوليتوس؛
- و(3.258) ليو سيببوس.⁹³

وحتى قبل هؤلاء العلماء، كان ثمة اقتباسات من كتاب أقدم في الكنيسة. فلدينا بسيدوبرنابا (70 - 130م)، الذي اقتبس من متى، ومرقس، ولوقا. وكلمانت الروماني (حوالي 95 - 97) الذي اقتبس من متى ويوحنا، وكورنثوس الأولى. وإغناطيوس (حوالي 110)، الذي أشار إلى رسائل بولس (6) مرات. وبوليكاربوس (حوالي 110 - 150)، الذي استشهد من الأنجيل الأربعة، وسفر الأعمال، وأغلب رسائل بولس. والراعي لهرماس (115 - 140) الذي يورد متى، ومرقس، وأعمال الرسل، وكورنثوس الأولى، وكتب أخرى. والديداخي (حوالي 120 - 150) الذي يشير إلى متى، ولوقا، وكورنثوس الأولى، وكتب أخرى.

كما أن بابياس رفيق بوليكاربوس، الذي كان تلميذ الرسول يوحنا قد اقتبس من إنجيله.

وهذا يظهر أن الأنجيل كانت موجودة من قبل وكان يُستدل بها، مما يعني أنها كانت موجودة قبل نهاية القرن الأول حينما كان بعض شهود العيان (مثل يوحنا) ما زالوا على قيد الحياة. وبالإضافة إلى ذلك، بما أن بعض هؤلاء الكتاب كانوا على تشابك مع آخر سفر للعهد الجديد - أي إنجيل يوحنا، الذي يعتقد أنه على نطاق واسع أنه يعود لحوالي سنة 90 م، فهذا يزيل عملياً أي فجوة بين كتابة العهد الجديد وأقدم الشواهد عليه.

موثوقية رواية العهد الجديد

ليس ثمة تراث قوي من المخطوطات يدعم نتيجة أن النص الحالي للعهد الجديد يمثل بدقة شديدة فحسب الأصل، بل أيضاً يوجد وفرة من الأدلة التي تشهد على حياة المسيح وتحتوي بالتالي على قصة موثوقة بشكل كبير. وهذا مدعوم بحقائق وجود (27) كتاباً من العهد الجديد، والكتب المبكرة، القائمة على شهادة شهود، ومؤكدة من مصادر تاريخية أكثر من أي كتاب آخر في العالم القديم.

تاريخية سفر الأعمال

إن تاريخ وموثوقية سفر الأعمال لهو هام لتاريخية المسيحية المبكرة، وكذلك، للدفاع عن المسيحية بالعموم. فإن كان سفر الأعمال قد كُتب قبل سنة 70 م عندما كان الشهود العيان على قيد الحياة، فله قيمة تاريخية

⁹³ See Geisler and Nix, *General Introduction to the Bible*, 431 (emphasis added).

كبيرة في إخبارنا عن العقائد المسيحية المبكرة. وبالإضافة إلى ذلك، إن كان سفر الأعمال كُتب من جانب لوقا، رفيق الرسول بولس، فهذا ما يضعه في الدائرة الرسولية للتلاميذ الأوائل ليسوع.

وإن كان سفر الأعمال قد كُتب سنة 62 م (التاريخ التقليدي)، ففي هذه الحالة يكون قد كتبه أحد معاصري يسوع (الذي صلب سنة 33 م). لا حاجة للقول، أن له قيمة تاريخية عظيمة. وإن تبين لنا أن سفر الأعمال كان دقيقاً تاريخياً، فهذا يعطي المصادقية لرواياته التي تدور حول أغلب العقائد المسيحية الأساسية في المعجزات (أعمال 2: 22)، والصلب (أعمال 2: 23)، والقيامة (أعمال 2: 23، 29 - 32)، وصعود المسيح (أعمال 1: 9 - 10). علاوة على ذلك، فإن كان لوقا هو كاتب سفر الأعمال، فإن «الكلام الأول» (1: 1)، في إنجيل لوقا يجب أن يتمتع بنفس المصادقية التي في سفر الأعمال.

الدليل على التاريخ المبكر لسفر الأعمال

يعدّ كولينز هـ. همر،⁹⁴ (17) سبباً لقبول التاريخ المبكر التقليدي لسفر الأعمال خلال حياة معاصري الأحداث. وهذا يدعم بقوة تاريخية سفر الأعمال، وبشكل غير مباشر إنجيل لوقا، الذي كتبه لوقا (قارن: لوقا 1: 1 - 4 وأعمال 1: 1).⁹⁵

ويكفي أول خمس حجج من كولينز هـ. همر للتدليل على أن سفر الأعمال كُتب في سنة 62م:

1. لا يذكر سفر الأعمال الحدث التاريخي الهام الخاص بسقوط القدس سنة 70 م، مما يضعه قبل هذا الحدث.
2. وليس ثمة أي تلميح على اندلاع الحرب اليهودية سنة 66م أو أي تدهور خطير أو واضح للعلاقة بين الرومان واليهود، ما يعني ضمناً أنه كُتب قبل هذا التاريخ؛
3. ليس ثمة من تلميح للتدهور المباشر في علاقة المسيحيين مع روما التي كان فيها اضطهاد نيرون أو آخر الستينات؛
4. بما أن الرسول بولس كان على قيد الحياة (أعمال 28)، فيجب أن يكون سفر الأعمال كُتب قبل موته (بحدود 65 م)؛
5. وأخيراً، ليس ثمة من تلميح إلى موت يعقوب على يد السنهدرين في حدود سنة 62، الذي أرخ له يوسيفوس (Antiquities 20.9.1.200).⁹⁶

⁹⁴ See Colin Hemer, *Acts in the Setting of Hellenic History*.

⁹⁵ See Norman L. Geisler, *A Popular Survey of the New Testament*, chapter 6.

⁹⁶ وفي بعض الحجج الأخرى نجد:

(1) يرد في سفر الأعمال الصيغة الأولية لمصطلح المسيحيين الذي يظهر أنه من فترة مبكرة. (وفي قائمة هانارك نجد اللقبين التاليين، الأولي: *Iusous*، والثاني: *Ho kurios* اللذان يستخدمان غالباً، بينما *Ho Christos* لقب لـ «المسيح»، وليس اسم علم، و *Christos* هي تركيبات رسمية).

(2) ويشير راكمهم إلى النبرة المتفائلة لسفر الأعمال، ولم يكن السفر ليحملها لو كان دمار القدس قد حصل، وتعرض المسيحيون للاضطهاد والشهادة على يد نيرون في أواخر الستينات؛

(3) إن خاتمة سفر الأعمال مفاجأة. وبالتأكيد، لو كان بولس مات في ذلك الوقت مثلاً، لكان السفر قد ذكره (قارن تيموثاوس الثانية 4: 6 - 8)؛

(4) و«المباشرة» في سفر الأعمال 27 - 28؛

(5) غلبة التفاصيل الثانوية للبيئة الثقافية، ويظهر عصر السلالة اليوليوكلاودية [أول سلالة إمبراطورية رومانية (من 27 ق. م. إلى 68 م)]، وهو تاريخ يناسب التاريخ المبكر؛

لو قال شخص أن سفر الأعمال مكتوب بعد سنة 65 م، فنسأله، لنفترض أن شخصاً كتب سيرة حياة الرئيس جون ف. كيندي بعد سنة 1965 (عندما تم اغتياله) ولكنه لا يذكر موته. فإن كان حدث بهذه الأهمية قد حصل، فهو من الأهمية بحيث لا يمكن أن يتم التغاضي عنه في كتابة سيرة الحياة. وبالمثل، فإن كتاباً مثل سفر الأعمال لو كان قد كُتب بعد موت الرسول بولس (حوالي 65) أو بعد دمار أورشليم (70 م)، فكان لا بد أن يذكر مثل هذين الحدثين الهامين.

الدليل على أن كاتب سفر الأعمال هو مؤرخ من الطراز الرفيع

بالإضافة إلى البراهين على التاريخ المبكر لسفر الأعمال، فإن هيمر أظهر أن كاتب السفر هو مؤرخ من الطراز الأول. وهذا يتضمن التالي:

- (1) عناصر التفاصيل التاريخية وما شابه الذي يفترض أنها معروفة بالعموم؛
- (2) المزيد من التفاصيل المتخصصة، التي ما زالت معروفة لأصحاب الخبرة في مجالاتهم: ألقاب حكام الأقاليم، الوحدات العسكرية، الطرق الرئيسية، الخ، التي كان يمكن للذين يسافرون أو والمشاركين في الإدارة أن يصلوا إليها، ولكن ليس للذين ليس لهم هذه الخلفيات؛
- (3) تفاصيل الطرق المحلية، الحدود، ألقاب قضاة المدن، وما شابه، والتي لا يمكن أن تكون تحصلت في كتاب التاريخ، ولا يمكن لكاتب لم يزر هذه المناطق أن يعرفها؛
- (4) ترابط تواريخ الملوك والحكام المعروفين مع التسلسل الزمني الظاهر لإطار سفر الأعمال؛
- (5) التفاصيل المناسبة لزمان تاريخ بولس ولكنها غير مناسبة لظروف تاريخية أخرى وبالأخص اللاحقة؛
- (6) «مصادفات غير مخططة» بين سفر الأعمال رسائل بولس الصحيحة؛
- (7) يوجد ترابط كامن داخل سفر الأعمال؛
- (8) تفاصيل موثقة بشكل مستقل، والتي تتطابق مع النص الإسكندراني بمقابل النص الغربي (أو بالعكس) وهي قد تكون على صلة بمراحل في التقليد النصي لسفر الأعمال؛
- (9) مسائل متعلقة بالمعرفة الجغرافية العامة أو ما شابه، المذكورة، سواءً بشكل غير رسمي أو بشكل تلمحي، مع دقة غير مدروسة ما تظهر الإلمام؛
- (10) اختلاف في الصيغ داخل سفر الأعمال مؤشر محتمل على اختلاف فئات المصادر؛
- (11) خصوصيات في اختيار التفاصيل، مثل إضافة تفاصيل غير هامة لاهوتياً، ولكنها قابلة للتفسير على أنها تركز على الموضوع التاريخي؛
- (12) وبناءً على الحالة الخاصة السابقة، فالتفاصيل «المباشرة» تشير إلى إعادة إنتاج المؤلف للتجربة الأخيرة والتي هي أقل قابلية للتفسير كنتيجة لفترة طويلة من إعادة الصياغة المتأمل؛
- (13) إن البنود تعكس ثقافة وتعابير تشير إلى أنها من مناخ القرن الأول أكثر من القرن الثاني؛
- (14) إن الترابط معقد وفيه نوعان من العلاقة في ترابط، أو التفاصيل المتعلقة تظهر كل واحدة علاقات منفصلة، وهي تعطي إمكانية بناء لوحة من إعادة تركيب قطع الغاز لوحات متشابكة.

(6) ثمة مواقع في سفر الأعمال تتعلق ببينة يهودية ميكرة عندما كان الهيكل ما زالت قائماً. انظر:

- (15) حالات يوفر فيها الاكتشاف والمعرفة ببساطة خلفية جديدة للمعلومات في متناول الشارحين من كل مشرب، وهي لا تؤثر على مسألة تاريخ السفر؛
- (16) إن التفاصيل الدقيقة التي تدخل في نطاق الممكنات المعاصرة، ولكن ليس لدينا الوسائل لفحص دقتها الخاصة بطريقة أو أخرى.

بالإضافة إلى ذلك، يظهر كاتب سفر الأعمال معرفة تفصيلية بالأسماء التاريخية، والأماكن، والأشخاص، والأحداث مثل اللقب الدقيق للإمبراطور (أعمال 25: 21، 25)، والحقائق العامة على الملاحة وإمدادات الذرة، وتضاريس يهوذا، والتسميات السامية التي يُعلق عليها أو يشرحها (أعمال 1: 12، 19، الخ)، بينما لا يقوم بذلك بشأن المؤسسات اليهودية الأساسية (أعمال 1: 12، 2: 1، 4: 1 الخ). ويظهر لوقا معرفة خاصة بتضاريس أورشليم. حيث يعطي (في أعمال 12: 4) تفاصيل حول تنظيم الحرس العسكري وفي أعمال 16: 8 وما يليها يقر بالدور الذي لعبه تراوس في منظومة الاتصالات. وفي أعمال 17: 1؛ فإن أمفيبوليس وأبولونية معروفتان على أنهما محطتان (من المحتمل أنهما محطتا توقف ليلي) على طريق اغناتيان من فيلبي إلى تسالونيكي. ويحتوي الإصحاحان 27 - 28 من سفر الأعمال على تفاصيل جغرافية وتفاصيل ملاحية للرحلة إلى روما، والتي سيتم الإشارة إليها تحت عناوين أكثر تحديداً.

كما يظهر لوقا معرفة بمجموعة لا تصدق مع الأماكن المحلية، والأسماء، والظروف، والعبادات، والحالات التي تناسب فقط شاهد عيان معاصر للوقت والأحداث. وكل ذلك أثبتته الأبحاث التاريخية والأثرية على أنها صحيحة بخصوص الأشخاص، والعصور، والأماكن التي ذكرها لوقا. وهي تتضمن المعرفة التالية:

- (1) عبور طبيعي بين موانئ مسماة بشكل صحيح (أعمال 13: 4 - 5)؛
- (2) اسم ميناء (بَرْجَة) على طول طريق السفن القادمة من قبرص (13: 13)؛
- (3) المكان الصحيح لـ «ليكاونية» (14: 6)؛
- (4) تصريح اسم لِسْتِرَة غير المعتاد ولكنه الصحيح (14: 6)؛
- (5) اللغة المحكية الصحيحة في لِسْتِرَة، وهي الليكاونية؛
- (6) اسم إلهان معروفان بارتباطهما ببعض (زيوس وهرمس)؛
- (7) اسم ميناء أُنَالِيَة الذي يستخدمه المسافرون العائدون (14: 25)؛
- (8) الترتيب الصحيح عبر دَرْبَة ثم لِسْتِرَة من مداخل القليقية (16: 1)؛
- (9) الصيغة الصحيحة لاسم تَرْوَأَس (16: 8)؛
- (10) مكان العلامة الواضح للبحارة، سَامُونْرَاكِي (16: 11)؛
- (11) الوصف الصحيح لـ: فِيلِي على أنها مستعمرة رومانية [كُولُونِيَة] (16: 12)؛
- (12) المكان الصحيح لنهر (غانغيتيس) القريب من فِيلِيَة (16: 13)؛
- (13) الوصف الصحيح لـ: ثِيَاتِيرَا على أنها مركز الصباغة (16: 14)؛
- (14) الألقاب الصحيحة للولاية والمستعمرة (16: 22)؛

- (15) المكان الصحيح (أَمْفِيْبُولِيْسَ وَأَبُولُونِيَّةَ) حيث كان يقضي المسافرون ليال متعاقبة في هذه الرحلة (17: 1)؛
- (16) وجود مجمع اليهود في نَسْأَلُونِيْكي (17: 1)؛
- (17) لقب «politarchs» بشأن الولاية هناك (17: 6)؛
- (18) الدلالة الصحيحة على أن السفر البحري هو الطريق الأسهل لبلوغ أثينا مع تفضيل الريح الشرقية للإبحار (17: 14)؛
- (19) امتلاء مدينة أثينا بالأصنام (17: 16)؛
- (20) الإشارة إلى مجمع اليهود في أثينا (17: 17)؛
- (21) تصوير الحياة الأثينية في المناقشات الفلسفية في أجورا (17: 17)؛
- (22) استخدام عامية أثينا لوصف بولس بـ «المَهْدَارُ» (17: 18)، وكذلك المحكمة بـ: أَرْيُوسَ بَاغُوسَ (17: 19)؛
- (23) الوصف الدقيق للشخصية الأثينية (17: 21)؛
- (24) معبد لـ «لإله مَجْهُول» (17: 23)؛
- (25) ردة الفعل الدقيقة للفلاسفة اليونان الذين رفضوا قيامة الأموات (17: 32)؛
- (26) الأَرْيُوبَاغِيُّ هو اللقب الصحيح لأعضاء المحكمة (17: 34)؛
- (27) الكنيس في كورنثوس (18: 4)؛
- (28) التحديد الصحيح للقنصل غَالِيُونُ، المقيم في كُورِنْثُوسَ (18: 12)؛
- (29) الوضع الصحيح للكرسي المشرف على منتدى كورنثوس (18: 16 وما بعدها)؛
- (30) ثمة شواهد من النقوش على اسم «تيرَاسُ» من أفسس ترجع للقرن الأول (19: 9)؛
- (31) معابد وأصنام مشهورة لـ: أَرْطَامِيْسَ (19: 24)؛
- (32) إشارة إلى شواهد جيدة «أَرْطَامِيْسَ، الإلهة العَظِيْمَةُ» (19: 27)؛
- (33) كان مسرح أفسس هو مكان اجتماعات المدينة (19: 29)؛
- (34) استخدام اللقب الصحيح للقاضي التنفيذي وهو الكاتب في أفسس (19: 35)؛
- (35) ذكر اللقب التشريفي neokoros الذي رخصه الرومان (19: 35)؛
- (36) الاسم الصحيح لتسمية الآلهة (19: 37)؛
- (37) المصطلح الصحيح للولاية (19: 38)؛
- (38) استخدام صيغة الجمع anthupatoi، وهذه إشارة لافتة إلى أن رجلين كانا يمارسان وظيفتنا القنصل في ذلك الوقت (19: 38)؛
- (39) المحفل «المنتظم» هو العبارة الدقيقة التي نجدها في أماكن أخرى (19: 39)؛
- (40) استخدام التسمية العرقية الدقيقة «الْبِيرِيُّ» (20: 4)؛
- (41) استعمال المصطلح الأصلي Asianos (20: 4)؛
- (42) الإقرار الضمني بالأهمية الاستراتيجية لمدينة ترواس (20: 7 وما بعده)؛
- (43) خطر السفر بالسفن في ذلك الموضع (20: 13)؛

- (44) المعرفة الدقيقة بتسلسل الأماكن (20: 14 - 15)؛
- (45) الاسم الصحيح للمدينة بصيغة الجمع المحايد (بأثراً) (21: 1)؛
- (46) الطريق الملائم العابر ببحر الجنوب لقبرص هو المفضل للرياح الغربية - الشرقية (21: 3)؛
- (47) الطريق المناسب بين هذه المدن (21: 8)؛
- (48) العمل اليهودي للتقوى خصوصاً (21: 24)؛ والشريعة اليهودية المتعلقة بدخول الأمميين الهيكل (21: 31)؛
- (49) التمرکز الدائم للكتيبة الرومانية في أنطونيا لقمع أي اضطراب في وقت الاحتفالات (21: 31)؛
- (50) الهروب على الدرج المستخدم من جانب الحرس (21: 31، 35)؛
- (51) الطريقة الشائعة للحصول على الجنسية الرومانية آنذاك (22: 28)؛
- (52) تأثر المحكمة بأنه روماني أكثر من كونه طرطوسياً (22: 29)؛
- (53) كان حَنَانِيًّا الكاهن العالي آنذاك (23: 2). وفيلكس الوالي وقتها (23: 34)؛
- (54) نقطة التوقف الطبيعية بالطريق إلى قيساريا (23: 31)؛
- (55) من هو صاحب القضاء في كِيلِيكِيَّة في ذلك الوقت (23: 34)؛
- (56) الإجراءات القضائية في الإقليم في ذلك الوقت (24: 1 - 9)؛
- (57) اسم «بُورْكِيُوسَ فَسْتُوسَ» يتطابق مع الذي أعطاه يوسيفوس (24: 27)؛
- (58) حق الاستئناف بالنسبة للمواطنين الرومان (25: 11)؛
- (59) الصيغة القانونية «عَلَّةٌ وَاجِدَةٌ» (25: 18)؛
- (60) الصيغة المميزة للإشارة إلى الإمبراطور في ذلك الوقت (25: 26)؛
- (61) أفضل طرق الشحن البحري في ذلك الوقت (27: 4)؛
- (62) العلاقة المشتركة بين كِيلِيكِيَّةً وَبَفِيلِيَّةً (27: 5)؛
- (63) الميناء الرئيس لوجود سفينة مبحرة إلى إيطاليا (27: 6)؛
- (64) الممر البطيء إلى كِينِيدُسَ بوجه الرياح الشمالية - الغربية المعتادة (27: 7)؛
- (65) الطريق الصحيح للإبحار في وجه الرياح (27: 7)؛
- (66) أماكن «المَوَانِي الحَسَنَةُ» والمواقع المجاورة لمَدِينَةُ لَسَائِيَّةً (27: 8)؛
- (67) لقد كانت «المَوَانِي الحَسَنَةُ» مرسى سفن سيء الحماية (27: 12)؛
- (68) ميل ظاهر للرياح الجنوبية في هذه المناخات إلى دفع مفاجئ إلى شمال شرقية عنيفة، المعروفة باسم *gregale* (27: 13)؛
- (69) طبيعة القارب المربع القديم، الذي لم يكن من خيار سوى جره قبل العاصفة (27: 16)؛
- (70) المكان ولاسم الدقيقان لهذه الجزيرة (27: 16)؛
- (71) المناورة المناسبة لسلامة القارب في محنتها تلك (27: 16 وما بعدها)؛
- (72) حساب أربعة عشرة ليلةً، يرتكز على مجموعة من تقديرات واحتمالات، في حكم الملاحين الماهرين في البحر الأبيض المتوسط (27: 27)؛

- (73) المصطلح المناسب لِبَحْرٍ أُدْرِيَا (27: 27)؛
- (74) المصطلح المناسب (Bolisantes) المُستخدم في سبر أغوار البحر (27: 28)؛
- (75) موضع الخط المحتمل لاقتراب السفن التي انطلقت مجدداً قبل الرياح الشرقية (27: 39)؛
- (76) المسؤولية الصارمة الملقاة على الحرس الذين سمحوا للسجناء بالهرب (27: 42)؛
- (77) الأهالي المحليين وخرافات ذلك العصر (28: 4 - 6)؛
- (78) اللقب المناسب (protos (tes nesou) (28: 7)؛
- (79) رِيغِيُونٌ بوصفها ملجأً لانتظار رياح الجنوب لتنتقلهم عبر المضيق (28: 13)؛
- (80) إِنْ فُورُنَ أَبِيُّوسَ وَالثَّلَاثَةَ الْحَوَانِيَّتِ مَوْضُوعَةً بِشَكْلِ صَحِيحٍ كَمَحَطَاتٍ عَلَى طَرِيقِ أَبِيَا (28: 15)؛
- (81) الوسائل المناسبة للاحتجاز بوجود الجنود الرومان (28: 16)؛
- (82) العيش «على حسابه الخاص» من شروط السجن (28: 30 - 31)؛

خاتمة

إن تاريخية سفر الأعمال مُبرهن عليها بالدليل القاطع. ولا يوجد مثل هذا العدد من التفاصيل المؤكدة في أي كتاب آخر موجود من العصر القديم. وهذا ليس أبكر تأكيد مباشر للإيمان المسيحي بخصوص موت وقيامة المسيح، ولكن بشكل غير مباشر لما يرد في الإنجيل. لأن لوقا وهو كاتب إنجيل لوقا (انظر لاحقاً) هو كاتب سفر الأعمال. وبالإضافة لذلك، فالأحداث الأساسية نفسها مدونة بشكل فعلي في الإنجيلين الآخرين (متى ومرقس). ولنفس القضية، يعطي إنجيل يوحنا نفس الصورة حول أغلب الأحداث الأساسية، أي، المعجزات، الألوهية، وموت وقيامة المسيح. وبهذا، فتاريخية أغلب الأحداث الهامة للإيمان المسيحي هي قائمة على أساس متين. ومؤرخ آخر للعصر الروماني، هو أ. إن. شيروين - وايت، أطلق على النظرة الأسطورية إنها «غير قابلة للتصديق».⁹⁷ ولهذا السبب فالدليل لصالح سفر الأعمال أقوى بكثير من الدليل على تاريخ روما في ذلك العصر.

تاريخية روايات الإنجيل

بما أنّ متى ومرقس ولوقا أعطوا نفس المعطيات الأساسية حول حياة، وتعاليم، وموت، وقيامة المسيح، فعند التدليل على موثوقية أي واحد من هذه الأنجيل، يعطي الدليل على تاريخية الإنجيلين الآخرين. وسنركز على إنجيل لوقا بما أنه يوجد العديد من الحجج المؤكدة لتأريخيته.

⁹⁷ A. N. Sherwin-White, *Roman Society and Roman Law in the New Testament*, 189.

كاتب إنجيل لوقا مشهود له أنه مؤرخ دقيق

الطبيب لوقا، رفيق الرسول بولس في السفر، والذي يعتقد على نطاق واسع أنه كاتب إنجيل لوقا لعدة أسباب وجيهة:

1. كان له تعليم رفيع، كما يظهر المستوى الرفيع الذي كتبه به باليونانية (قارن: لوقا 1: 1 - 4)؛
2. لم يكن أحد الرسل الإثني عشر (لوقا 1: 2)؛
3. كان مشاركاً في أحداث مختلفة بنفسه (لوقا 1: 3)؛
4. كان على معرفة بالرسول بولس؛
5. كان يعرف ويقتبس من العهد القديم باليونانية؛
6. كان لديه معرفة جيدة بالحالة السياسية والاجتماعية للقرن الأول؛
7. كان يتجول مع الرسول بولس أحياناً كما يشير في أجزاء «نحن» (لوقا 16: 10 - 17؛ 20: 5 - 21: 18؛ 27: 1 - 28: 16)؛
8. لم يكن أي من تيموثاؤس، وسوباترس، وأرسنترخس، وسكوندس، وغايوس أو ثروفيمس الأسماء التي استنتهاها سفر الأعمال (20: 4)؛
9. كان لديه معرفة بالطب، كما يظهر من استخدام المصطلحات والمراجع الطبية. والرفيق الوحيد لبولس الذي ينطبق عليه كل هذه الصفات كان «لوقا الطبيب الحبيب» (كولوسي 4: 14).⁹⁸

وبكل حال، فالمسألة ليست من كتب الكتاب هو الأمر الهام، بل إن كان الكتاب مصدراً موثقاً. كما لاحظ ر. ت. فرانس: «إن التأليف... ليس العامل الرئيس في تقييمنا لموثوقية الإنجيل».⁹⁹

ثانياً، إن الشخص الذي كتب سفر الأعمال هو الذي كتب إنجيل لوقا:-

1. في الكتابين الكلام موجهاً إلى شخص يدعى «تأوفيلس» (قارن: لوقا 1: 1 مع أعمال 1: 1)؛
2. كلاهما مكتوبان بيونانية رفيعة؛
3. كلاهما يظهران اهتماماً طبيياً؛
4. يشير الأعمال إلى «الكلأ الأول» الذي كتبه المؤلف عن يسوع (1)؛
5. يوجد تقليد متصل وعملياً بلا منازع من الكنيسة المسيحية الأولى إلى العصور الحديثة ينسبه إلى الطبيب لوقا.

ثالثاً، من المعروف أن كاتب سفر الأعمال هو مؤرخ من الطراز الأول (انظر أعلاه). وهذا ما أثبتته السير ويليام رامزي في كتابه¹⁰⁰، ومؤخراً كولين همر.¹⁰¹ وكذلك يدعم مؤرخ مختص بالتاريخ الروماني بشدة

⁹⁸ إن الشاهد الخارجي لسفر الأعمال هو جيد أيضاً، إذ ذكر السفر في: الديداعي، وتاتيان، وإيريناوس، وترتليان، وكلمنداس الأسكندري، ويوسبيوس، وقد ورد في القانون الموراثوري. انظر:

(D. A. Carson et. al. *An Introduction to the New Testament*, 185–186).

⁹⁹ A. T. France, *The Evidence for Jesus*, 124.

¹⁰⁰ المعنون: *St. Paul the Traveler and the Roman Citizen*.
¹⁰¹ في كتابه: *The Book of Acts in the Setting of Hellenic History*.

تاريخية الأناجيل، قائلاً: «إنه لأمر مدهش، أنه كان في ذلك الحين لدى المؤرخين اليونانيين والرومانيين ثقة متزايدة، فدراسة روايات الإنجيل في القرن العشرين، بدأت من مواد ليست أقل ثقةً، ولكنها صارت قاتمة جداً مع تطور النقد النصي... فالمسيح التاريخي صار مجهولاً، ولم يعد بالوسع كتابة تاريخ خدمته. وهذا أمر مثير للاهتمام».¹⁰² وبهذا فهو فقد وجد هذا المؤرخ أن الاعتقاد بأن الروايات هي مجرد أساطير «أمر لا يُصدق».¹⁰³

إنجيل لوقا كتب حوالي 60 - 61 م

من ذلك نستطيع أن نقول إن إنجيل لوقا عمل تاريخي من الطراز الرفيع، كُتب حوالي سنة 60 - 61 م. لأن كاتبه هو نفس كاتب سفر الأعمال، الذي ثبت أنه ذو دقة عالية ورواية تاريخية تفصيلية، وبما أن متى، ومرقس، ويوحنا قدموا نفس الصورة الأساسية بخصوص المسيح، فبدورهم يتمتعون بالموثوقية التاريخية.¹⁰⁴

ويُبرهن كذلك بحقيقة أن لوقا يظهر اهتمامه التاريخي في المقدمة (لوقا 1:1 - 4)، معلناً: (1) أنه واع لوجود روايات أخرى مبكرة عن سيرة المسيح، (2) أن إنجيل لوقا قائم على شهادة شهود «عيان»، و(3)، وقال «قَدْ تَتَبَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَوَّلِ بِنَدَقِيقٍ». وبالإضافة إلى ذلك، برهن لوقا على اهتمامه بالتاريخ بأن ربط روايته لسيرة المسيح مع تواريخ تاريخية دقيقة. فهو لم يذكر متى وُلد يسوع، أي في عهد «أوغسطس قيصر» ملكاً (لوقا 2:1)، بل بدقة سنة بدء يسوع بخدمته، أي «في السنّة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر، إذ كان بيلاطس البُنطِيُّ وَالْيَا عَلَى الْيَهُودِيَّةِ، وَهِيرُودُسُ رَئِيسَ رُبْعِ عَلَى الْجَلِيلِ، وَفِيلِبُّسُ أَخُوهُ رَئِيسَ رُبْعِ عَلَى إِبْطُورِيَّةٍ وَكُورَةَ تَرَاخُونِيَّتِسَ، وَلِيسَانِيُوسُ رَئِيسَ رُبْعِ عَلَى الْأَبِلِيَّةِ. فِي أَيَّامِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ حَنَّانَ وَقِيَاثَا، كَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ عَلَى يُوْحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ» [لوقا 3:1 - 2]، وكلها تم التحقق منها بالتاريخ العام لذلك الوقت.

الأمر الثاني، أن المختص بالتاريخ الروماني كولين همر حاجج بشدة على أن سفر الأعمال مكتوب سنة 62 م (انظر أعلاه)، وبما أن إنجيل لوقا كُتب قبل سفر الأعمال (قارن: لوقا 1:1 مع أعمال 1:1)، فهذا يعني أن إنجيل لوقا خرج للنور حوالي 60 - 61 م. وهذا ما يُقارب من 27 سنة بعد موت وقيامته المسيح. أي أن لوقا تكلم عن شهود عيان كثيرين للمسيح (لوقا 1:2) كانوا على قيد الحياة عندما كتب الإنجيل، وهذا مؤشر قوي على مصداقيته التاريخية.

ويليام ف. أولبرايت حول تاريخية الأناجيل

كتب عميد الأركيولوجيين في القرن العشرين الذي تخرج على يديه كثيرون: «باختصار، وبفضل مكتشفات قمران، تبرهن على أن العهد الجديد هو بالواقع كما كان يُعتقد: تعاليم المسيح وتلامذته المباشرين بين

See Colin Hemer, *ibid.*, and William Ramsay, *St. Paul the Traveller and the Roman Citizen*.

¹⁰² Sherwin-White, *ibid.*, 187.

¹⁰³ *Ibid.*, 188-191.

¹⁰⁴ لشرح اختلافات إنجيل يوحنا عن الأناجيل الإزائية. انظر: Norman L. Geisler, "John, Gospel Of" in *BECA*.

سنوات 25 و80 م». ¹⁰⁵ ويؤكد أولبرايت أكثر من ذلك، «علي أن أجيب، من وجهة نظري، كل كتاب في العهد الجديد كتبه يهود معمدون بين الأربعينات إلى الثمانينات للقرن الأول الميلادي (وعلى الأغلب حوالي 50 و75 م)». ¹⁰⁶ وقد ذهب أبعد من ذلك، فقال: «أن الدليل من جماعة قمران يظهر أن المفاهيم، والمصطلحات، والتصورات في إنجيل يوحنا هي على الأغلب من بداية القرن الأول». ¹⁰⁷ ورأى أولبرايت أن «المعطيات التاريخية الكتابية دقيقة إلى درجة أنها تتجاوز أفكار طلاب النقد المعاصرين، الذين يميلون بشكل دائم إلى الوقوف بالمكان الخاطئ إلى جانب النقد المفرط». ¹⁰⁸ وبما أن الاعتقاد العام هو أن موت المسيح كان بحدود 35، فإن رجوع كتب في الخمسينات والستينات يعني الكتابة تمت في غضون 20 إلى 30 سنة من الأحداث، حيث كان معظم شهود العيان على قيد الحياة! بما أن ثمة تسجيلات متعددة (8 أو 9 كُتَّاب و27 سفرًا)، فهذا يوفر أساساً متيناً لتاريخية هذه الكتابات.

تأكيد النقاد الليبراليين للعهد الجديد

إن عالم العهد الجديد، الأسقف جون روبنسون، الذي كان له دور بارز في تصاعد حركة «موت الإله» في النصف الثاني من القرن العشرين. وقيل موته وبدون أن يصح نظراته السلبية، كتب الأسقف روبنسون عملاً كاشفاً بعنوان: «إعادة تاريخ العهد الجديد». حيث وضع إنجيل متى بحدود (40 - 60)، ومرقس حوالي (45 - 60)، ولوقا حوالي (57 - 50)؛ ويوحنا بحدود (40 - 65). ¹⁰⁹ وهذه الكلمات تعني أن بعض الأناجيل كُتبت بشكل مبكر، بعد موت يسوع! وفي الحدود القصوى كلها كُتبت في نطاق الشهود والمعاصرين للأحداث. وهذا يعني أنها كانت باكرة جداً بحيث يصعب على المرء رفض أساس تاريخيتها.

الأناجيل مبكرة جداً بحيث يستحيل أن تكون أسطورية

لقد تحدى يوليوس مولر علماء زمنه أن يأتوا ولو بمثال واحد يمكن لأسطورة في جيل أن تتطور حيث تكون العناصر الأبرز أساطير. ¹¹⁰ ولم يستجب أي أحد للتحدي. والمؤرخ المختص بالتاريخ الروماني شروين وايت لاحظ أن «هيروودتس وفر لنا فرصة أن نختبر إيقاع صناعة الأسطورة، فالاختبارات أظهرت أنه حتى جيلين هذا وقت قصيرة للسماح بالنزعة الأسطورية بالهيمنة على النواة التاريخية للتقاليد الشفوية». ¹¹¹ ويعلق ويليام لين كريج حول هذا الأمر، ملاحظاً أن ذلك يخولنا أن نقول إن المعدل الذي تطور فيها الأساطير «إن الاختبار يظهر أنه حتى جيلين لهو وقت قصير لجعل النزعات الأسطورية تزيل الجوهر الأساسي للحقيقة

¹⁰⁵ William F. Albright, *From Stone Age to Christianity*, 23.

¹⁰⁶ William F. Albright, "Toward a More Conservative View," in *Christianity Today* (1/18/63), 359, emphasis added.

¹⁰⁷ William F. Albright, "Recent Discoveries in Palestine and the Gospel of John" in W. D. Davies ed., in *The Background of the New Testament and Its Eschatology*.

¹⁰⁸ Albright, *The Archaeology of Palestine*, 229.

¹⁰⁹ John A. T. Robinson, *Redating the New Testament*, 352-354.

¹¹⁰ Julius Muller, *The Theory of Myths in its Application to Gospel History, Examined and Confuted*, 29.

¹¹¹ Sherwin-White, *Roman Society and Roman Law in the New Testament*, 190.

التاريخية».¹¹² وأي حساب معقول، يظهر أن الجوهر الأساسي المتين هو الواقع في الدعوى المسيانية للمسيح، وموته وقيامته.

التأكيد التاريخي والآثري [الأركيولوجي] للأناجيل

يقدم لوقا التقاطعات التاريخية التي يمكن التحقق من أصولها التاريخية. وقد قال إن يسوع بدأ خدمته:

«وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ سُلْطَنَةِ طَيْبَارِيُوسَ قَيْصَرَ، إِذْ كَانَ بِيلاطُسُ الْبَنْطِيُّ وَالْيَا عَلَى الْيَهُودِيَّةِ، وَهَيْرُودُسُ رَئِيسَ رُبْعِ عَلَى الْجَلِيلِ، وَفِيلِبُّسُ أَخُوهُ رَئِيسَ رُبْعِ عَلَى إِبْطُورِيَّةَ وَكُورَةَ تَرَاخُونِيَّتِسَ، وَليسانِيُوسُ رَئِيسَ رُبْعِ عَلَى الْأَبِلِيَّةِ فِي أَيَّامِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ حَنَّانَ وَقَيَافَا، كَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ عَلَى يُوْحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ» (لوقا 3: 1 - 2).

ومن الجدير أن نلاحظ أن لوقا يقدم:

1. التاريخ الدقيق (29 م)،
2. ثمان أشخاص، كلهم معروفون تاريخياً،
3. وكانوا معروفين أنهم عاشوا في نفس الوقت. وهذا ليست قصة «كان يا ما كان في قديم الزمان» (أسطورة).

وأي شخص مطلع على الثقافة اليهودية للقرن الأول سيدرك فوراً أن الإنجيل يسجل نفس المناخات. حيث يذكر الفريسيين، والصدوقيين، التقاليد والعادات اليهودية، وحتى يستخدم الكلمات الآرامية (قارن: متى 27: 46؛ أعمال 9: 36)، مع مدن وتضاريس الأرض، وكل ذلك مألوف من وثائق يهودية أخرى من القرن الأول التي سجلها يوسيفوس وآخرون.

بالإضافة إلى ذلك، يذكر العهد الجديد شخصيات تاريخية مثل: أوغسطس قَيْصَرَ (لوقا 2: 1)، وطَيْبَارِيُوسَ قَيْصَرَ (لوقا 3: 1)، وكيرينايوسَ وَالْيَا سُورِيَّةَ (لوقا 2: 2)، وهَيْرُودُسَ الْمَلِكُ (متى 2: 3)، وبِيلاطُسَ الْبَنْطِيَّ الْوَالِي (متى 27: 2)، وَحَنَّانَ وَقَيَافَا كَبِيرَا الْكَهَنَةِ (لوقا 3: 2)، ويوحنا المعمدان، وآخرون. ومن المعلوم أن جميعهم كانوا موجودين واشتغلوا في الوقت والمكان الذي كما ذكرهم العهد الجديد.

وما هو أكثر من ذلك، فإضافة للسند الآثري الكبير لهذه الفترة بالعموم (انظر أعلاه)، فثمة إشارات في الأناجيل تؤيد مكتشفات أثرية محددة، مثل بركة سلوام، وبركة بيت حسدا، وكنيس كفرناحوم، وأساس الهيكل الذي وضعه هيرودس، ودار ولاية بيلاطس، وتخوم الجلجثة، وقبر الحديقة، وبالمثل، يساعد نقش «تيتولس فينتوس» على إضاءة أوغسطس قَيْصَرَ (لوقا 2: 1 وما بعدها). وتذكر لوحة لاتينية «بيلاطس البنطي من يهوذا». وكما يوجد أيضاً عظام لشخص صُلب في القرن الأول، هو يوحنا، تؤيد التفاصيل القاسية لموت المسيح، ومرسوم الناصرة، الذي كان ما بين 41 و54 م، وهو نظرة لافتة على إعلان اليهود على أن جسد

¹¹² William Craig, *Knowing the Truth About the Resurrection*, 101.

المسيح قد سُرق ولم يَقم من الموت (متى 28: 13). وبما أن لوائح الاتهام الرومانية كانت تتضمن غرامة فقط، فلما يجب أن تُرفع هذه العقوبة الصارمة في فلسطين بعد وفاة يسوع مباشرة، وتلاميذه قد أثاروا المعارضة في فلسطين؟¹¹³

ومثل كل بقية الكتب، فحياة المسيح كما جاءت في الأناجيل منسجمة بالكامل مع الوقائع المعروفة المكتشفة من قبل علماء الآثار لتلك الفترة. وليس ثمة من دليل يعاكس ذلك.¹¹⁴ وقد وجدنا مكتشفات كثيرة تثبت الأناجيل.¹¹⁵

الدليل على تاريخية رسائل بولس المبكرة

حتى النقاد الليبراليون الذين يرفضون رسائل بولس المتأخرة، يقبلون أن بولس كتب كورنثوس الأولى وأنها كُتبت بحدود سنة 55 م. وقد أجمل د.أ. كارسون الدليل بشكل ممتاز:

يوجد نقش يسجل أمر الإمبراطور كلاوديوس إلى شعب دلفي، ويذكر غالليو على أنه متسلم منصب القنصل في أخائية في فترة إعلان كلاوديوس السادسة والعشرين على أنه الإمبراطور - الحقبة المعروفة في مصادر أخرى ممتدة في الأشهر السبعة الأولى لسنة 52 م. في مهمة السنيتين والنصف لبولس في أفسس التي جرت في خريف سنة 55.¹¹⁶

وفي أفسس كتب بولس كورنثوس الأولى قبل عيد الخمسين (أعمال 16: 8). وبسبب التعديل المحتمل لسنة على بداية قنصلية غالليو، فتاريخ كتابة كورنثوس الأولى يمكن أن يكون حوالي 56 م.

والآن، تقدم كورنثوس الأولى نفس المعلومات الأساسية حول المسيح الموجودة في الأناجيل، ولكن بعضها كان قبل ما يقارب من خمس سنوات قبل إنجيل لوقا. وهذا يضع الأماكن والوثائق التي تؤكد تاريخية موت وقيامه المسيح بعد 22 - 23 سنة من الحدث! ويكتب بولس:

وَأَعْرَفَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقَوْمُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّ كَلَامٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَيْنًا! فَإِنِّي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِبَعْضِ أَهْلِ الأَنْجِلِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لِأَكْثَرِ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَحَدٍ، أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الآنَ. وَلَكِنْ بَعْضُهُمْ قَدْ رَفَدُوا (1 كورنثوس الأولى 15 - 1 - 6).

¹¹³ See Habermas, *The Historical Jesus*, 154.

¹¹⁴ يجد تيم كالاها (الأصول السرية للكتاب المقدس) إن إشارة لوقا 2: 2 إلى كيرينئوس ليست صحيحة. ولكنه يتجاهل الرد على ذلك من قبل العلماء البارزين أن كيرينئوس لم يكن حاكم سوريا حينما ولد يسوع. بل أن لوقا يشير إلى الإحصاء الذي بدأه كيرينئوس، والذي كان سارياً عند ولادة يسوع خلال حكم أوغسطس قيصر (4 م وما بعدها) كما قال لوقا (لوقا 2: 1). وقد وجد السير ويليام رامزي تثبيت هذا الإحصاء بشكل أبكر، حوالي 8 - 7 ق. م. انظر: *His Was Christ Born in Bethlehem?* 1898). One such ancient census took 40 years to complete (see Geisler, *The Big Book of Bible Difficulties*, 384.

¹¹⁵ See Craig Blomberg, *The Historical Reliability of the Gospels*.

¹¹⁶ D. A. Carson, *An Introduction to the New Testament*, 282-283.

ويظهر هذا النص حقائق مهمة:

أولاً، إن جوهر الرسالة المسيحية هي موت وقيامه المسيح - وهي نفس الأمر الذي شددت عليه الأناجيل الأربعة.

ثانياً، قال بولس في رسالته «مَا قَبِلْتُهُ أَنَا»، مشيراً بذلك أنه كانت لديه أبكر من ذلك. ويرى بعض علماء العهد الجديد أن رسالة بولس الأصلية تسلمها بولس على شكل صيغة عقائدية بعد سنوات فحسب من موت المسيح. فإن كان الأمر ذلك، فهذا يضع رسالة الأناجيل فوق أي شك تاريخي معقول (انظر: «العقائد» فيما بعد).

ثالثاً، إن الدليل على قيامه المسيح يمتد إلى أكثر من 500 شاهد عيان، الواقعة، التي تضعه خارج أي شك منطقي. ويتحدث بولس عن أكثر من 250 شاهد عيان للقيامه الذين كانوا على قيد الحياة حينما كتب رسالته (15: 6). وهو يعدد «صقاً» (بطرس)، الذي كان رسولاً على أنه أحد الشهود العيان (15: 12)، و«الاثني عشر» (رسولاً)، ويعقوب، أخ المسيح، على أنهما شهود عيان ومعاصرين. وهذا دليل على تاريخ المبكر لكورنثوس الأولى.

رابعاً، كان قرّاء كورنثوس الأولى معاصرين للشهود العيان على القيامه، وقد قدم لهم بولس تحدياً ضمناً بسؤال الشهود العيان بأنفسهم، بما أن بولس أضاف: «أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الْآنَ» (العدد 6).

خامساً، أن الدليل الداخلي يتضمن: (1) تكرار الإعلان أن الكتب من بولس (1: 1، 12 - 17؛ 3: 4، 6؛ 22: 16، 21)؛ (2) ثمة متوازيات مع سفر الأعمال؛ (3) دائرة الموثوقية من البداية إلى النهاية؛ (4) ذكر 500 شخص رأوا المسيح، وأغلبهم كان ما زال على قيد الحياة وكان بالوسع التوثق من دعاوي بولس (15: 6)؛ (5) التناغم بين المحتوى مع ما هو معروف عن كورنثوس في ذلك الوقت.

وبالمثل، فالدليل الخارجي لهو من المتانة من القرن الأول والقرن الثاني، بما في ذلك (1) كتاب كلمنت الروماني: الرسالة إلى كورنثوس (الفصل 47)؛ ورسالة برنابا (الفصل 4)؛ الديداهي (الفصل 10)؛ والراعي لهرماس (الفصل 4). وثمة أكثر من 600 اقتباس من كورنثوس الأولى بواسطة إيريناوس، وكلمنداس الإسكندري، وترتليان لوحدهم. فالعهد الجديد أفضل الكتب المصادق عليها في عصره.

سادساً، إن كورنثوس الأولى مع كورنثوس الثانية، وغلطية، وفيلبي (وهي كلها مصادق عليها)، لا تكشف فقط عن اهتمام تاريخي بوقائع سيرة حياة يسوع، ولكنها توفر مجموعة واسعة من التفاصيل عن أشياء موجودة في الأناجيل. ويتحدث بولس عن يسوع:

1. السلالة اليهودية (غلطية 3: 16)؛
2. نسب داود (رومية 1: 3)؛
3. الولادة العذرية (غلطية 4: 4)؛
4. حياته تحت الشريعة اليهودية (غلطية 4: 4)؛

5. وأخوته (1 كورنثوس 9: 5)؛
6. وشخص يدعى يعقوب (1 كورنثوس 5: 7)؛
7. الاثني عشر تلميذاً (1 كورنثوس 15: 7)؛
8. وبعضهم لديه زوجات (1 كورنثوس 9: 5)؛
9. أن بولس يعرف بطرس ويعقوب (غلاطية 1: 18 - 2 - 16)؛
10. فقر يسوع (2 كورنثوس 8: 9)؛
11. تواضعه (فيلبي 2: 5 - 7)؛
12. وداعة المسيح وحلمه (2 كورنثوس 10: 1)؛
13. مضايقات الآخرين له (رومية 15: 3)؛
14. تعاليمه بخصوص الطلاق والزواج (1 كورنثوس 7: 10 - 11)؛
15. دفع أجور الخدام (1 كورنثوس 9: 14)؛
16. دفع الضرائب (رومية 13: 6 - 7)؛
17. محبة القريب (رومية 13: 9)؛
18. النجاسة الطقسية (رومية 14: 14)؛
19. حول ألقاب يسوع الإلهية (رومية 1: 3 - 4؛ 10: 9)؛
20. حول اليقظة ترقباً لمجيء يسوع الثاني (1 تسالونيكي 4: 15)؛
21. الذي سيكون مثل لص في الليل (1 تسالونيكي 5: 2 - 11)؛
22. بشأن تعليم المسيح بخصوص عشاء الرب (1 كورنثوس 11: 23 - 25)؛
23. حول سيرة يسوع الخالية من الخطيئة (2 كورنثوس 5: 21)؛
24. وموته على الصليب (رومية 4: 25؛ 5: 8؛ غلاطية 3: 13؛ 1 كورنثوس 15: 3)؛
25. بالصليب تحديداً (رومية 6: 6؛ غلاطية 2: 20)؛
26. بتحريض يهودي (1 تسالونيكي 2: 14 - 15)؛
27. حول دفن يسوع (1 كورنثوس 15: 4)؛
28. حول قيامته في «اليوم الثالث» (1 كورنثوس 15: 4)؛
29. بشأن ظهوره للرسول بعد قيامته (1 كورنثوس 15: 5 - 8)؛
30. (1 كورنثوس 15: 6)؛
31. وحول مكانه الآن على يمين الله (رومية 8: 34).

إضافة لذلك، يضع بولس حقيقة المسيحية حول تاريخية القيامة (1 كورنثوس 15: 12 وما بعدها). وقد أعطى بولس تفاصيل تاريخية حول معاصري يسوع (1 كورنثوس 15: 5 - 8)، بما فيهم لقاءاته الخاصة مع بطرس والرسل (غلاطية 1: 18 ما بعدها؛ 2: 1 وما بعدها). وأكثر من ذلك، لاحظ أنه كان ثمة أكثر من (250) شاهداً على قيد الحياة عندما كتب كورنثوس الأولى، تاركاً المجال لتحدي ضمني للتحقق من دعاويه (15: 6). والمرء بالكاد يقدر أن يطلب دليلاً أفضل بخصوص الحقيقة التاريخية للمسيحية روته الأنجيل الأربعة مع تفاصيل أعظم.

تأكيد العهد الجديد بقوانين «الإيمان المبكرة» أو التقاليد

يشير عدد من العلماء إلى الدليل في العهد الجديد على العقائد المبكرة أو التقاليد التي تشير إلى تاريخية الرسالة الأساسية في الأناجيل. بما أن أغلب الناس في القرن الأول كانوا أميين، فإن فقرات قصيرة عن المسيح كانت سهلة الحفظ، وكانت طريقة صالحة لنقل الحقيقة. إن «قوانين الإيمان» هذه تشير إلى مسائل مثل الإيقاع والنماذج المتكررة. ونجد أمثلة ممكنة في (لوقا 24: 34؛ أعمال 2: 22 - 24؛ 3: 13 - 15؛ 4: 10 - 12؛ 5: 29 - 32؛ 10: 39 - 41؛ 13: 37 - 39؛ رومية 1: 3 - 4؛ 4: 25؛ 10: 9؛ 1 كورنثوس 11: 23 وما بعدها؛ 15: 3 - 8؛ فيلبي 2: 6 - 11؛ 1 تيموثاوس 2: 6؛ 3: 16؛ 6: 13؛ 2: 8؛ 1 بطرس 3: 18؛ 1 يوحنا 4: 2).¹¹⁷

ونجد في 1 كورنثوس 15: 3 - 8 أكثر الأمور لافتة للنظر:

«فَإِنِّي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الْأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِأَنْثُنِي عَشْرَ. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لِأَكْثَرِ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ، أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الْآنَ. وَلَكِنْ بَعْضُهُمْ قَدْ رَقَدُوا. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ، ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ. وَآخِرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ لِسَقَطٍ ظَهَرَ لِي أَنَا.» [التأكيد مضاف].

وما هو جدير بالذكر هنا هو أن بولس «تلقى» التعاليم من آخرين. وهذا يعني أن هذه التعاليم كانت موجودة قبل ذلك. ولاحظ جاري هايرماس، صاحب المعرفة في مسألة القيامة، أن علماء عديدين نقديين أعطوا تاريخاً مبكراً بشكل يدعو للدهشة: «بخصوص وقت أكثر دقة، وهو تاريخ أكثر شعبية موجود في منتصف الثلاثينات ميلادية».¹¹⁸ وبالنهاية، فيولس كتب حوالي 55 - 56 ميلادي. وهذا ما يضع أصل التعاليم حول موت، ودفن، وقيامه يسوع، وظهوره للمئات الأشخاص وفق تقدير المحافظين في حدود سنوات قليلة بعيد الأحداث التي جرت.

التأكيد على العهد الجديد من موقف الحقائق الأساسية

يحتاج البروفسور هايرماس بما يمكن أن يُسمى موقف الحقائق الأساسية. بادئاً بالحقائق التي يتفق عليها أغلب العلماء النقديين في العهد الجديد، فهو يبرهن أن أفضل تفسير أن يسوع عاش، ومات، وقام من بين الأموات - وهو مركز تاريخية العهد الجديد. وهو يعدد «أنه توجد على الأقل اثنتا عشرة حقيقة منفصلة متفق عليها بخصوص التاريخ القابل للمعرفة» من قبل كل «الباحثين النقديين عملياً».¹¹⁹ وهذا يتضمن:

¹¹⁷ This list is given by Habermas, *The Historical Jesus*, 154.

¹¹⁸ Ibid.

¹¹⁹ Gary Habermas, *The Historical Jesus*, 158.

1. يسوع مات على الصليب،
2. دُفن،
3. تلامذته تفرقوا،
4. وُجد القبر فارغاً بعد ذلك،
5. آمن التلاميذ أنهم رأوا يسوع فيما بعد حقيقةً،
6. وتحولوا من أناس شاكين إلى مبشرين شجعان بالقيامة،
7. وهذه الرسالة كانت مركز التعليم المبكر،
8. وقد قام التلاميذ بالتيشير عن ذلك في أورشليم بعد وقت قصير من الحدث،
9. وقد وُلدت الكنيسة ونمت بسرعة،
10. وكان يوم الأحد يوم العبادة الرئيسي،
11. وقد آمن يعقوب بعد أن كان يشك بقيامة يسوع،
12. وبعد سنوات اهتدى بولس مؤمناً أنه رأى يسوع القائم من الموت.

وعلى هذا الأساس يتم المجادلة بعدم وجود نظرية طبيعية تفسر هذه الحقائق وأن القيامة الجسدية الفعلية ليسوع هي التي تفسر أفضل تفسير كل هذه الحقائق.

علاوة على ذلك، لو أخذنا حتى بأربعة حقائق من تلك، والتي يقبل بها عملياً كل العلماء النقيدين (1، 5، 6، و12)، فما زال يمكن الدفاع عن إن قيامة المسيح الفعلية هي التي تفسر كل هذه الحقائق.¹²⁰ ويخلص هايرماس إلى «أن هذه الحقائق الأساسية توفر أيضاً الدليل الإيجابي الرئيس على ظهورات قيامة المسيح الفعلية... وبهذا فجوهر الحقائق التاريخية توفر الدليل الإيجابي على إمكانية إثبات دعاوي الرسل بشأن قيامة يسوع الفعلية، وبالتحديد، أن هذه الحجج لا يمكن أن تعلق بشكل طبيعي».¹²¹

الدليل الداخلي على تاريخية الأناجيل

بالإضافة إلى متانة الدليل من خلال المكتشفات الأثرية القديمة، وشهادة الشهود العديدين، وهناك أدلة داخلية على صحة تاريخية ومتانة موثوقية روايات الإنجيل. فيما أنه تم تأريخ الكتب في الفترة المتصلة بشكل مباشر مع تلاميذ يسوع، تضعف جدوى السؤال من هو الذي كتبها عملياً. وفي الواقع، ليست ثمة سبب جيد لرفض نسب التأليف التقليدي، الذي يصادق عليه تاريخ الكنيسة المبكر لمتى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا. إذا كان الحال كذلك، فالوثائق كُتبت من جانب تلاميذ المسيح في القرن الأول، الذين كانوا شهود عيان ومعاصرين للأحداث. وهذا هو الواقع. ولننظر إلى الدليل الداخلي على موثوقية الأناجيل.

¹²⁰ Ibid., 162–164.

¹²¹ Ibid., 165.

لم يسع كتاب الأناجيل للمواهمة بين قصصهم: في عرضهم لرواياتهم الموثوقة فإن الشهود العيان نادراً ما يحكون القصة نفسها كلمة بكلمة. ففي الشهادة يوجد التشارك في النقاط الهامة، ولكن حرفية التفاصيل نادرة. وهذا ما نجده في الأناجيل. فثمة إجماع بخصوص الحقائق المركزية حول حياة، وموت وقيامته المسيح، بالتوازي مع اختلافات هامة التفاصيل ولكنها قابلة للتوفيق.

يظهر في بعض الأحيان كما لو كان يوجد تعارض ظاهري بين رواية وأخرى. فعلى سبيل المثال، ثمة ملاك واحد لدى القبر في متى (28: 2-3)، واثنان في يوحنا (20: 12). ويقول متى (27: 5) إن يهوذا شنق نفسه، بينما يؤكد سفر الأعمال أن يهوذا سقط على وجهه (أعمال 1: 18). ويقول متى أن يسوع شفى رجلين أعميين (متى 9: 27)، وبينما يقول لوقا (18: 35) وما بعدها) انه شفى رجلاً أعمى.

وحتى شيء بسيط مثل النقش على الصليب يقرأ بأربعة أشكال مختلفة (قارن: متى 27: 37؛ مرقس 15: 26؛ لوقا 23: 38؛ يوحنا 19: 19). وبالتأكيد لم يكن ليسمح كتاب بمثل هذه التعارض الظاهري في الأخبار لو كان بينهم توافق. وبينما لم يتبرهن قط على أن هذه هي تعارضات حقيقية،¹²² والمؤكد كما يظهر أن الكتاب لم يكونوا متأمرين سويًا للكلام عن قصة ليست صحيحة.

أدرج كتاب الأناجيل آيات تضع يسوع في ضوء رديء: دليل داخلي على موثوقية الأناجيل هو حقيقة أن كُتَّاب الأناجيل لم يترددوا في تدوين مواضيع تضع يسوع، الذي كانوا مخلصين له، تحت ضوء رديء. إذ نقرأ أن خصومه أطلقوا عليه «شَرِّيبُ خَمْرٍ» (متى 11: 19)، و«يَهْذِي» (يوحنا 10: 20)، وبه شَيْطَانٌ (يوحنا 8: 48)، ولم يؤمن أخوته به (يوحنا 7: 5). وبالتأكيد، لا أحد كان يريد أن يقدم صورة جميلة أو يتكلم عن أسطورة كان سيقبل بمثل هذه التفاصيل في كتاب يخص بطلم الأعمى، ولما قالوا شيئاً من قبيل ذلك عن الشخص الذي كانوا يؤمنون أنه ابن الله.

ترك كتاب الأناجيل آيات صعبة في نصوصهم: وحتى أكثر أتباع يسوع المخلصين يقرون أنه كان من الأسهل الدفاع عن إعلان يسوع أنه ابن الله لو لم تكن الأناجيل تحتوي على بعض الأشياء التي قالها يسوع صعبة على الشرح. فعلى سبيل المثال، إن كان يسوع هو الله حقاً، كما تسجل النصوص التي أعلن فيها ذلك (متى 27: 63-64؛ يوحنا 5: 23؛ 8: 59؛ 10: 30؛ 17: 5)، فلماذا ترك كتاب الأناجيل كلمات مثل: «لأنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي» (يوحنا 14: 28)، و«تِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهَمَّا أَحَدٌ» (متى 24: 36)؟ ولماذا أيضاً وبخ الغني الذي قال ليسوع: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ»، فرد عليه: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا. لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ» [متى 19: 16-17]. فلماذا إذاً يترك كتاب العهد الجديد هذه الآيات بحيث يقوم اللادريون باستغلالها ليقولوا إن يسوع لم يكن حكيماً، مثل لعنه شجرة التين التي لم تكن تحمل تيناً في غير أوانها (متى 21: 18 وما بعدها). ولماذا يتركوا آية تقول إن يسوع بدأ وكأنه يقول إنه سيعود إلى الأرض في غضون الحيل ولكنه لم يفعل ذلك (متى 24: 34)، لا سيما أن قبل المرء، كما يفعل النقاد، أن هذا لم يكتب إلا متأخراً وبعد أن ظهر أن النبوة لم

¹²² بخصوص أن هذه التعارضات التي هي ظاهرية فعلياً، وليست حقيقية. انظر:

تتحقق؟ والسبب الأكثر احتمالاً هو أن كتاب الأناجيل كانوا ينقلون ما جرى وليس ما يجعل الأمر يبدو أفضل، أو أنسب، أو يترك أثراً أفضل. باختصار، إن كل هذه الأشياء تصب في صالح مصداقية كتاب الأناجيل.

سجل كتاب الأناجيل قصصاً تنقص من شأنهم: لنسلم أن واحداً أو أكثر من الرسل كتب إنجيلاً أو أكثر (لنقل متى و/ أو يوحنا)، أو لنفرض أنه كان لديه تأثير قوي على كاتب الإنجيل (مثل بولس على لوقا أو بطرس على مرقس ورفاقه)، فلماذا تركوا أشياء تنقص من شأنهم، مثل: (1) كل التلاميذ ناموا عندما طلب منهم يسوع الصلاة؛ (2) دُعي بطرس يا «شيطان» (متى 16: 23)؛ (3) أنكر بطرس الرب ثلاث مرات (لوقا 22: 34)؛ (4) وعندما صارت الأمور صعبة (لدى الصليب)، هرب التلاميذ ما عدا واحداً (مرقس 14: 50)؛ قطع بطرس إذن خادم الكاهن الأعلى (مرقس 14: 47)؛ و(6) وخلافاً لتعليم يسوع المتكرر أنه سيقوم من الموت ثانيةً (يوحنا 2؛ متى 12؛ 17)، فإن التلاميذ كانوا متشككين وغير مصدقين أن يسوع قد قام من الموت؟ ومرة أخرى، إن أفضل تفسير لاحتواء الأناجيل على ما ينقص من شأنهم هو أنها تروي ما حدث فعلاً، وأن كُتَّاب الأناجيل كانوا يخبرون الحقيقة.

ميز كتاب الأناجيل بين كلمات يسوع وكلماتهم: أن أي متعلم يقدر أن يأخذ نسخة من الإنجيل بالأبيض والأسود ويضع بدقة علامات اقتباس حول ما قاله يسوع، وسهولة ذلك لأن كُتَّاب الأناجيل ميزوها بوضوح بعيداً عما جاء في لسانهم. والواقع أن لون الأحرف الأحمر من الكتاب المقدس، حيث كلمات يسوع باللون الأحمر يظهر إلى أي حد كلماته مميزة بنفسها. ولكن لماذا يجب على كتاب الأناجيل أن يميزوا بعناية كلمات يسوع عن كلماتهم الخاصة، ولم يضعوا كلمات على فم يسوع؟ إن التمييز يظهر، على العكس من النقد الشكلي والتنقيحي، إنهم كانوا ينقلون الصدق، ولم يكن يختلقون كلمات يسوع.

وبالمثل، قدم بولس نفس التمييز الدقيق في رسائله وفي سفر الأعمال، حيث قال: «فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرِيْتُكُمْ أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْكُمْ تَتَعَبُونَ وَتَعْضُدُونَ الضَّعْفَاءَ، مُنْذِرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ: مَعْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرَ مِنْ الْأَخَذِ» (الأعمال 20: 35). وقال للكورنثيين: «وَأَمَّا الْمُنْتَرَوِّجُونَ، فَأَوْصِيهِمْ، (لَا أَنَا بَلِ الرَّبِّ)...» وبعد آيتين قال: «وَأَمَّا الْبَاقُونَ، فَأَقُولُ لَهُمْ (أَنَا، لَا الرَّبِّ)...» (1 كورنثوس 7: 10، 12 قارن: 9؛ 14؛ 11: 23 - 25) [التشديد مُضَاف].¹²³

لم ينكر كتاب الأناجيل شهادتهم تحت الاضطهاد أو التهديد بالموت: إن الطريقة الأكثر تأكيداً لتحديد إن كان المرء يتكلم الحقيقة هي اضطهاده أو تهديده بالقتل إن لم يغير نظرتَه. ومن المعروف جيداً أن المسيحيين الأوائل، الذين كان من بينهم كتاب الأناجيل، تعرضوا بشكل متكرر لهذه الحالة. (أعمال 4، 5، 7 و 8) هي نماذج بارزة لذلك في الكنيسة الأولى. وقد تحدث بولس عن أعداء المسيح الذين رفضوا تصديقه:

مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قِيلَتْ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلَّا وَاحِدَةً. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ، مَرَّةً رُجِمْتُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِي السَّيْفَةُ، لَيْلًا وَنَهَارًا قَضَيْتُ فِي الْعُمُقِ. بِأَسْفَارٍ مَرَارًا كَثِيرَةً، بِأَخْطَارِ سُبُولٍ، بِأَخْطَارِ لُصُوصٍ،

¹²³ بالطبع، أغلب الدارسين يرون أن يسوع كان يتكلم بالآرامية، وبعضهم يرى أنه كان قادراً على التحدث بالعبرية. وبما أن الأناجيل (وكل العهد الجديد) مكتوبة باليونانية، فنحن لدينا ترجمة لكلمات يسوع. ويظهر أحياناً وجود تلخيص أو اختصار لما قال يسوع (يمكن ملاحظتها عن طريق مقارنة إنجيل بآخر)، ولكن هذا يظهر أن كتاب الأناجيل كانوا يقدمون تعاليم يسوع الحقيقية وليست تعاليمهم الخاصة. وإذ كنا لا ندعي أن لدينا نفس كلمات يسوع الحرفية في الإنجيل (بالآرامية)، فإن كتاب الأناجيل يقدمون لنا نفس المعنى.

بِأَخْطَارٍ مِنْ جُنْسِي، بِأَخْطَارٍ مِنَ الْأُمَمِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ، بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةِ كَذْبَةٍ. فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ، فِي أَسْهَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ، فِي أَصْوَامٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي بَرْدٍ وَعُزْيٍ. عَدَا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ: التَّرَاكُمُ عَلَيَّ كُلِّ يَوْمٍ، الْاهْتِمَامُ بِجَمِيعِ الْكَنَائِسِ (كورنثوس الثانية 11: 24 - 28).

وأنها لحقيقة نفسية، أن أقلية، إن وجدت فعلاً، قادرة أن تحتل عذاباً على أمر تعرف أنه كاذب.¹²⁴

إن كان ما أورده كتاب العهد الجديد زيفاً، فالمرء سواء أكان تقياً أم لا، سينهار تحت الضغط، وسيعترف أن ما قاله ليس حقاً، ولكن لم يفعل أي واحد منهم هذا الشيء. وهذا بدوره شهادة قوية على صدق تسجيلات الإنجيل.

أحداث العهد الجديد ترتكز على شهادة العيان: في الأناجيل وسفر الأعمال الدليل على أن ما فيها قائمة على سفر شهادة العيان.

يوحنا: «وَالَّذِي عَايَنَ [الصليب] شَهِدَ، وَشَهِدَتْهُ حَقٌّ» (يوحنا 19: 35). «هَذَا هُوَ التَّمْلِيذُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِذَا وَكَتَبَ هَذَا. وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهِادَتَهُ حَقٌّ.» (يوحنا 21: 24).

لوقا: «إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيْفِ قِصَّةٍ فِي الْأُمُورِ الْمُتَبَيَّنَةِ عِنْدَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَامًا لِلْكَلِمَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلَامِ الَّذِي عَلَّمْتَ بِهِ.»

سفر الأعمال: «فَيَسُوعُ هَذَا أَقَامَهُ اللَّهُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذَلِكَ» (الأعمال 2: 32) «فَأَجَابَهُمْ بَطْرُسُ وَيُوحَنَّا وَقَالَا: «إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللَّهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللَّهِ، فَاحْكُمُوا. لِأَنَّنا نَحْنُ لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ لَا نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا» (الأعمال 4: 19 - 20). «وَنَحْنُ شُهُودٌ بِكُلِّ مَا فَعَلَ فِي كُورَةَ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي أُورُشَلِيمَ. الَّذِي أَيْضًا قَتَلُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ. هَذَا أَقَامَهُ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، وَأَعْطَى أَنْ يَصِيرَ ظَاهِرًا» (الأعمال 10: 39 - 40). «أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِبَعْضِهِمْ لِمَنْ لَمَّا لَثَمِي عَشْرًا. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لِأَكْثَرِ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَحَدٍ، أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الْآنَ. وَلَكِنْ بَعْضُهُمْ قَدْ رَفَدُوا. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِبَعْضِهِمْ، ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ. وَأَجْرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ لِسَقَطٍ ظَهَرَ لِي أَنَا» (كورنثوس الأولى 15: 3 - 8) - المكتوبة 55 - 56 م.

العبرانيين: «فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلَاصًا هَذَا مِقْدَارُهُ؟ قَدْ ابْتَدَأَ الرَّبُّ بِالتَّكَلُّمِ بِهِ، ثُمَّ تَثَبَّتْ لَنَا مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا [التشديد مضاف]، شَاهِدًا اللَّهُ مَعَهُمْ بِآيَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَقُوَاتٍ مُنْتَوَعَةٍ وَمَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، حَسَبَ إِرَادَتِهِ» (العبرانيين 2: 3 - 4).

¹²⁴ حقيقة إن إرهابيين يضحون بأنفسهم لما يعتقدونه أنه حقيقة (وهو السبب المزيف) لا يتعلق بقضيتنا. فلا ير أي إرهابي قط 72 حورية أو جنة الإسلام قبل الموت. ولكن شهود العهد الجديد رأوا وسمعوا ما سجلوا، أي، كلمات ومعجزات يسوع.

بطرس: «لأننا لم ننبع خرافات مصنعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين عظمته» (بطرس الثانية 1: 16). «أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم، أنا الشيخ رفيقهم، والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد العتيدي أن يعلن» (بطرس الأولى 5: 1).

يوحنا: «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعينينا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة» (يوحنا الأولى 1: 1).

وأخيراً، تحتوي رواية العهد الجديد مؤشرات عديدة على رواية شهود عيان. وفيها لغة مباشرة حية تظهر أنها رواية شهود عيان. وهي تعكس معرفة أماكن القرن الأول، والأشخاص، والعادات، والتضاريس، والجغرافيا. وثمة إشارة إلى مدن يمكن التحقق منها مثل بيت لحم، وأورشليم، ومدن أخرى عديدة في القرن الأول في فلسطين، مع معرفة دينية حول الفريسيين والصدوقيين.

ويوفر لوقا إشارات تاريخية يمكن التحقق منها في إنجيل لوقا، وهو الأمر الذي لا يمكن أن يحدث مع كاتب أساطير. ويشير لوقا إلى ملك روما على أنه على قيد الحياة عندما ولد يسوع، أغسطس قيصر (لوقا 2: 1)، وإلى الإحصاء الذي جرى في سوريا تحت أمرة كيرينثوس، وزعماء معرفين رومان ويهود على قيد الحياة، بما فيهم: طيباريوس قيصر، بيلاطس النبطي، وهيرودس، وأخيه فيلبس أخوه، وحان وقيافا، ويوحنا المعمدان (انظر: لوقا 3: 1 - 2).

المصادر غير المسيحية تؤكد حقائق الإنجيل الأساسية: بالإضافة إلى الروايات الكتابية، فثمة مصادر غير مسيحية عن حياة المسيح، بما فيها: تاسيتوس، سويتونيوس، تالوس، التلمود اليهودي، ويوسيفوس. والاستشهادات منها موجودة في عمل ف. ف. بروس الهام، المختص البارز في العهد الجديد، في كتابه: «يسوع، أصول المسيحية خارج العهد الجديد»، وكتاب غاري هابرماس: «يسوع التاريخي». وإن سرنا مع هابرماس، فإن أشياء عديدة يمكن أن يتم التحقق منها: (1) كان يسوع محل عبادة المسيحيين (2) أتى يسوع بتعليم جديد في فلسطين (3) صُلب لأجل هذا التعليم. وفي تعليمه نجد (4) شركة كل المؤمنين (5)، أهمية الانتهاء، و(6) أهمية رفض آلهة اليونان. والمسيحيون (7) يؤلهون يسوع و(8) وكانوا يعيشون حسب شريعته. وبالإضافة إلى ذلك، كان أتباع يسوع (9) يؤمنون بالخلود، وكانوا (10) لا يهابون الموت (11) ويتصفون بالتفاني الذاتي الطوعي، و(12) انكار الماديات. وقد أعطى لوقيان أكثر الروايات غنى بالمعلومات عن يسوع والمسيحية خارج العهد الجديد، على الرغم أنه أعلى النقاد صوتاً.¹²⁵

ويلاحظ هابرماس أن كتابات المصادر غير المسيحية عن المسيح تقريباً هي من 20 إلى 150 سنة على موت المسيح، وهو ما يعتبر باكراً جداً في معايير علم التاريخ القديم. وأكثر من ذلك: «إن سبعة عشر من الكتابات غير المسيحية تسجل أكثر من خمسين تفصيلاً بخصوص، سيرة، وتعاليم، وموت وقيامه يسوع، بالإضافة إلى تفاصيل متعلقة بالكنيسة المبكرة».¹²⁶ وإن أضاف المرء المصادر غير الكتابية والمسيحية أيضاً،

¹²⁵ Gary Habermas, *The Historical Jesus*, Chapter 9.

¹²⁶ *Ibid.*, 150.

فثمة ما يقارب من (129) حقيقة حول حياة المسيح مسجلة خارج العهد الجديد.¹²⁷ وهذا هو تأكيد شديد القوة على تاريخية العهد الجديد من المصادر خارج الكتاب المقدس.

الاعتراضات على تاريخية العهد الجديد

رغم الدليل الكبير على تاريخية العهد الجديد، فما زال البعض يشكك في موثوقيته. وأكثر حجتان ذكراً هما: استحالة معرفة الماضي، وعدم موثوقية قصص المعجزات.

هل التاريخ قابل للمعرفة؟

يتساءل بعض العلماء النقاد إن كان يمكن معرفة التاريخ بالإجمال. ويأتي هذا الاعتراض من أصحاب النسبية التاريخية الذين أجبنوا عليهم باستفاضة في مكان آخر.¹²⁸ ويمكن ذكر الملاحظات التالية: أولاً، هذا الاعتراض يرتد على النفس، أن يدعي المرء أن كل الآراء عن التاريخ ليست صحيحة. فالمرء يجب أن يعرف النظرة الصحيحة في التاريخ ليتمكن من القول بذلك. ثانياً، إن التاريخ البشري يقوم على نفس المبادئ الأساسية التي يبني فيها العلماء التاريخ العلمي، والذي يقول عنه النسبيون أنه صالح. ويكفي الوثائق المتوفرة والشهود الكثر لبناء تاريخ موثوق عن كلمات وأفعال يسوع. ثالثاً، إن كان تاريخ يسوع مجهولاً، فكل التاريخ مجهولاً لأن الدليل التاريخي عن يسوع هو أكبر بكثير من أي تاريخ في العالم القديم.

هل روايات المعجزات غير موثوقة؟

بما أنه تم معالجة مسألة موثوقية المعجزات سابقاً (في الفصل 5)، فسننظر إلى هذه المسألة باختصار. قبل كل شيء، لم يقدم أي أحد حجة قاطعة تظهر أن المعجزات مستحيلة. وكل حجة هي مصادرة على المطلوب بتحديد المعجزة أنها مستحيلة. ثانياً، إن كان الله الواحد موجوداً، فالمعجزات ممكنة، لأن المعجزة هي عمل خاص لله، وإن كان الله الواحد موجوداً، الذي قام بعمل خارق هو خلق العالم من العدم، فالنتيجة هي أن المعجزات ممكنة. ثالثاً، وهذا يتبع، أنه لدحض إمكانية المعجزات يجب أن يتم تفنيد وجود الله. وعلى الرغم من كل المحاولات لإلقاء الشك على وجود الله، لم يقدر أحد بعد على توفير نفي مطلق على وجود الله. وكل المحاولات ذهبت أدراج الرياح.¹²⁹

وإضافة لذلك، ثمة تناقض في حجج النقاد. لأن المؤرخين القدماء يقبلون موثوقية الروايات القديمة حول الأحداث التي تشتمل على المعجزات فيها. وكما لاحظ هابر ماس: «تسرد التواريخ القديمة الأخبار الخارقة من كل نوع، بما في ذلك، الطوالع والنذر، والتنبؤات، ومعجزات الشفاء، وأنواع مختلفة للتدخل الإلهي، كما التأثير الشيطاني». فمثلاً «في التاريخ عن الإسكندر العظيم، فإن بلوتارخ بدأ بالتنويه أنه يبدو أن الإسكندر كان سليل

¹²⁷ Ibid., 243–250.

¹²⁸ Geisler, *Systematic Theology: Introduction and Bible*, vol. 1, chapter 11.

¹²⁹ Geisler, *BECA*, “God, Alleged Disproofs of.” Michael Martin edited a book on *The Impossibility of God*, but none of his arguments reach the level of a logical disproof.

هرقل¹³⁰. ولاحقاً تكلم الإسكندر مع كاهن ادعى أن ابن الإله آمون، ومع آمون نفسه». وبالفعل، «في نهاية حياته، اعتبر الإسكندر كل حدث غير عادي أنه خارق وأحاط نفسه بعرفين وغيرهم ليخبروه بالمستقبل».¹³¹ وكان إدراج معجزات مدعاة جزء من أخبار تاسيتوس وسويتونيوس الذين تقبل رواياتهما من جانب المؤرخين المعاصرين باعتبار أنها تحتوي على أخبار تاريخية موثوقة.

هل تتطلب الدعاوي غير العادية دليل خارق؟

ثمة نقد مقارب، ولكن أقل بروزاً، يتكرر دائماً «الدعوى الاستثنائية تتطلب أدلة استثنائية». ويعطي العهد الجديد دعاوي غير عادية، وهذا يتطلب دليلاً غير عادي. وبكل حال، ثمة ثغرات خطيرة عديدة في هذه الدعوى بخصوص تأثيرها على تاريخية العهد الجديد.

قبل أي شيء، أن مفردة «الاستثنائية» غامضة. هل يُقصد بها خارقة؟ فإن كان هذا هو القصد، فهذه مصادرة على المطلوب، لأنها تعادل القول: «الدعوى الإعجازية تتطلب دليل معجز». ولكن إن قدم المرء دليلاً معجزاً على ذلك، فالمعترض قد يطلب دليلاً معجزاً آخر على ذلك، وهذا إلى ما لا نهاية. وفي هذه الحال، المرء لن يقدر أن يتحقق من أي معجزة. وهذا على كل حال مصادرة على المطلوب.

ثانياً، إن كانت مفردة «الاستثنائية» تعني ببساطة مجرد أمر أكثر من عادي، فالعهد الجديد يقبل التحدي، بما أنه يوجد مخطوطات أكثر عدداً، وأبعد قدماً، ومنسوخة بدقة أكبر، مع شهود أكثر، ومؤيدة بشكل أكبر بدليل خارجي أكثر من أي كتاب آخر في الأزمنة القديمة.

ثالثاً، إن مفردة «الاستثنائية» غير دقيقة. كيف يجب أن يكون الدليل غير عادي؟ من يُحدّد معناه؟ ما هي المعايير الموضوعية على الأمر الاستثنائي؟ وهل هذا ينطبق بشكل دائم على الدعوى غير العادية في التاريخ وفي حقول معرفية أخرى؟ فمثلاً: كانت بطولات نابليون استثنائية¹³². وقليلون قبله أو بعده من قدروا على تحقيقها. ومع ذلك لم يتم رفض تاريخية أعماله البطولية لأنه كان لديه الوثائق والشهود التي تسمح باعتبارها تاريخية.

رابعاً، كثيراً من الآراء في العلم الحديث والتي هي غير عادية تم القبول بها بأدلة أقل مما في العهد الجديد. نظرية الانفجار الكبير هي مثال على ذلك. وحسب المعايير السارية في العلم الحديث، فانفجار الكون من العدم هو حدث غير عادي بشكل فائق¹³³. ومع ذلك فالدليل العلمي العادي كان مطلوباً للاعتقاد به، مثل القانون الثاني للديناميكا الحرارية، وتمدد الكون، الخ (انظر الفصل 2).

¹³⁰ [أحد أبطال الأساطير اليونانية. وابن الإله زيوس]

¹³¹ Habermas, *The Historical Jesus*, 154.

¹³² انظر نقد حاد لمقولة إنه يجب أن يتم رفض ما جاء في العهد الجديد لأنه يحتوي على قصص استثنائية في: Richard Whately in *Historical Doubts Relative to the Existence of Napoleon Bonaparte in Famous Pamphlets*, ed. H. Morley (New York: Routledge, 1890).

¹³³ انظر تقرير اندراج نظرية الانفجار الكبير في القانون الاعتيادي، وردة الفعل غير العادية من جانب علماء أكثر، في: Robert Jastrow's, *God and the Astronomers*, chapter 6.

وأخيراً، الكثير من الأحداث الطبيعية بشكل محض هي استثنائية لحد كبير. مثلاً، كل شيء في الطبيعة يتقلص إن تعرّض للبرودة. مع إن الماء عندما يبلغ درجة 32 فهرنهايت (صفر مئوية)، فإن الجزيئات تتبلور في شكل هيكل يتمدد بدلاً من أن يتقلص. ولا يطلب العلماء دليلاً غير عادي على ذلك، لأن الأمر يسير على وفق التالي: مجرد أن المطلوب للتثبت من أحداث طبيعية أخرى كان الملاحظة العادية.

باختصار، إن «الدعوى الاستثنائية تتطلب أدلة استثنائية» تخفق في تقويض تاريخية العهد الجديد. لأنه ثمة أكثر من دليل كافٍ على دعوى الإعجاز فيه.

هل تنفي الدوافع الدينية كتابة تاريخ موثوق؟

لقد تم مناقشة هذه المسألة في مكان آخر. ويكفي أن نذكر هنا أن أمثال هذه الاعتراضات مصادرة على المطلوب أو فشل ذاتي.¹³⁴ لأنه يمكن اتهام ضحايا الهولوكوست أن لديهم تحيزات مسبقة، ولكن من الذي يمكن أن يقدم شهادة أفضل من شاهد عيان على الحدث الفعلي. وبالفعل، أظهر كُتّاب آخرون قديماً أن أهدافاً دينية في كتاباتهم، ولكن ذلك لم يمنع المؤرخين من التوصل إلى حقائق أساسية عن الماضي من كتاباتهم. لكل شخص هدف من الكتابة وله أن يقدم أحكام قيمة. ولكن هذا لا يلغي أهليتهم كمؤرخين جيدين. وأخيراً، لقد أظهرنا أعلاه، أنه حيث كان كتاب الأناجيل يتشابكون مع التاريخ العام، فإنهم ظهروا مراراً على أنهم تمتعوا بالدقة، بغض النظر من نظراتهم الدينية.

هل لدينا كلمات يسوع الحرفية؟

حتى مع افتراض الموثوقية العامة للعهد الجديد، فالبعض يقول إنه لا يحتوي على كلمات يسوع الحرفية. وفي تصوّر هذا البعض أن ذلك يضعف قضية الموضوعية التاريخية للعهد الجديد. وسوف نبسط حجج هذه النظرة ونقيمها.

كلمات يسوع بالأرامية وتم ترجمتها لليونانية: الاعتراض الأول هو أن يسوع تكلم على الأرجح بالأرامية، كما يظهر من حقيقة أن بعض الكلمات ما زالت محفوظة بنفس اللغة (قارن: متى 27: 46). والعهد الجديد مكتوب باليونانية. وبالتالي، فهي ترجمة لكلمات يسوع.

الرد: ملاحظتان في الترتيب. أولاً، حتى لو تكلم يسوع بالأرامية، فهذا لا يعني أن كُتاب الأناجيل لم يترجموها بأمانة. ثانياً. بعض العلماء يرى بما أن يسوع كان لديه لغتان على الأقل، فمن المحتمل أنه تكلم مع التلاميذ باليونانية.¹³⁵ وفي هذه الحالة، ليست ثمة من حاجة لترجمتها. ثالثاً، حقيقة أن يسوع كان يتكلم أحياناً بالأرامية، كما في بضع كلمات على الصليب (27: 46)، فهذا لا يثبت أنه كان يتكلم بها بشكل منتظم في خطباته. رابعاً، لاحظنا أعلاه، حتى لو كان يسوع يلقي عظاته بالأرامية، فالموثوقية التاريخية لا تعتمد على امتلاك الكلمات بحرفيتها، بما أن الترجمة اليونانية احتفظت لنا بالمعنى. وخلافاً لافتراضات النقاد، التي تركز على مسلمات مشكوك بها، فليس ثمة دليل فعلي موجود يظهر أن ما قصده يسوع ليس محفوظاً في نصوص

¹³⁴ Geisler, *Systematic Theology: Introduction and Bible*, chapter. 2.

¹³⁵ Robert Thomas and F. David Farnell, *The Jesus Crisis*, 367f.

الإنجيل. وأخيراً، بما أن أقدم نسخ الإنجيل المعروفة في اليونانية، وبما أن اليونانية المكتوبة هي موحى بها (2 تيموثاوس 3: 16)، فلم يعد مهماً إن كان يسوع تكلم بالأرامية بالأصل.

لا تحتوي روايات الأناجيل المتوازية على نفس الكلمات بالضبط: وقد لاحظ النقاد أن الكلمات التي قالها يسوع في مناسبة معينة تختلف من إنجيل إلى آخر. وعلى ضوء ذلك يقولون إنها ليست نفس الكلمات التي تكلم بها يسوع.

الرد: يفشل هذا الاعتراض في البرهنة على مراده لعدة أسباب.

أولاً. في أغلب (إن لم يكن في كل)، الحالات، يمكن لرواية أن تقدم سرداً أكثر اكتمالاً لكلمات يسوع من رواية أخرى. فمثلاً، في اعتراف بطرس الشهير، لدينا في إنجيل متى تسجيل أكثر مما في مرقس وإنجيل لوقا أقل. ففي متى جاء: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ!» (متى 16: 16)، وفي رواية مرقس نجد جزءاً منها، أي: «أَنْتَ الْمَسِيحُ!» (مرقس 8: 29). وفي لوقا نقراً: [وأنت] «مَسِيحُ اللَّهِ!» (لوقا 9: 20).

ثانياً، اختلافات أخرى في روايات الأناجيل مردها في أحيان احتمالات منطقية هي: (1) أشياء متشابهة في ظروف مختلفة (2) ثمة أكثر من مناسبة معينة مما سجل أحد أو حتى جميع كتاب الأناجيل، أو (3) نفس الأمر بأكثر من طريقة في نفس المناسبة (قارن: مرقس 10: 23، 24)¹³⁶.

ثالثاً، مهما كان الحدث، فإن الكلمات الحرفية ليست ضرورية لتقديم رواية موثوقة تاريخياً، ما دام تم نقل نفس المعنى.

يتعدّر تذكر الأحاديث المطولة بعد سنوات: تسجل الأناجيل وفي سفر الأعمال (2، 7، 10، 17) أحاديث مطولة كثيرة ليسوع. وبما فيها الموعظة على الجبل (متى 5 - 7)، والأمثال (متى 13)، وإدانة القادة اليهود (متى 23)، وكلمة جبل الزيتون (24 - 25)، وكلمة العلية (يوحنا 14 - 17)، وصلاته الكهنوتية (يوحنا 17). وقد حاجج البعض أنه من غير المحتمل أنه تم تذكر هذه الخطب كلمة كلمة بعد جيل أو أكثر عندما تم تدوينها.

الرد: يتغاضى النقاد عن حقائق هامة هنا. أولاً. إنهم يضعون الأناجيل في تاريخ متأخر (انظر أعلاه). والبرهان يضع الكتابات أقرب للأحداث مما كان يُعتقد من قبل، وحتى في غضون عشر سنوات حسب بعض النقاد الليبراليين (مثل جون روبنسون). ثانياً، إن الذاكرة كانت أكثر تطوراً للغاية في هذه الثقافة قبل عصر انتشار القراءة والكتابة، جعل من المناسب أن تكون الذاكرة هي وسيلة الحفظ الأولى. ثالثاً، حتى اليوم ثمة أشخاص كثيرون يحفظون أكثر من ذلك، وحتى بعضهم كامل الأناجيل. رابعاً، إن إنجيل متى الذي يشتمل على خطابات مطولة كان كاتبه من ناحية المهنة يعمل في حفظ السجلات (جابي ضرائب). ويمكن أن يكون قد جمع تسجيلات كلمات يسوع الحرفية التي كانت متوفرة لدى الآخرين مثل الكاتب المسيحي بابياس، الذي قال إنه كان لديه هذه النصوص.¹³⁷ وكان الطبيب لوقا رجلاً متعلماً الذي بحث المسألة بعناية (لوقا 1: 1 - 4)، وحصل

¹³⁶ [فَنظَرَ يَسُوعُ حَوْلَهُ وَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «مَا أَعْسَرَ دُخُولَ دَوَى الْأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!» فَتَحَيَّرَ التَّلَامِيذُ مِنْ كَلَامِهِ. فَأَجَابَ يَسُوعُ أَيْضًا وَقَالَ لَهُمْ: «يَا بَنِيَّ، مَا أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَكَلِّينَ عَلَى الْأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ»]

¹³⁷ Eusebius, *Ecclesiastical History*, 3.24.6.

على محفوظات شهود عيان كانت متوفرة. خامساً، يسوع وعد تفعيل فوق طبيعي لذاكرة التلاميذ قائلاً: «وَأَمَّا الْمُعَرَّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» (يوحنا 14: 26. التشديد مُضاف). وأخيراً، فإن هذه الأحاديث المطولة إن تمت تلخيصها أو أُعيد صياغة كلمات يسوع الدقيقة، فليس دليلاً يشير إلى أنها ليست دقيقة. ففي الواقع، كما رأينا أعلاه، فكل الدلائل تشير إلى خلاف ذلك.

يسجل يوحنا أن يسوع قال أموراً مختلفة: ليس ثمة من شك في أن إنجيل يوحنا يسجل أقوالاً مختلفة عما في الأنجيل الأخرى. فمثلاً تصريح يسوع الشهير «أنا هو» في إنجيل يوحنا (مثلاً: 4: 26؛ 6: 35؛ 8: 12، 58؛ 10: 9، 11؛ 11: 11؛ 11: 25؛ 14: 6). أو «حقاً حقاً» التي ترد في إنجيل يوحنا فحسب (قارن: 1: 51؛ 3: 3، 5، 11؛ 5: 19، 24، 25؛ 6: 26، 32، 47، 53؛ 8: 34، 51، 58؛ 10: 1، 7؛ 12: 24؛ 13: 16، 20، 21، 38؛ 14: 12؛ 16: 20، 23؛ 21: 18). ولكن ثمة شك أكبر بأن يقوَّض هذا من موثوقية تدوينات الإنجيل بأي شكل من الأشكال.¹³⁸

الرد: ثمة أسباب وجيهة لهذه الاختلافات في إنجيل يوحنا. أن اختلافات إنجيل يوحنا عن الأنجيل الأزائية (متى، مرقس، لوقا)، يمكن أن تشرح بشكل كبير بالمكان (يهودا)، التاريخ (الخدمة المبكرة أو المتأخرة)، وطبيعة أقوال يسوع (الكثير منها أحاديث خاصة). وإعلانات مثل «أنا هو» يمكن أن يُفهم منها على أنها بيانات أكثر اختصاراً، وأبسط قدمه يسوع للذين لم يفهموه بالبدء. وفي الواقع رواية يوحنا حميمية وحية، ومفصلة مما تؤيد أصالتها.¹³⁹

وعبارة «حقاً حقاً» لها أوجه شبه مع «الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ» (متى 26: 34 و مرقس 14: 30). والتكرار يمكن أن يكون للتأكيد.¹⁴⁰

علاوة على ذلك، عندما يقول يوحنا إن يسوع استعمل «حقاً حقاً» فهو يخبر عما قاله يسوع في مناسبات مختلفة عما تذكرها الأنجيل الإزائية. وقد تجنب يسوع في خدمته الإعلان للجمهور صراحة عن أنه المسيح. ولكنه لم يتردد في التصريح بذلك على انفراد للمرأة عند البئر (يوحنا 4: 25 - 26). وكل هذه الأشياء قالها يسوع في مناسبات مختلفة عما في الأنجيل الإزائية. وفي مناسبات كان يسوع يقول «حقاً» مرة واحد فحسب في الأنجيل الإزائية وإنجيل يوحنا. وبالفعل، هو الإنجيل الوحيد الذي يعلن أنه مكتوب من جانب رسول شاهد عيان (يوحنا 21: 24 - 25)، واستنتاج كارسون صحيح: «من المعقول تماماً أن يسوع كان يتحدث أحياناً فيما لا يقل عما نعتقه أنه «أسلوب يوحنا»، وأن أسلوب يوحنا هو متأثر بدرجة ما بيسوع نفسه». وبهذا، «عندما ننظر إلى الأدلة بمجملها، فليس صعباً الاقتناع أنه عندما نسمع إلى صوت الإنجيلي في وصفه لما قاله يسوع، فنحن نسمع إلى صوت يسوع نفسه».¹⁴¹

¹³⁸ Geisler, "John, Gospel of" in BECA, 388 f.

¹³⁹ Craig Blomberg, *The Historical Reliability of John's Gospel*.

¹⁴⁰ Blomberg, *The Historical Reliability of the Gospels*, 159.

¹⁴¹ D. A. Carson, *The Gospel According to John*, 48.

خلاصة القول، لا يوجد أي دليل صالح يفيد أن الاناجيل لم تنقل لنا الحقيقة نفسها التي تكلم بها يسوع، وحتى لو ظهر في بعض الحالات أن كلماته لم تنقل حرفياً. فالمؤكد: إن كتاب الاناجيل لم يختلفوا تعاليم وأعمال يسوع، بل نقلوها فحسب. وحتى لو كان بعضها (أو جميعها) بالأرامية وترجمت إلى اليونانية، فإنها تُرجمت بدقة من جانب شهود عيان ومعاصرين للأحداث الذين حياتهم وذكرياتهم كانت متأثرة بيسوع على كل الأصعدة، والذين كانت ذاكرتهم مفعلة بشكل خارق بالروح القدس. وعلاوة على ذلك، فتاريخية ما قاله هؤلاء كانت معززة بروايات متعددة، وبالاكتشافات الأثرية، وبإدليل المخطوطات المبكرة، وكذلك بأخلاقية وتفان الكُتَّاب. ولا يوجد مثل هذا المزيج من الأدلة بخصوص أي كتاب في العصر القديم.

خاتمة

إن تاريخية العهد الجديد قائمة على دليل أكثر متانة من جميع الأحداث الأخرى في العالم القديم. فلا توجد حوادث تركز على مخطوطات أكثر، ومنسوخة بدقة أكبر، ومدونة من جانب أشخاص كانوا شهود عيان أو معاصرين للأحداث. ولولا التحيز المسبق - الذي لا أساس له - المعادي للأمر الخارق عند النقاد السلبيين (انظر الفصلين 3 و4 أعلاه)، فإن أخبار الاناجيل ما كان يجب أن تتعرض للفحص عن تاريخيتها، وهو الأمر الذي صار يهتم به علماء الكتاب المقدس بعد 1800 سنة من وقوع الأحداث.

وعلى النقيض، يضع النقاد القليل من التحديات التاريخية الخطيرة بخصوص الحقائق الأساسية عن سيرة وبطولات الإسكندر العظيم. ومع ذلك لا توجد مصادر معاصرة متوفرة. ولا توجد إلا القليل من القطع الصغيرة المتوفرة، وهي بعد انقضاء حوالي 300 - 500 سنة قبل أن نملك تواريخ عديدة. وبخلاف صارخ، نحن لدينا في غضون 20 إلى 30 سنة بعد الأحداث، وثائق حول الأحداث الأساسية في حياة، وموت، وقيامته، وتعاليم المسيح الرئيسية. وحتى في التواريخ الأكثر أهمية، لدينا كامل العهد الجديد مكتوب في غضون حياة شهود عيان ومعاصرين للأحداث. وهذا يعني، إن لدينا روايات موثوقة لكلمات وأعمال يسوع. وإذا كان الحال كذلك، فلزاماً على كل باحث عن الحق أن يقرأها بتدبر، ويأخذها بالاعتبار بشكل كامل. ولهذا قال يسوع: «الكَلَامُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ» (يوحنا 12: 48).

موجز الفصل: يسوع ادعى أنه الله كما يُشهد في العهد الجديد	المسائل الاثني عشر
<ul style="list-style-type: none"> ● خلفية العهد القديم لإعلان المسيح الألوهية ● دعاوي المسيح بالألوهية <ul style="list-style-type: none"> ✓ المسيح أعلن أنه مسيح الله ✓ آخرون أعلنوا أن يسوع هو الله ✓ آخرون أعلنوا أن يسوع هو الله ● الرد على بعض الاعتراضات 	<ol style="list-style-type: none"> 1. الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة 2. لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين 3. الله الواحد موجود 4. المعجزات ممكنة 5. يمكن أن تأتي المعجزات لتأكيد رسالة من الله 6. العهد الجديد نص موثوق
<p>ملخص الفصل</p> <p>بما أن الله موجود (الفصل 3)، فالمعجزات هي ممكنة (الفصل 4). وبالتالي، يمكن أن تأتي المعجزات لتأكيد دعوى من الله (الفصل 5). وبما أن وثائق العهد الجديد موثوقة تاريخياً (الفصل 6)، فإن يسوع أعلن حقاً أنه الله القادر في جسد بشر (الفصل 7). وقد قام بذلك بطرق متعددة ومتكررة. وقام أتباعه المبشرون بنفس الإعلان بشأنه. وإذا كان هذا هو الحال، يبقى علينا أن نفحص إن كان يوجد تأكيد إجازي بشأن إعلان يسوع أنه الله (الفصل 8).</p>	<ol style="list-style-type: none"> 7. أعلن يسوع المسيح في العهد الجديد أنه الله 8. إعلان يسوع أنه الله تؤكد بمجموعة فريدة من المعجزات 9. وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد 10. كل ما أكده يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق 11. يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله 12. إذاً، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي

7 في نصوص العهد الجديد

يسوع المسيح أدعى أنه الله

بما أنّ الله الواحد موجود (الفصل 3)، فالمعجزات ممكنة (الفصل 4). وبما أنّ المعجزات ممكنة، فيمكن أن تأتي لتأكيد رسالة من الله (الفصل 5). وبما أنّ وثائق العهد الجديد موثوقة تاريخياً (الفصل 6)، فنستطيع الآن أن نحصيها لننظر ماذا تقول وتشهد عن أن الشخص المركزي فيها، يسوع الناصري. فخلافاً للنقاد، لا يجوز إهمالها لأنها تحتوي على معجزات. كما قال سي. س. لويس: «إن كنا نقر بالله، فهل علينا أن نقر بالمعجزات؟ بالتأكيد، بالتأكيد، فليس لديك علة ضدها. وهذه نتيجة ضرورية».¹⁴²

خلفية العهد القديم لإعلان المسيح الألوهية

إن إعلان ألوهية المسيح موجود قبل ولادته بوقت كثير. فثمة نبوءات كثيرة عن المسيح في العهد القديم (انظر في: متى 5: 17؛ 24: 27، 44؛ يوحنا 5: 39؛ عبرانيين 10: 7)، التي أشارت إلى ألوهيته أيضاً:

- المزمور 7: 2 يعلن: «قَالَ لِي: «أَنْتَ ابْنِي...».
- المزمور 45: 6: «كُرْسِيِّكَ يَا اللَّهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ» (والذي ورد في عبرانيين 1: 8 لإظهار ألوهية يسوع).
- المزمور 111: 1 يؤكد: «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ» (التي اقتبسها يسوع في إعلانه أنه المسيح في متى 22: 43 - 44).
- أمثال 30: 4 الذي يتحدث عن اسم ابنه: «مَا اسْمُهُ؟ وَمَا اسْمُ ابْنِهِ إِنْ عَرَفْتِ؟».
- إشعياء 9: 6، الذي يعلن: «لَأَنَّه يُوَلِّدُ لَنَا وُلْدًا وَنُعْطِي ابْنًا، وَتَكُونُ الرَّيَّاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا، أَبَا أَبَدِيًّا، رَبِّيسَ السَّلَامِ».
- إشعياء 63: 7 - 10 الذي يذكر الأقانيم الثلاثة: «حَسَبَ كُلِّ مَا كَافَأْنَا بِهِ الرَّبُّ [الأب] ... وَمَلَائِكُ [أي رسول] حَضْرَتِهِ [الابن] خَلَّصَهُمْ¹⁴³ ... وَلَكِنَّهُمْ تَمَرَّدُوا وَأَحْزَنُوا رُوحَ قُدْسِهِ [الروح القدس]».
- زكريا 1: 12، حيث الابن يكلم الأب: «فَأَجَابَ مَلَاكُ الرَّبِّ وَقَالَ: «يَا رَبَّ الْجُنُودِ».

¹⁴² C. S. Lewis, *Miracles*, 109.

¹⁴³ قارن الخروج 3: 2 - 14.

• زكريا 12: 10، والذي يسجل: «وَأُفِيضُ [أي الرب] عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ...، فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ [الرب]، الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَتُوحَّوْنَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ». وهذا ما أورده العهد الجديد عن المسيح (قارن: يوحنا 37: 19).

• زكريا 14: 16 الذي يدعو الله مسيحاً «وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ الْبَاقِي مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ الَّذِينَ جَاءُوا عَلَى أَوْشَلِيمَ، يَصْعَدُونَ مِنْ سَنَةِ إِلَى سَنَةٍ لِيَسْجُدُوا لِلْمَلِكِ رَبِّ الْجُنُودِ وَلِيَعْبُدُوا عِيدَ الْمَطَالِ».

إن الكلمات المُشدد عليها في النصوص تشير إلى أن المسيح ليس فقط هو «ابن» الله، ولكن الله نفسه. وهو يدعى يهوه [الرب]، اللفظ الوحيد الوارد في العهد القديم عن الله. وهو أيضاً «ملاك الله» الذي عبده موسى، وأعلن عن نفسه «أنا هو» (في الخروج 3: 14). وقد تميّز كأقنوم مستقل عن الله الأب في نصوص مختلفة، وحتى أنه كان في حوار معه (المزمور 45: 6 - 7، 111: 1؛ زكريا 1: 12). وكان يدعى الله «إلهاً قديراً» (إشعيا 9: 6)، والذي «سيطعن» ويموت «ابناً وحيداً». وبكل وضوح: المسيح هو أكثر من بشر؛ فهو الله نفسه.

دعاوي المسيح بالألوهية

وليس فقط العهد الجديد الذي يتكلم عن ألوهية المسيح فحسب، بل المسيح نفسه يكرر ذلك في العهد الجديد.

المسيح أعلن أنه مسيح الله

حسب النصوص الموثوقة تاريخياً للعهد الجديد (انظر الفصل 6)، أعلن يسوع الناصري أنه المسيح اليهودي. وبما أن مسيح اليهود المرتقب هو الله، فأعلان يسوع أنه المسيح يعني أنه أعلن أنه الله. وقد كان لدى اليهود في القرن الأول هذا التوقع الذي تأكد من داخل العهد الجديد وخارجه. ففي داخل العهد الجديد أعلن ملاك عن يسوع أنه «عَمَّاثُوثِيلُ، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللَّهُ مَعَنَا» (متى 1: 23). وكما «سَجَدُ لَهُ» الحكماء (2: 11). وأعلن يوحنا المعمدان أنه يبشر «الرب (يهوه)» (لوقا 3: 2 - 6). وبشر جبرائيلُ مريمَ أَنَّ المولود سيُدعى «ابن الله» (لوقا 1: 35)، وقالت أليصابات لمريم «أم ربي» (لوقا 1: 43). وأكثر من ذلك، أن جبرائيل قال إن يسوع «وَأَيْنَ الْعَلِيِّ يَدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهَ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ» (لوقا 1: 32).

وكلمات مشابهة نجدها لدى الجماعة اليهودية قرب البحر الميت، ففي حقبة المسيح، نجد «ابن الله» في نص (4Q246) من أبوكريفا دانيال: «[كما أن ابنه] سيُدعى عظيماً، معروفاً باسمه. وسيُدعى ابن الله، وسيُدعونه ابن العلي. ومملكتهما ستكون مملكة أبدية، وطرقهما هي الحق».¹⁴⁴ ويضيف سفر الرؤيا المسياني [4Q521] أنه سيتم البرهنة على ألوهيته بالمعجزات: «وسيكرم التقى على عرش مملكته الأبدية، ويطلق سراح الأسورين، ويفتح أعين العمي، ويحرر المُضطهدين. ويشفي المجروحين، ويقيم الموتى، وسيأتي بالخبر السار [الإنجيل] إلى الفقراء».¹⁴⁵

¹⁴⁴ Wise, Abegg, and Cook translation in VanderKam, *Meaning of the Dead Sea Scrolls*, 336.

¹⁴⁵ From VanderKam, *Meaning of the Dead Sea Scrolls*, 333.

وليس فقط المسيح - الله كان مرتقباً، بل أن يسوع أعلن بوضوح وبتأكيد أنه المسيح. فهو قال للمرأة السامرية التي قالت له: «أنا أعلم أن مسيياً، الذي يُقال له المسيح، يأتي. فمتى جاء ذلك يُخبرنا بكل شيء». قال لها يسوع: «أنا الذي أكلّمك هو» (يوحنا 4: 25 - 26). وعندما كان يسوع تحت القسم أمام رئيس الكهنة، الذي سأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له: «أأنت المسيح ابن المبارك؟». فقال يسوع: «أنا هو. وسوف تُبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتياً في سحاب السماء». فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال: «ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ قد سمعتم التجاديف! ما رأيكم؟» (مرقس 14: 61 - 64).

وهذا أيضاً إشارة واضحة في وصف يسوع لنفسه أنه «ابن الله» لأن هذا اللقب كان لقباً مسيانياً من ألقاب الألوهية (قارن: دانيال 7: 13). وبما أن يسوع كان غالباً ما يطلق على نفسه وعلى خدمته هذا اللقب (قارن: مرقس 10: 45)، فهذا تأكيد على إعلانه أنه المسيح - الله.

المسيح أعلن أنه «أنا هو» [من خروج 3: 14]

لقد أظهر الله نفسه لموسى بعبارة «أنا هو»، وهذا وصف نادر الاستعمال لذات الله نفسه (خروج 3: 14). ومع ذلك، فيسوع لم يتردد بأن يعلن بشكل جريء لليهود: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يوحنا 8: 58). ويظهر جوابهم بوضوح أنهم أدركوا القصد من إعلانه أنه الله الظاهر في الجسد. «فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ»، وهذا تصرف مناسب ضد شخص اعتقدوا أنه يجدف بقوله إنه الله. وعندما قام يسوع بإعلان مشابهاً في يوحنا 10: 30 على أنه والاب واحد، فإن اليهود أجابوا: «ألسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنتك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً» (يوحنا 10: 33).

يسوع أعلن أنه قادر على غفران الخطايا

وحسب الايمان اليهودي، فالله وحده يقدر أن يغفر الخطايا. وإذا كان ذلك، قال يسوع للمفلوج: «يا بُني، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ»، فرد عليه الكتبة، «مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ؟» (مرقس 2: 5 - 7). وكما لاحظنا أعلاه يكشف جواب يسوع إعلاناً آخر على ألوهيته، أي أنه كان «ابن الإنسان»، وهو اللقب الذي ينطبق على المسيح - الله في العهد القديم (دانيال 7: 13).

يسوع أعلن أنه يجب أن يُكرم كما يكرم الله

بينما يعلم الكتاب المقدس أن التكريم يجب أن يعطى لمن يستحق التكريم، ولو كان للذين لديهم سلطة سياسية (رومية 13: 1 - 7). ولكن لم يقل قط أنه يجب «يكرم كما يُكرم الأب [الله]». ولكن هذا بالضبط ما فعله يسوع عندما أعلن عن نفسه، وأخبر اليهود: «لِكَيْ يُكْرَمَ الْجَمِيعُ الْإِبْنُ كَمَا يُكْرَمُونَ الْآبَ. مَنْ لَا يُكْرَمُ الْإِبْنُ لَا يُكْرَمُ الْآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ» (يوحنا 5: 23).

يسوع قبل السجود في مناسبات مختلفة

تعلن الكتب اليهودية المقدسة «فإنتك لا تسجد لإله آخر، لأن الرب اسمه غيور. إله غيور هو» (الخروج 34: 14). وقد وبخ يسوع الشيطان مقتبساً من التثنية 6: 13، فقال: «الرب إلهك تتقي، وإياه تعبد، وباسمه

تَحْلِفُ» في (متى 4: 10). ويحرم الكتاب المقدس عبادة لأي شخص إلا لله (الخروج 20: 1 - 4؛ التثنية 5: 6 - 9). ورفض الكتاب المقدس عبادة البشر (الأعمال 14: 15). وحتى الملائكة أيضاً (الرؤيا 22: 8 - 9). ومع ذلك فإن يسوع قبل السجود في مناسبات مختلفة. فهو قبلها من:

1. أم يعقوب ويوحنا (متى 20: 20)،
2. والشخص الذي به روح شيطانية (مرقس 5: 5)؛
3. رجل أعمى (يوحنا 9: 38)،
4. توما الشكاك (يوحنا 20: 28)،
5. المرأتان لدى القبر (متى 28: 9)
6. المرأة الكنعانية (15: 25)،
7. التلاميذ (متى 14: 33)،
8. الأبرص الذي شفاه يسوع (متى 8: 2)،
9. ورئيس غني شاب (متى 9: 18).

ولم يوبخ يسوع قط أي شخص قام بالسجود له. لا بل أنه أمر الناس أن يسجدوا له ويعترفوا بألوهيته (يوحنا 20: 29. قارن: متى 16: 17).

وضع يسوع كلماته على درجة مساوية مع كلمات الله

في الموعدة على الجبل، قال يسوع (متى 5: 18): «إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ». وبعد ذلك، قال إن أقواله معادلة لقول الله، «السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ» (متى 24: 35). وأضاف: «مَنْ رَدَّلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلَامِي فَلَهُ مِنْ يَدِيئِهِ. الْكَلَامُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِيئُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ» (يوحنا 12: 48).

أمر يسوع التلاميذ أن يصلوا باسمه

ومرة أخرى، في السياق اليهودي التوحيدى، فالصلاة عمل عبادة، وتعلن الكتب بوضوح «لَا نَسْجُدُ لِإِلَهِ آخَرَ» (الخروج 34: 14). ومع ذلك دعا يسوع التلاميذ للصلاة باسمه، قائلاً: «وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتِمَّجَدَ الْآبُ بِالْأَبْنِ» (يوحنا 14: 13). وهو قبل الصلاة له من أول شهيد مسيحي¹⁴⁶، الذي قال: «أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ أَقْبَلْ رُوحِي» (أعمال 7: 59).

قبل يسوع ألقاباً إلهية

لم يقم يسوع باستعمال ألقاب إلهية عن نفسه فحسب، بل قبل أن يخاطبه الآخرون بها. عندما قال ثوماً ليسوع: «رَبِّي وَإِلَهِي!» (يوحنا 20: 28)، فإن يسوع باركه قائلاً: «لَأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا ثُومًا أَمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا» (يوحنا 20: 29). وعندما أجاب سمعان بطرس قائلاً: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ!»، فأجابه

¹⁴⁶ [استيفانوس].

يسوع: «طوبى لك يا سمعان بن يونا، إنَّ لحمًا ودمًا لم يُعلن لك، لكنَّ أبي الذي في السمَّوات» (متى 16: 17 - 18).

آخرون أعلنوا أن يسوع هو الله

تنبأ العهد القديم عن مجيء المسيح - الله، وأعلن يسوع أنه جاء ليحقق هذه النبوءة. وليس فقط أعلن يسوع أنه الله بطرق مختلفة، وأيضاً نقرأ في الأناجيل كيف أن آخرين أعلنوا أنه كان الله.

صوت الأب من السماء يعلن أن المسيح هو الله

تسجل الأناجيل ثلاث مرات صوت الله الأب يعلن أن يسوع ابنه الوحيد. أولاً، عند تعميده، فإن الأب قال: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (متى 3: 17). وتالياً، لدى التجلي، فإن صوت الأب أعلن: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا» (متى 17: 5). وأخيراً، قبل الصليب، أجاب الأب على صلاة يسوع: «أيها الأب مجد اسمك!». فجاء صوت من السماء: «مجدتُ، وأمجدُ أيضاً!» (يوحنا 12: 28). وبالفعل، في صلاته الكهنوتية قال يسوع، «والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يوحنا 17: 5). وبالفعل، الله كان قد قال: «وكرامتي لا أعطيتها لآخر» (إشعياء 48: 11). فإذا، كان يسوع يعلن بوضوح أن الأب كان يقبل الابن على أنه الله.

ملائكة أعلنت يسوع أنه الله

وقد أعلن الملاك لمريم أنه «يكون عظيمًا، وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه» (لوقا 1: 32). ومجدداً، أعلن هنا أن يسوع هو المسيح والله. وقد قال الملاك لمريم: «الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظلك، فلذلك أيضاً القدس المولود منك يدعى ابن الله» (لوقا 1: 35). وبالمثل أعلنت الملائكة للرعاة: «أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب» (لوقا 2: 11).

اعتراف الشياطين بالوهية المسيح

ليس فقط الملائكة الباراة عرفت من كان يسوع، بل حتى الأشرار منها. فأحد الشياطين قال ليسوع: «ما لنا ولك يا يسوع ابن الله؟ أجننت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟» (متى 8: 29).

إقرار بشر آخرين بالوهية يسوع

لقد قال ثوما ليسوع: «ربي وإلهي!» (يوحنا 20: 28). وقال يوحنا: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله» (يوحنا 1: 1). وأجاب بطرس يسوع: «أنت هو المسيح ابن الله الحي!» (متى 16: 16). وأعلن بولس: «المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل لها مباركاً» (رومية 9: 5). وقد دعاه: «مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح» (تيطس 2: 1). وقال: «فيه خلق الكل... الكل به وله قد خلق. الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل» (كولوسي 1: 16 - 17). و«فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كولوسي 2: 9). ويعلن كاتب العبرانيين عن المسيح: «الذي، وهو بهاء مجده، ورسم جوهرة، وحامل كل الأشياء بكلمة

قُدِّرَتِهِ» (العبرانيين 1: 3). «لَأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالَ قَطُّ: أَنْتَ ابْنِي» (العبرانيين 1: 5). وَأَيْضًا: «مَتَى أَدْحَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلَائِكَةِ اللَّهِ» (العبرانيين 1: 6). و«أَمَّا عَنِ الْإِبْنِ: «كُرْسِيُّكَ يَا اللَّهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ» (العبرانيين 1: 8).

وحسب نصوص العهد الجديد الموثوقة (انظر الفصل 6)، فليس يسوع من أعلن أنه الله فقط، ولكن الملائكة، الأبرار والأشرار، والله الأب نفسه، وأتباع يسوع المباشرين، الذين كان من بينهم شكاكون (مثل توما) وحتى غير مؤمنين ومعارضين (مثلاً بولس). انظر سفر الأعمال 7 - 9).

الرد على بعض الاعتراضات

على الرغم من الدليل القاطع على أن يسوع أعلن أنه الله، فإن البعض، اعتماداً على آيات خارج سياقها، سعى إلى خلق الشك بشأن دعوى يسوع بالالهوية. ولكن حينما يتم فهم كل آية في إطارها المناسب، يظهر منها أن يسوع لم ينفي ألوهيته. لا بل أن بعض هذه الآيات تعطي تأكيداً على ألوهيته.

متى 19: 17: قال يسوع للشباب الغني الحاكم: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاجِدُ وَهُوَ اللَّهُ». وقد افترض البعض عن خطأ أن يسوع ينفي ضمناً إنه الله.

الرد: بكل حال، هذا ليس نفيًا لأي أمر، بل العبارة هي سؤال. ويسوع كان ببساطة يسأل الشاب المندفع إن كان يدرك معنى قوله. فهو كان يقول له: «هل تدرك ما تقول؟ هل تدعوني الله؟» فمن الواضح أن الشاب لم يكن يدرك معاني كلماته. وهذا ما يظهر من قوله إنه حفظ كل الوصايا. ويسوع كان يجعله يدرك بكل عمق المشكلة التي كانت لديه، وهو يلفت انتباه الشاب إلى أن إلهه الحقيقي هو المال.

يوحنا 14: 28: قال يسوع: «لَأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي». ويظهر أن الآية تنفي ألوهيته في خارج سياقها.

الرد: على أي حال، لم يكن يسوع فقط هو الله؛ بل كان أيضاً إنساناً. وبوصفه كائناً بشرياً، فإن الأب هو الأعظم مما كان هو. وعلى على ذلك، فيسوع الأقدم الثاني من اللاهوت. فهو ابن الله. وبهذا يشغل مكانة ليست أقل من الأب في اللاهوت. وفي هذا المعنى، فالأب أعظم من يسوع الذي في المكانة، وليس في الطبيعة. بالضبط كما أن والدي هو أعظم مني في الموقع العائلي، ولكن كلانا لنا نفس الطبيعة البشرية، وبهذا، فلو كان الأب أعظم من الابن، فإنهما واحد في الطبيعة. فكلاهما الله.

مرقس 13: 32: قال يسوع: «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْإِبْنُ، إِلَّا الْآبُ». فكيف يمكن أن يكون يسوع هو الله الذي يعرف كل شيء في الوقت الذي يقول هنا أنه لا يعرف كل شيء؟ فكيف يمكن له أن يجهل زمن المجيء الثاني.

الرد: كإله، يسوع كالله الظاهر في الجسد كان يعرف وقت عودته. ولكن كإنسان لم يكن يعلم. وقد كانت ليسوع طبيعتان. كإله، غير محدود، ولكن كإنسان كان محدوداً، وقد كان يسوع «يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ» (لوقا 2:

(52). ولكن كإله «كان لفهمه لا إحصاء» (مزمو 147. قارن: رومية 11: 33). وبهذا بوصفه المسيح الكائن البشري لم يكن يعلم وقت مجيئه الثاني، ولكن كإله كان يعرف كل شيء من البدء (إشعياء 46: 10).

كولوسي 1: 15: يقول بولس، «الذي هو [يسوع] صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة». وهنا يتم الاعتراض بالقول إنه وُلد وخلق.

الرد: وهذا الاعتراض هو مثال على طريقة تناول نص خارج سياقه. ففي سياق الآيات (16 - 17)، يسوع هو الخالق، وفيه يقوم الكل. كما هو «بكر كل خليقة»، وهو الذي له الأولوية بفضل موقعه. وبهذا، يسوع هو الأول على الخلق، وليس هو الأول في الخلق. خلافاً لأصحاب الاعتراض، فالآية شاهد قوي على ألوهية المسيح.

الرويا 3: 14: وفيها يُسمى المسيح: «بداة خليقة الله»، وهذا العبارة بالنسبة للشخص غير الخبير، تظهر أنها تعني هو أول من خلق.

الرد: وهي ليست كذلك لعدة أسباب. أولاً، لأنه سيكون من التعارض لتعاليم الكتاب الواضحة أن يسوع هو أول من خلق (يوحنا 1: 3؛ عبرانيين 1: 3؛ كولوسي 1: 6). ثانياً، إن مصطلح مماثل «أول» يرد في خصوص «الله الرب» الموصوف «القدير» (1: 8: 18). ثالثاً، إن مصطلح «بداة» يرد بخصوص الأب، الذي هو الله (21: 5-6). وبهذا، يسوع هو البداية المطلقة، الأبدية. وهو بدء كل الأشياء وليس فقط بدء الأشياء المخلوقة (قارن: يوحنا 1: 3).

الاعتراض على أنه تناقض: يجادل البعض أن كلا الأمرين الله والإنسان تناقض. فهذا يناقض قانون عدم التناقض الذي يؤكد أنه: الله وليس الله (أي إنسان) في نفس الوقت هو تناقض.

الرد: إن هذا هو سوء فهم لطبيعتي المسيح ولقانون عدم التناقض. أولاً، هو سوء فهم لقانون عدم التناقض، الذي ينص على أن يكون الله وإنساناً ليس في نفس الوقت فحسب، ولكن بنفس المعنى. ولكن يسوع ليس الله في نفس معنى الذي هو إنسان. ثانياً، يسوع له طبيعتان، الأولى إلهية والثانية بشرية. ويمكن للمرء أن يكون أباً وزوجاً في الوقت عينه، ولكن ليس في نفس المعنى. ويسوع له طبيعتان متميزتان، فهو الله في طبيعته الإلهية، وهو إنسان في طبيعته البشرية.

يوحنا 17: 3: يسوع صلى قائلاً: «وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته». فإن كان الأب هو الله وحده، فكيف يكون المسيح هو الله أيضاً؟

الرد: لقد قال يسوع أن الأب هو الله الحقيقي، ولكن لم يقل إن الأب فقط هو الله. في سفر التكوين (7: 23) جاء أن الله أزال العالم، فيقول، «وَتَبَقَى نُوحٌ». من ثم يضيف في نفس الجملة: «وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ فَقَطُّ». وبهذا فاستعمال «فقط» بشأن نوح لا يعني أنه الوحيد في الفلك، وبالمثل، في إنجيل يوحنا (8: 9) يقول: «وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ» كما لو كان هو الوحيد الموجود. ولكن أضاف: «مع المرأة» التي كان قد جيء بها بتهمة الزنى.

وخلاصة القول، فالقول إن الأب هو الله الحقيقي لا يعني أن الأب هو الله وحده. وبالفعل، يكرر الكتاب المقدس القول إن يسوع هو الله (رومية 9: 5؛ عبرانيين 1: 8؛ تيطس 2: 13؛ كولوسي 1: 16؛ 2: 9).

يوحنا 10: 34: يسوع يقول: «أنا قلتُ إنَّكم آلهة؟»، ولكن بالطبع لم يقصد هذا بالمعنى المطلق لأنه كان يقتبس من المزمور 82 الذي كان يتحدث عن شخصيات (ربما عن قضاة)، الذين يستمدون سلطانهم من الله. وبهذا فهم كانوا آلهة بالمعنى الاصطلاحي للكلمة وليس بالمعنى المطلق.

الرد: صحيح أن يسوع استعمل كلمة «الله» (بالعبرية إلهيم) التي يمكن أن تعني أحياناً المرء الذي أقل من الله. ولكن هذا الحجة من باب الأولى (تعني «مع قوة أعظم»). فهو يقول شيء من قبيل: «إن كان المرء الذي يمارس القضاء يمكن أن يُدعى «إلهاً» بمعنى مشتق من مصطلح أنهم يقفون في مكان الله، فكيف الأمر عندما يتعلق الأمر بابن الله الذي يدعى الله في المعنى المطلق» (كما هو أعلاه في كل الآيات). وهذا يتناسب بالضبط مع النصوص الأخرى التي أعلن فيها يسوع أنه كان قبل تأسيس العالم (يوحنا 1: 1 - 3؛ 17: 5؛ عبرانيين 1: 6)؛ وأن الملائكة سجدت له (عبرانيين 1: 6)؛ وأنه خلق الملائكة (كولوسي 1: 16)، وأنه خلق كل الأشياء (يوحنا 1: 3؛ كولوسي 1: 16). وهذا الأشياء لا يقدر أن يعملها إلا الله في المعنى المطلق.

تلخيص كل ما فات

بما أن الله موجود (الفصل 3)، فالمعجزات هي ممكنة (الفصل 4). وبالتالي، يمكن أن تأتي المعجزات لتأكيد دعوى من الله (الفصل 5). وبما أن وثائق العهد الجديد هي نصوص موثوقة تاريخياً (الفصل 6)، فإن يسوع أعلن حقاً أنه الله القدير في جسد بشري (الفصل 7). وقد قام بعمل ذلك بطرق مختلفة ومتكررة (كما وضحنا سابقاً). وقام اتباعه بنفس الإعلان عنه. وهذا هو الحال، وبقي أن ننظر إن كان ثمة تأكيد معجز على إعلان يسوع أنه الله. وهذا الموضوع هو محور الفصل القادم.

	المسائل الاثني عشر
<ul style="list-style-type: none"> ● حياة يسوع الخالية من كل عيب أكدها أعداؤه وآخرون أيضاً ● التأكيد غير المباشر من جانب الشهود الكذبة ● عاش يسوع وعلم أعلى درجات أخلاق الموعدة على الجبل (متى 5 - 7) ● الرد على نقاد المسيح ✓ الاتهام أن يسوع لم يكن «إنسانياً بالعمق» ✓ اتهام يسوع إنه كان لديه نزعة انتقامية ضد رؤساء اليهود ✓ الاتهام أن يسوع كان قاسياً ● إن شخصيته الخالية من الخطيئة تضعه في فئة خاصة به وحده ● إن شخصيته الخالية من الخطيئة تؤكد إعلانه أنه الله ● لقد تم البرهنة على أن يسوع هو الله بالقيامة الخارقة للطبيعة ✓ إن يسوع مات جسدياً بالفعل ✓ إن يسوع قام جسدياً من بين الأموات بعد بضعة أيام ✓ الرد على بعض الاعتراضات على القيامة بالجسد 	<ol style="list-style-type: none"> 1. الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة 2. لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين 3. الله الواحد موجود 4. المعجزات ممكنة 5. يمكن أن تأتي المعجزات لتأكيد رسالة من الله 6. العهد الجديد نص موثوق 7. أعلن يسوع المسيح في العهد الجديد أنه الله 8. إعلان يسوع أنه الله تأكد بمجموعة فريدة من المعجزات 9. وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد. 10. كل ما أكده يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق 11. يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله 12. إذاً، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي
<p style="text-align: center;">ملخص الفصل</p> <p>تظهر مختلف الحجج المتعلقة بالله أنه يوجد إله واحد فحسب، وليس آلهة متعددة. وهذا الإله يجب أن يكون سرمدياً لأنه وراء العالم المتناهي الذي صنعه. كما يجب أن يكون فرداً لأنه ذكي وأخلاقي، وكونه المصمم الذكي ومانح القانون الأخلاقي. بالإضافة إلى ذلك فهذا الإله روجي وفائق الطبيعة بما أنه وراء العالم الفيزيائي والطبيعي. وهو يقدر أن يعمل معجزات لأنه قام من قبل بالمعجزة الكبرى، وهي أنه خالق العالم. وبهذا، فالدليل يشير إلى وجود الإله الواحد، غير المتناهي، الذكي، الكامل، الفرد، وفوق الطبيعة.</p>	<p style="text-align: center;">موجز الفصل: إعلان يسوع أنه الله تأكد بمجموعة فريدة من المعجزات.</p> <ul style="list-style-type: none"> ● لقد تبرهن أن يسوع هو الله بالنبوءة الفائقة الطبيعية ✓ غرض المعجزات في العهد القديم ✓ غرض المعجزات حسب العهد الجديد ● تثبت أن يسوع هو الله بأحداث خارقة ● تأكد أن يسوع هو الله بأحداث خارقة قام بها ● البرهنة على ذلك بالحياة الخالية من الخطيئة بشكل فائق الطبيعة ● الذين كانوا يعرفون يسوع بشكل حميم أكدوا كماله الأخلاقي الخالي من الخطيئة

8 إعلان يسوع أنه الله تأكد بمجموعة

فريدة من المعجزات

بما أن الله موجود (الفصل 3)، والمعجزات ممكنة (الفصل 4). وبما أن المعجزات ممكنة، فيمكن أن تأتي تأكيداً على رسالة من الله (الفصل 5). ووثائق العهد الجديد هي نصوص موثوقة تاريخية (الفصل 6). وبما أن هذه النصوص تخبرنا أن يسوع الناصري أعلن أنه الله في جسد بشري (الفصل 7). وفي ضوء ذلك، يتوجب علينا النظر مجدداً إلى هذه النصوص الموثوقة تاريخياً للنظر إن كان فيها تأكيد على إعلان يسوع أنه الله. وبينما نحن نقوم بذلك، سنجد التقاء بين ثلاث مجموعات فريدة وغير مسبقة مرتبطة مع إعلان يؤكد على أن يسوع هو الابن السماوي لله الواحد.

لقد تبرهن أن يسوع هو الله بالنبوءة الفائقة الطبيعة

إن المعجزة هي تدخّل الإلهي في العالم الطبيعي، الذي ينتج عنها حدث غير عادي، والذي ما كان سيحدث بالقوانين الطبيعية (انظر الفصل 4). ومثل هذا الحدث يأتي لتأكيد رسالة من الله. وبالفعل هذه هي مقاصد المعجزات الرئيسية في من العهد القديم والعهد الجديد (الفصل 5).

غرض المعجزات في العهد القديم

لقد منح موسى قوى معجزات، «لَكَيْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِهِمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ» (الخروج 4: 1 - 5). ولاحقاً قال موسى لِقُورِح وأتباعه المتمردين «بِهَذَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي لِأَعْمَلِ كُلِّ هَذِهِ الْأَعْمَالِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ نَفْسِي» (العدد 16: 5، 28 - 30، 33). كما أنه تم المصادقة على إيليا بشكل إعجازي عندما صلى: «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ، لِيُعْلَمَ الْيَوْمَ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ فِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنِّي أَنَا عَبْدُكَ، وَبِأَمْرِكَ قَدْ فَعَلْتُ كُلَّ هَذِهِ الْأُمُورِ» (1 ملوك 18: 36).

غرض المعجزات حسب العهد الجديد

من بداية خدمة يسوع جاءت المعجزات لتأكيد دعواه المسيانية. وقد خاطب نيقوديموس، رئيس لليهود، يسوع، فقال: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا، لِأَنَّ لَيْسَ أَحَدًا يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ» (يوحنا 3: 2). وبالفعل، فیسوع نفسه قال للمفلوج: «وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَابْنَ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا... لَكَ أَقُولُ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!» (مرقس 2: 10 - 11)، وعندما سأل يوحنا المعمدان يسوع إن كان هو المسيح، فكان مضمون جوابه يفيد: انظر المعجزات التي أعمله (لوقا 7: 20 - 22).

لقد رأينا (في الفصل 5) أن خصائص مميزة لحدث فوق طبيعي كان يأتي لتأكيد رسالة من الله، والذي يتضمن التالي:

- (1) يجب أن يكون حدثاً فوق الطبيعي بشكل خارق لا يُفسر بطريقة طبيعية بحتة.
- (2) يجب أن تأتي أحداث متعدد خارقة لاستبعاد احتمال أنها حظ.
- (3) تحتاج المعجزات أن تأتي بالارتباط مع دعوى معينة حقيقية باسم الله. وبهذا الطريقة يمكن أن تُبرهن أنها جاءت تأكيداً على إعلان حقيقي من الله.
- (4) يجب أن تكون المعجزات فريدة، فكما أشار هيوم، المعجزات الحق لا يمكن لها أن تؤكد إعلانات متعارضة.
- (5) إن العنصر التنبؤي هو تأكيد خاص للمعجزات. إن التنبؤات المُقدمة وتحققها مؤشر على أنها إعلان الخارق. وهذا العنصر التنبؤي يظهر في معجزة موسى مع المصريين، وإيليا على جبل الكرمل. وهي ظاهرة أيضاً في حياة المسيح بطرق مختلفة.

إثبات أن يسوع هو الله بأحداث خارقة

حسب موسوعة النبوءة الكتابية، التي حررها بارتون باين، يوجد ما يقارب من 100 نبوءة حول مجيء المسيح في العهد القديم. وكلها قد تحققت بشكل خارق من جانب المسيح. وها هي بعض النبوءات التي بشرت عن مجيء يسوع:

- (1) نسل المرأة (التكوين 3: 5)،
- (2) من نسل شِيث (التكوين 4: 26)،
- (3) عبر سام ابن نوح (التكوين 9: 26)،
- (4) من أحفاد إبراهيم (التكوين 12: 3)، عبر ابنه إسحاق (التكوين 26: 3)،
- (5) من عشيرة يهوذا (تكوين 49: 10)،
- (6) ابن داود (2 صموئيل 7: 12 وما بعدها. قارن إرميا 23: 5 - 6)،
- (7) المولود من عذراء (إشعيا 7: 14)،
- (8) في مدينة بيت لحم (ميخا 5: 2)،

- (9) بُشِّرَ بِهِ مِنْ سَبْقِهِ (إِشْعِيَاء 40: 3)،
- (10) سَيَتَأَلَمُ وَيَمُوتُ لِأَجْلِ شَعْبِهِ (إِشْعِيَاء 53)،
- (11) سَيَكُونُ ذَلِكَ حَوْلِي سَنَةَ 33 م (دَانِيَال 9)،¹⁴⁷
- (12) سَيَقُومُ مِنَ الْمَوْتِ (الْمَزْمُور 2: 16)،
- (13) فِي إِصْحَاحٍ وَاحِدٍ فَقَطْ (إِشْعِيَاء 53) لَدِينَا عَلَى الْأَقْلِ عَشْرُونَ نَبِوءَةً عَنِ الْمَسِيحِ:
- (14) يَتَدْرَجُ بِالسِّنِّ (2 أ)،
- (15) لَيْسَ لَهُ الْجَمَالُ الْخَارِجِيُّ (2 ب)،
- (16) مُخْتَفَرٌّ وَمَخْدُودٌ مِنَ النَّاسِ (3 أ)،
- (17) رَجُلٌ أَحْزَانٌ (3 ب)،
- (18) يَحْمِلُ أَحْزَانَنَا (4 أ)،
- (19) يَحْمِلُ أَوْجَاعَنَا (4 ب)،
- (20) مَضْرُوبٌ مِنَ اللَّهِ (4 ج)،
- (21) مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا (5)،
- (22) يَحْمِلُ آثَامَنَا،
- (23) يَتَأَلَمُ كَحَمَلٍ (7)،
- (24) قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الْأَحْيَاءِ (8 أ)،
- (25) ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ الشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ (8 ب)،
- (26) مَاتَ مَعَ الْأَشْرَارِ (9 أ)،
- (27) دُفِنَ مَعَ غَنِيِّ (9 ب)،
- (28) كَانَ بِلَا خَطِيئَةٍ (9 ج)،
- (29) الرَّبُّ سَحَقَهُ (10 أ)،
- (30) صَارَتْ رُوحُهُ ذَبِيحَةً (10 ب)،
- (31) ثُمَّ يَعُودُ لِلْحَيَاةِ مُجَدِّدًا مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ (10 ب)،
- (32) بِمَوْتِهِ سَيَبِيرُ كَثِيرِينَ (11)،
- (33) سَكَبَ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ (12 أ)،
- (34) وَصَلَّى لِأَجْلِ الْخَطَاةِ وَهُوَ عَلَى مَشَارِفِ الْمَوْتِ (12 ب).

ويوجد الكثير من الأسباب التي تجعل هذه التنبؤات متعلقة المسيح الفرد، وليس بالآلام شعب إسرائيل، كما ادعى البعض، للتالي: (1) استعمال الضمير المفرد (هو، له) 57 مرة بوصفه شخصاً فرداً؛ (2) عندما يذكر شعب إسرائيل أو آخرين، يأتي اللفظ بضمير الجمع (خاصتنا، لنا، لهم، كثر، وشعبي)؛ (3) لا يمكن أن تكون

¹⁴⁷ لقد تنبأ دانيال أنه بعد 483 من تاريخ 444 ق.م سيموت المسيح. وقد أظهر البروفيسور هارولد هويمر، في كتابه «الجانب التاريخي في حياة المسيح»، دار نشر زوندرفان، 1978، أن السنوات الفعلية للنبوءة ستأتي سنة 33 حينما مات يسوع. فمن سنة 444 ق.م. إلى 33 ميلادي هي 477 حسب السنة القمرية اليهودية (المكونة من 360 يوماً)، ومع 5 أيام (لمطابقة التقويم الفعلي) مضروبة بـ 483 مرة هي 6 سنوات، تُضاف إلى 477 فتعطي 483 سنة.

النبوءات عن شعب إسرائيل لأنه لم يكن بدون خطيئة، ولم تمت إسرائيل كشعب، وهي تحمل آثام الآخرين، و(4) كما كان الأحرار قبل المسيح يرون دائماً أن هذا النص يشير إلى مجيء المسيح اليهودي.¹⁴⁸

ثمة أشياء عديدة يجب ملاحظتها أعلاه بشأن النبوءات المسيحانية التي تجعلها فريدة من نوعها: (1) أتت قبل مئات السنين سلفاً،¹⁴⁹ (2) وهي واضحة ومحددة (3) كانت نبوءات عديدة، و(4) وقد تحققت بنجاح مئة بالمئة. وهذا لا ينطبق على أي نبوءات مزعومة عن رؤساء دينيين آخرين معروفة للبشر.

إن يسوع لم يحقق النبوءات بشكل خارق فحسب، ولكن بنفسه قدم نبوءات. والنبوءة الكبرى التي ستناقشها فيما بعد، أي، النبوءة عن قيامته منذ بداية خدمته (متى 12: 40؛ 17: 22 - 23؛ 20: 18 - 19؛ يوحنا 2: 19 - 22). فهو تنبأ عن قيامته بوصفها آيةً (معجزة) على دعوته (متى 12: 39 - 40). وعندما يخبر يسوع عن معجزة قبل وقوعها فهي ستصبح دليلاً على إعلانه أنه المسيح: «وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَابْنَ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَعْفِرَ الْخَطَايَا»، قَالَ لِلْمَقْلُوجِ: «لَكَ أَقُولُ: فَمَنْ وَاحِدٌ فِرَاشِكَ وَادْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!» [لوقا 5: 24]. كما قام يسوع بالتنبؤ بشكل مدهش عن دمار أورشليم وقبل حوالي أربعين سنة من الحدث. ويسجل متى أن: «خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ، فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ لِكَيْ يُرَوْهُ أُبْنِيَّةَ الْهَيْكَلِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ؟ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا يُبْرَكُ هَهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لَا يُفْقَضُ!» (متى 24: 1 - 2). وهذا ما تحقق حرفياً لدى دمار أورشليم على يد الرومان سنة 70 م.

تأكيد أن يسوع هو الله بأحداث خارقة قام بها

إن حياة يسوع كانت خارقة للطبيعة من البداية إلى النهاية. فقد حُمل به بشكل إعجازي (متى 1: 23). وقام بأكثر من ستين عمل مدون خارق، بما فيها شفاء من أمراض مستعصية (متى 8)، شفى رجلاً ولد أعمى (يوحنا 9)، مشى على الماء (يوحنا 6)، حوّل الماء خمرًا (يوحنا 2)، كثر الأرغفة والسمك (يوحنا 6)، وأقام ميتاً (يوحنا 11). وهي كلها أحداث غير مسبوقة ولا مثيل لها. ولا يوجد روايات لشهود عيان معاصرين كثر بخصوص أي شيء مشابه في الحوليات التاريخية القديمة. وقد عُملت هذه المعجزات في سياق إعلانه أنه المسيح، ابن الله (انظر الفصل 7).

البرهنة على ذلك بالحياة الخالية من الخطيئة الخارقة

لم يقم يسوع بعمل معجزات فحسب، ولكن حياته كانت معجزة. فنفس الخبر الموثق تاريخياً الذي ينقل لنا أنه قام بمعجزات عديدة، يخبرنا أيضاً أنه عاش حياة بدون خطيئة. وأخذاً بالاعتبار شهادة الأصدقاء والأعداء.

¹⁴⁸ S. R. Driver, ed., *The Fifty Third Chapter of Isaiah According to Jewish Interpreters*.

¹⁴⁹ بالواقع، ثمة مخطوطات، من ضمنها المكتشفة في منطقة البحر الميت، ترجع لقرن أو قبل ذلك من المسيح، بما في ذلك كامل سفر إشعياء. وحتى لو قبلنا النقد بخصوص تاريخ سفر دانيال الذي يعطيه تاريخاً متأخراً (حوالي 165 ق. م)، فيكل حال، فالسفر تنبأ قبل زمن طويل عن موت المسيح (دانيال، الإصحاح 9) حوالي 200 سنة قبل مجيء يسوع.

فلم يكن في حياة يسوع الدفاع عن الإيمان المسيحي فقط، بل هو نفسه كان دفاعاً عن هذا الإيمان. فعندما كان خصومه عاجزين عن الرد على منطق يسوع غير قابل للنقد، كانوا يلجئون إلى توجيه نقد إلى شخصيته: «إِنَّمَا لَمْ نُؤَلِّدْ مِنْ زَنًا» (يوحنا 8: 41)، ولاحقاً قالوا: «الآنَ عَلِمْنَا أَنَّ بَيْكَ شَيْطَانًا» (يوحنا 8: 52). وقد رد يسوع بشكل مباشر: «مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟» (يوحنا 8: 46).¹⁵⁰

ولفهم خلفية شخصيته الخالية من الخطيئة، نحتاج لتذكر أنه كان إنساناً بالكامل. وأن له أمماً بشرية (متى 1؛ لوقا 2)، وحماً بشرياً، ومرحلة ما قبل ولادة بشرية، وطفولة بشرية (لوقا 2)، وشباب بشري، وأقارب بشر، وأصدقاء بشر، ومشاعر إنسانية (يوحنا 11)، وموت بشري (العبرانيين 5: 7 - 8). ومع ذلك فهو عاش حياة غير عادية، بدون خطيئة (عبرانيين 4: 15؛ 2 كورنثوس 5: 21؛ 2 بطرس 1: 19).

الذين كانوا يعرفون يسوع بشكل حميم أكدوا كماله الأخلاقي الخالي من الخطيئة

إن الرسل وأتباع المسيح المباشرين أكدوا عدم خطيئته. وكتب سفر العبرانيين الذي كان يعرف الرسل الاثني عشر (عبرانيين 2: 3 - 4)، أعلن: «لَأَنَّ لَيْسَ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ غَيْرِ قَادِرٍ أَنْ يَرْتِي لِضَعْفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلَا خَطِيئَةٍ» (عبرانيين 4: 15). وبترس، القائد من بين الاثني عشر رسولاً، قال: «كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلَا عَيْبٍ وَلَا دَنَسٍ» (بطرس 1: 19). و«الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيئَةً، وَلَا وَجَدَ فِي فَمِهِ مَكْرًا» (1 بطرس 2: 22). وأضاف: «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَلَّمْ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الْأَنْتَمَةِ» (1 بطرس 3: 28). ويوحنا، التلميذ المحبوب ليسوع قال: «أَنَّهُ بَارٌّ هُوَ» (1 يوحنا 2: 29). و«كَمَا هُوَ طَاهِرٌ» (1 يوحنا 3: 3). وقد أكد الرسول بولس أن الله «جَعَلَ [يسوع] الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا» (2 كورنثوس 5: 21).

حياة يسوع الخالية من كل عيب أكدها أعداؤه وآخرون أيضاً

لقد تحدى يسوع أعداءه قائلاً لهم: «مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟» (يوحنا 8: 46). وقد اعترف يهوذا الخائن: «قَدْ أَحْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا» (متى 27: 4). وأعلن بيلاطس الحاكم الذي حاكم يسوع: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْبَارِّ!» (متى 27: 24). كما قالت زوجة بيلاطس «إِيَّاكَ وَذَلِكَ الْبَارُّ» (متى 27: 19).

وإضافة لذلك، صرخ قائد المئة، الذي ساعد في صلب يسوع: «بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ بَارًّا!» (لوقا 23: 47). ومرة أخرى، قال قائد المئة: «حَقًّا كَانَ هَذَا ابْنُ اللَّهِ!» (متى 27: 54). وكما كان اللص على الصليب مندهشاً من يسوع، فطلب منه: «ادْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتُ فِي مَلَكُوتِكَ» (لوقا 23: 42). وحتى الهيرودسسيون الذين عارضوا يسوع، قالوا: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتُعَلِّمُ طَرِيقَ اللَّهِ بِالْحَقِّ، وَلَا تُبَالِي بِأَحَدٍ، لِأَنَّكَ لَا تَنْتَظِرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ» (متى 22: 16).

¹⁵⁰ Norman L. Geisler and Pat Zukeran, *The Apologetics of Jesus*, chapter 10.

التأكيد غير المباشر من جانب الشهود الكذبة

حتى الشهود الكذبة كانوا شهادة غير مباشرة على خلو شخصية يسوع من الخطيئة. وتهمة الرومان لم تكن سلبية. فهم قالوا إنه ادعى أنه «ملك اليهود» (يوحنا 19: 19)، وهو الأمر الذي كان (لوقا 23: 3). وقال الفريسيين: «هَذَا لَا يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلَّا بِعَلَزَبُولَ رَيْسِ الشَّيَاطِينِ» (متى 12: 24). وهذا كان إقراراً غير مباشر بقواه الخارقة على شفاء الذين فيهم شياطين، والخرس، والعمي. وقال عابر سبيل قرب الصليب: «آه يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ!» (مرقس 15: 29). وهذا القول كان شهادة غير مباشرة على إعلانه وبرهانه على إلهيته، كما في إشارة إلى موته وقيامته (يوحنا 2: 19 - 21). كما أن رئيس الكهنة والسنهدرين أدانوه بالقول: «قَدْ سَمِعْتُمْ التَّجَادِيفَ! [فهو أعلن أنه المسيح ابن الله] مَا رَأَيْتُمْ؟ فَالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ» (مرقس 14: 64). وأيضاً برهن من خلال معجزاته وقيامته على أنه ابن الله الذي أعلنه. ولا يوجد نقيصة في شخصيته. وقد صرخ الجمع: «إِنَّا وَجَدْنَا هَذَا يُفْسِدُ الْأُمَّةَ، وَيَمْنَعُ أَنْ نُعْطَى جِزْيَةً لِقَيْصَرَ، قَائِلًا: إِنَّهُ هُوَ مَسِيحُ مَلِكٍ» (لوقا 23: 2). ولكن يسوع قلب الأمر رأساً على عقب عندما قال: «أَعْطُوا إِذَا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ» (متى 22: 21). وبالإضافة لذلك، فإنه دفع الضرائب (متى 17: 27)، وسلم نفسه سلماً إلى سلطة روما المركزية لتقوم بصلبه. وبالمثل، كان عمله في شفاء الناس في السبت مدحاً، ولم يكن نقداً قانونياً ليسوع بما أنه أظهر محبة الله مقارنة مع القانون البشري (مرقس 3: 1 - 6).

عاش يسوع وعلم أعلى درجات أخلاق الموعدة على الجبل (متى 5 - 7)

لقد كان يسوع مثلاً على الكمال الأخلاقي بالإعلان والعيش وفق الموعدة على الجبل. وحتى الهندوسي المهاتما غاندي، كان متأثراً بطريقة حياة يسوع وبالتحديد بموعظته على الجبل. حيث فصل فيها يسوع - وفي أماكن أخرى - الكثير من المبادئ الأخلاقية العظيمة المعروفة للبشرية. وأكد على القاعدة الذهبية (متى 7: 12). وهي تلخص الوصايا العشر التي أكد يسوع أهميتها، كما أكد أهمية كامل العهد القديم (متى 5: 17). وقال: «لا تدينوا الآخرين» ظلماً أو نفاقاً (متى 7: 3 - 5). وعلم «أحبوا أعداءكم» (متى 5: 43 - 44). في حين أن القرآن سار على نهج مختلف، فأوصى المسلمين: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» (المائدة 5: 51)، وقال: «فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ» (النساء 4: 76). وقال يسوع لا تنتقموا «بِئْسَ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوَّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضًا» (متى 5: 38 - 39). كما أدان الرياء، قائلاً: «أَخْرِجْ أَوْلاً الْخَشْبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَجِيئْ بِتُبُصْرٍ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَدَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!» (متى 7: 5). وقد رفع بالأخلاق إلى أقصى درجاتها، عندما أدان الشهوة أو الكره في القلب (متى 5: 22، 28). ونصحنا، قائلاً: «طُوبَى لِلرَّحَمَاءِ» (متى 5: 7). وأمر المرء أن يحفظ كلمته، فشدد: «لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لَا لَا» (متى 5: 37). وذكرنا أن نساعد الفقراء (متى 6: 3 - 4)، وهو نفسه عاش حياة فقيرة، ولم يكن له بيت، وما يملكه كان لباسه على ظهره (متى 8: 20). وطلب منا أن نغفر للآخرين (متى 6: 12)، وهو نفسه قام بذلك بينما كان معلقاً على الصليب (لوقا 23: 34).

ولم يضع يسوع قط أعلى معيار أخلاقي، بل أنه فعل أعلى معيار أخلاقي. فمن بين كل قادة الأديان المعروفين، فإن حياته كانت النموذجية القسوى والخالية من أي خطيئة.

فهو عاش حياة بشرية (فيلبي 2: 5 - 8؛ 1 تيموثاوس 3: 16). وتألم بريئاً لأجل الخطأة (1 بطرس 3: 18). كما تنبأ إشعياء عنه: «وَكَنَعَجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَارِيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاةً» (إشعياء 53: 7).¹⁵¹ وقد تأثر أحد الأشخاص في الدائرة الداخلية ليسوع بتألم البريء، فكتب: «لأنَّه أَيُّ مَجْدٍ هُوَ إِنْ كُنْتُمْ تُلَطَّمُونَ مُخْطِئِينَ فَنَصْبِرُونَ؟ بَلْ إِنْ كُنْتُمْ تَتَأَلَّمُونَ عَامِلِينَ الْخَيْرِ فَتَصْبِرُونَ، فَهَذَا فَضْلٌ عِنْدَ اللَّهِ، لِأَنَّكُمْ لِهَذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لِأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالًا لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطَاوَاتِهِ» (1 بطرس 2: 20 - 21). وعندما كانت الاتهامات الكاذبة تُكال ليسوع وقت محاكماته، فإنه لم يتكلم دفاعاً عن نفسه (متى 27: 12 - 14). لا بل، هو مات لأجل أعدائه (1 يوحنا 2: 2): «وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطُّ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا» (قارن: 1 يوحنا 2: 16؛ رومية 5: 6 - 7). لقد أحب يسوع الأطفال الصغار (مرقس 10: 14)، وقرع أتباعه من خلال تقديم الأطفال أمثلة (متى 18: 3). وكان لدى يسوع التعاطف نحو الآخرين (متى 9: 36)، وأعلن: «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! ... كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادِكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!» (متى 2: 37). فلا يوجد أحد قط تكلم مثل يسوع، ولا أحد قط عاش مثله.

الرد على نقاد المسيح

خلافاً للتوثيق الذي لا نظير له وغير المسبوق عن أفعال يسوع البارّة، انبرى البعض للبحث عن عيوب في شخصيته، ولكن ظهر أن جهودهم ذهبت أدراج الرياح. ويقدم اللاأدري الشهير برتراند راسل عدة حجج ضد المسيح.

الاتهام أن يسوع لم يكن «إنسانياً بالعمق»¹⁵²

في كتابه الشهير: «لماذا لست مسيحياً»، جادل اللاأدري برتراند راسل أن كل من يحذر الناس بالعقاب الأبدي كما فعل يسوع، فليس «إنسانياً بالعمق» (متى 5: 22، 29؛ 10: 28؛ 18: 9). وفي الرد على اتهام راسل الذي يصادر على المطلوب إن كان ثمة جحيم أم لا. فهو يفترض عدم وجود جحيم، وبالتالي، ليس إنسانياً أن تهدد الناس بها. ولكن، إن كان ثمة جحيم - يسوع بوصفه ابن الله يعلم الحق - فإنه سيكون من غير الإنساني بقوة إلا يحذر الناس بأنهم يتجهون إليها. وفي الختام، إن كان ثمة نار في مبنى، ولم يحذر المرء الآخرين منها، فهو شخص غير إنساني. فكيف، والأمر إن كان يتعلق بتحذير من النار الأبدية التي سيذهب إليها الخطأة.

¹⁵¹ يفترض الرببي تيم كلاًهان عن خطأ في كتابه (الأصول السرية للكتاب المقدس، ص 415)، أن هذه النبوءة ليست حقيقية لأن يسوع خاطب بيلاطس (يوحنا 18: 37 - 38). ولكن سفر إشعياء كان يشير إلى صمته أمام الذين يتهمونه زوراً من اليهود (العدد 8)، وأما أمام القاضي الأممي. وفي الحوار مع بيلاطس، فثمة اختلافان هامان، أولاً، بيلاطس لم يكن المُتهم. ولكن كان يحكم باتهامات كالأخرون. ثانياً، لم يكن يهودياً، بل كان رومانياً. وعندما كان يسوع يواجه نهم اليهود، فالكتاب يقول بوضوح: «فَقَامَ رَبِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ [لبسوع]: «أَمَا تُجِيبُ بَشْيء؟ مَاذَا تَشْهَدُ بِهِ هَذَانِ عَلَيْنَا؟» وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا» (متى 26: 62 - 63. التشديد مُضَاف).

¹⁵² Bertrand Russell, "Why I am not a Christian," in *The Basic Writings of Bertrand Russell*, 593-594.

اتهام يسوع إنه كان لديه نزعة انتقامية ضد رؤساء اليهود

كما يُتهم يسوع أنه كان لديه غضب وروح انتقامية. فهو أعلن: «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمَيَانُ! ... أَيُّهَا الْجَهَّالُ وَالْعُمَيَانُ! ... لِأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ فُبُورًا مُبَيَّضَةً تَطْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً، وَهِيَ مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ» (متى 23: 16 - 27). وبكل حال، إن الغضب ضد الخطيئة، ليس خطيئة، بل هو فعل صالح. ففي النهاية، فهو لاء لا يقودون أنفسهم نحو الهلاك، بل يقودون الآخرين أيضاً. وقد قال يسوع: «لَكِنْ وَيلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتَّابَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ! لِأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلَا تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلَا تَدْعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ» (متى 23: 13). إذاً، فهذا ليس عملاً انتقامياً، بل محبة وتعاطف عميقان للذين تعرضوا للخداع. وبالفعل، ليس يسوع من يريد الانتقام، فهو حتى غفر للذين صلبوه، قائلاً: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا 23: 34).

الاتهام أن يسوع كان قاسياً

ويضيف برتراند راسل أن أي شخص يغرق خنازير بدون ضرورة لهو شخص يتصف بالقسوة. وقد قام يسوع بهذا الأمر، وغرقت الخنازير في البحر (متى 8: 32). وهذه الحجة لها جاذبية في ثقافة محبة الحيوان، في عصر قد يتعرض البعض للسجن لتعذيب الحيوان. وعلينا قبل كل شيء أن نلاحظ أن يسوع لم يغرق الخنازير. بل الشياطين قامت بذلك. قد أخرج يسوع الشياطين من الرجال، فأغرقت الشياطين الخنازير. ثانياً، أن نتيجة فعل الشياطين في إغراق الخنازير كان سمح به يسوع، ولكنه لم يأمر به. وثمة فرق كبير بين السماح بالبشر المادي، وهذا ما يقوم به الأهل كل مرة يسمحون فيها للمراهقين بقيادة سيارة العائلة، وهذا ما يسهل وقوع الحادثة، وهو الأمر الذي لا يقوم به الآباء الصالحون. ثالثاً، أن يسوع سيد الخلق. وهو بهذا، يعطي الحياة ويقدر أن يأخذها بمشيئته (أيوب 1: 21؛ التثنية 32: 29). وبالفعل، هو قضى أن كل كائن سيموت، عاجلاً أو آجلاً. وأخيراً، أن راسل كان مكثرناً أكثر بشأن الخنازير أكثر من الأشخاص الذي أنقذهم يسوع من الشياطين. وعلى العكس، كان يسوع مهتماً أكثر بالناس أكثر من الخنازير. وحتى أكثر محبي الحيوانات حماساً يفهم أن كلب بيت بول¹⁵³ الذي قتل طفلاً يجب أن يُعدم كي لا يكرر فعله. ويمكن أن يكون، كما أشار أحد التفسير، إلى أنه «بطريقة ما [مثل السماح للشياطين أن تقضي على الخنازير] يمكن إنقاذ الإنسان من التشويش المعقد بين نفسه وبين الروح النجسة التي كانت فيه. فالإلى أن يرى المُصاب القوى الشيطانية التي أثقلت كاهله قد تحولت إلى أجساد مخلوقات أخرى... عندها يقدر أن يصدق أنه تحرر». ¹⁵⁴ وبهذا، بدلاً من أن تحط هذه الحادثة من شخصية يسوع، فإنها تبرز أكثر على ما هو معروف في كل موضع من الأناجيل، أي تعاطف يسوع نحو البشر الذين كانوا أسرى القوى الشيطانية.

بالإجمال، إن شخصية يسوع يُشهد عليها من جانب أصدقائه وأعدائه¹⁵⁵ وبالفعل، حتى راسل نفسه قال في مكان آخر: «أني أقرُّ له بأعلى درجات الصلاح الأخلاقي».¹⁵⁶ كما قال إن ما يحتاجه العالم هو: «المحبة،

¹⁵³ [كلب بيت بول (Pit Bull): نوع من الكلاب الهجينة التي يتميز بالشراسة والقوة البدنية العالية].

¹⁵⁴ Ellicott's Commentary on the Whole Bible, vol. 6, 1954), 51.

¹⁵⁵ Horace Bushnell, *The Character of Jesus*, 1888).

¹⁵⁶ Bertrand Russell, "Why I am not a Christian," in *The Basic Writings of Bertrand Russell*, 586.

المحبة المسيحية، أو التعاطف».¹⁵⁷ وهذه إطراء كبير لشخصية المسيح. وبالفعل، لا أحد عبر عن أي محبة أكبر من محبة المسيح عندما مات لأجل أعدائه (رومية 5: 6؛ يوحنا 15: 13).

إن المعاني الكبيرة التي تؤكد الإيمان المسيحي في حياة يسوع الخالية من الخطيئة ظاهرة. فلم يقم بشر قط بفعل ذلك. وهذا ما يضع المسيح في مستوى خاص به. فإن أكثر البشر قداسةً بيننا لديهم أخطاءهم الخطيرة، ولكن يسوع كان الحياة بلا عيب.

إن شخصيته الخالية من الخطيئة تضعه في فئة خاصة به وحده

من كل الزعماء الدينيين، ليس ثمة من أحد، ما عدا المسيح، من أعلن أنه بلا خطيئة. وقد تضرع محمد للغفران (محمد 47: 19). وكان بوذا بعيداً عن الخلو من الخطيئة، فهو هجر عائلته، ولم يرجع. وانخرط المهاتما غاندي في الحروب الدينية ضد السود في جنوب أفريقيا.¹⁵⁸ وبالفعل، فإن أعظم القديسين المسيحيين كانوا يدركون بمرارة أنهم خاطئون. وقد صرخ الرسول بولس: «وَيُحْيِي أَنَا الْإِنْسَانَ الشَّقِيَّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟» (رومية 7: 24)، وقال «إِذِ الْجَمِيعِ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ» (رومية 3: 23) - ما عدا واحداً! إنه يسوع المسيح! وهذا ما يضع المسيح في صف فريد لوحده. فهو مثال الحياة الكاملة. وهذا كفيل وحده أن يجذب الناس إلى المسيح.

وكما قال هوريس بوشنيل: «إنه لأسهل كثيراً أن تؤمن بأنه معجزة، من تؤمن أن المسيح كان إنساناً، ومع ذلك كان شخصية كاملة، كما لدينا».¹⁵⁹ وقد أضاف: «هو معجزة بنفسه، وكان سيكون أكبر معجزة من بين كل المعجزات لو لم يكن هو من يفعل المعجزات».¹⁶⁰

إن شخصيته الخالية من الخطيئة تؤكد إعلانه أنه الله

لقد وظف يسوع الرابطة بين الفضيلة والحق. فعندما رفض المعارضون له دعواه بالألوهية والمعجزات التي قام بها، قال: «مَنْ مِنْكُمْ يُبْكِنِّي عَلَى خَطِيئَةٍ؟» (يوحنا 8: 46). وعندما رفض رؤساء اليهود حتى معجزة شفاء شخص مولود أعمى، وقال بعضهم: «كَيْفَ يَقْدِرُ إِنْسَانٌ خَاطِئٌ أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ هَذِهِ الْآيَاتِ؟» (يوحنا 9: 16).

يستعمل الارتباط بين الفضيلة والحق في الإجراءات القانونية في كل العصور. ويفقد الشهود مصداقيتهم أن تبين أنهم كذبوا. وعلى الجانب الآخر، الأشخاص الذين يتمتعون بالنزاهة يُعتبرون شهوداً صادقين. ويسوع

¹⁵⁷ Bertrand Russell, "Why I Am An Agnostic," in *The Basic Writings of Bertrand Russell*, 579.

¹⁵⁸ Richard Grenier, *The Ghandi Nobody Knows*.

¹⁵⁹ Horace Bushnell, *The Character of Christ: Forbidding His Possible Classification with Men*, 66.

¹⁶⁰ *Ibid.*, 77.

هو شخص نزيه بشكل لا نقاش به. وحتى غير المؤمنين به قالوا عنه: «بُهِتَتِ الْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكُتَّابَةِ» (متى 7: 28 - 29). من الصعوبة لكلمات شخص أن تتمتع بسلطان، عندما تكون حياته تسير عكس ما يقول. وحتى أعداء يسوع قالوا: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتُعَلِّمُ طَرِيقَ اللَّهِ بِالْحَقِّ، وَلَا تُبَالِي بِأَحَدٍ، لِأَنَّكَ لَا تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ» (متى 22: 16). مع شهادة عن الفضيلة من مثل هذا النوع، كان من المتعذر رفض النتيجة أنه يجب قبول ما يعلن عن الحق.

وقد وصف بوشنيل شخصية يسوع التي لا مثيل لها: «الآن، أحد الأمرين يجب أن يكون صحيحاً. إما هو بدون خطيئة، أو ليس كذلك. إن كان بدون خطيئة. وما هو أعظم، حيث نجد الاستثناء الأكبر في تاريخ البشرية، وهو أن أكثر الكائنات كمالاً، والخالي من الخطيئة عاش ذات مرة في الجسد! وإن لم يكن كذلك، ... فلدينا شخص أخذ ديناً بدون توبة، ديناً وليس بشراً، ولكن ديناً سماوياً، نمط من التقوى لم يُعلمه إياه أحد في صغره، ولم يُعرف من قبل، ولم يتم سلوكه بين الناس؛ وأكثر من ذلك، نمط من التقوى، لا يتناسب مع شخصيته الحقيقية كخاطئ... ألا يمكن أن يكون ذلك انحرافاً كبيراً عن كل ما نعرفه من مجرد التطور البشري؟»¹⁶¹

لقد تم البرهنة على أن يسوع هو الله بالقيامة الخارقة للطبيعة

إعلانات يسوع أنه الله، لم تُبرهن بشكل خارق بتحقيق النبوءات فحسب، وبمعجزاته الكثيرة التي لا مثيل لها، ولكن أيضاً بحياته الخارقة للطبيعة. وبالإضافة إلى ذلك، فالمعجزة الكبرى التي صادقت على دعاوي يسوع هي القيامة من الموت. فلم يتنبأ يسوع مراراً عن قيامته فقط (متى 12: 40؛ 17: 22 - 23؛ 20: 18 - 19؛ يوحنا 2: 19 - 22). ولكن يسوع أشار إلى قيامته على أنها «آية» فريدة يعطيها لجيله، قائلاً: «جِيلٌ شَرِيرٌ وَقَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلَا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ. لِأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ» (متى 12: 39 - 40).

إن يسوع مات جسدياً بالفعل

بالطبع أن الشرط المسبق للقيامة الجسدية هو الموت الجسدي. ويسجل الإنجيل الموثوق تاريخياً (انظر الفصل 6) الدليل القاطع على أن يسوع مات بالفعل على الصليب خلافاً لقول المسلمين اعتماداً على القرآن¹⁶² (النساء 4: 157). وقال بعض النقاد أن يسوع أغمي عليه (فقد الوعي) على الصليب فحسب ولاحقاً نهض ببرودة القبر. والحقيقة أن الدليل القوي ينهض ضد نظرية الموت الظاهري. ولننظر بالتالي:

1) لقد تم التنبؤ مرات كثيرة عن موت يسوع في العهد القديم. كل نصوص القيامة من الموت (مثل مزمور 2: 7؛ 16: 10) تتضمن أن حقيقة الموت. ويقول زكريا: «طعن» بجنبه الذي يتضمن الموت (انظر:

¹⁶¹ Horace Bushnell, *The Character of Christ: Forbidding His Possible Classification with Men*, 19.

¹⁶² ويرى الكثير من المسلمين أن شخصاً آخر (على الأرجح يهوذا) هو الذي صُلب بدلاً عنه، والدليل الذي سنبسطه أدناه يفند هذا الرأي.

يوحنا 19: 33 - 37). ويتكلم دانيال عن الذي «قُطِع» (دانيال 9: 27) بالموت بعد «ينهي الخطيئة» و«لكفارة الإثم» (دانيال 9: 24). ويقول إشعياء 53 أنه «كثَنَاءٌ تُسَاقُ إِلَى الدَّبْحِ» (العدد 7)، وأنه «قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ» (العدد 8)، و«جُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ» (العدد 9) و«سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ» (العدد 12).

(2) **تنبأ يسوع عن موته كثيراً أثناء خدمته** (متى 12: 40؛ مرقس 8: 31؛ يوحنا 2: 19 - 21؛ 10: 10 - 11). وقال بشكل صريح لا لبس فيه: «ابنُ الإنسانِ سَوفَ يُسَلَّمُ إِلَى أيدي النَّاسِ. فَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي اليَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ. فَحَزَنُوا جِدًّا» (متى 17: 22 - 23).

(3) **إن طبيعة الصلب تؤكد موته** بما أنه موت بالاختناق، ما دام المرء يمر بألم شديد وهو يسحب نفسه بسبب نقص الأوكسجين. فعندما يكف ضحايا الصليب عن الصراخ ألماً لعدة دقائق، فهذا يعني أنهم صاروا في عداد الأموات. وقد كان يسوع معلقاً على الصليب من التاسعة صباحاً إلى قبل غروب الشمس (مرقس 15: 25، 33). وكان ينزف من الجروح في يديه ورجليه، ومن الشوك المغروز في فروة رأسه. وهذه الجروح كانت قد نزفت الكثير من الدماء على مدار أكثر من ست ساعات.

(4) **لقد طعنَ جَنبَ يسوع بِحَرْبِيَّةٍ، وَلِلْوَفْتِ حَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ** (يوحنا 19: 34)، وهذا برهان على حدوث الموت الجسدي. وهذا الأمر لوحده، وتأكيد الخبراء الطبيين المعاصرين، كفيلاً بأنه يؤكد الموت، الذي ورد في الرواية التي هي رواية شهود عيان. وفي مقالة في مجلة الجمعية الطبية الأمريكية (21 آذار (مارس)، 1986) يستخلص التالي:

من الواضح، إن أهمية الدليل التاريخي والطبي، يشير إلى أن يسوع قد مات قبل أن يطعن من جنبه وهذا يؤيد النظرة التقليدية أن الرمح، الذي طعن الضلع الأيمن، اخترق ليس فقط الرئة اليمنى ولكن أيضاً التامور والقلب وبالتالي تم التوثق من موته. ووفقاً لذلك، فالتفسير القائمة على افتراض أن يسوع لم يموت على الصليب تظهر أنها متعارضة مع المعرفة الطبية المعاصرة.

(5) **كلمات يسوع وهو مشرف على الموت سُمعت من الصليب**. «وَقَالَ: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوِدِعُ رُوحِي». وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَسَلَّمَ الرُّوحَ» (لوقا 23: 46). ويقول يوحنا: «وَأَسَلَّمَ الرُّوحَ» (يوحنا 19: 30). وصرخة الموت سمعها كل من كان واقفاً قريباً، وقد خلقت ردة الفعل. ويقول لوقا: «فَلَمَّا رَأَى قَائِدُ المِئَةِ مَا كَانَ، مَجَّدَ اللهَ قَائِلًا: «بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا الإنسانُ بَارًّا! وَكُلُّ الجُمُوعِ الَّذِينَ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ لِهَذَا المُنْظَرِ، لَمَّا أَبْصَرُوا مَا كَانَ، رَجَعُوا وَهُمْ يَقْرَعُونَ صُدُورَهُمْ» (لوقا 23: 47 - 49).

(6) **كان الجنود الرومان جلادين قساة، ومعتادين على الصلب والموت، أعلنوا أن يسوع قد مات**. وبهذا من المؤكد أنه مات، فهم لم يكسروا ساقيه لتسريع الموت (بحيث يحيلوا بين الشخص وبين القدرة على التنفس أكثر)، رغم أن ذلك كان ممارسة شائعة. فهم لم يروا ضرورة أن يكسروا ساقَي يسوع (يوحنا 19: 33).

(7) **الفحص المضاعف لبيلاطس من أجل التوثق من موت يسوع قبل أن يعطي الجثمان إلى ليوسف لدفنه**. «فَدَعَا قَائِدَ المِئَةِ وَسَأَلَهُ: «هَلْ لَهُ زَمَانٌ قَدْ مَاتَ؟». وَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ المِئَةِ، وَهَبَ الجَسَدَ لِيُوسُفَ» (مرقس 15: 44 - 45).

(8) أن دفن يسوع يؤكد موته. فقد تم لفه بحوالي 100 باوند [حوالي 45 كيلو غرام] من الأقمشة وأنواع الطيب، ووضِع في قبر مختوم لثلاثة أيام (متى 27: 60؛ يوحنا 19: 39 - 40). فإن لم يكن قد مات بعد، فسبب نقص الطعام والماء والعلاج الطبي كان سيقتضى عليه.

(9) كان يوجد شهود كثر لدى الصليب، من طرف الأصدقاء والأعداء (لوقا 23: 47، 49). فتقريباً كل شخص كان هناك، كان لديه اهتمام كبير في معرفة إن كان يسوع هو الذي على الصليب (وليس بديلاً له كما يعتقد المسلمون)، وأنه قد مات بالفعل. ولنأخذ بعين الاعتبار الملاحظات التالية: (أ) كان الجنود الرومان هناك مكلفين بفحص إن كان يسوع قد مات فعلاً. (ب) كان رؤساء يهود هناك، الذين حكموا عليه بالموت بتهمة التجديف. وكانوا يريدون أن يتوثقوا من موت يسوع الفعلي. (ج) كانت أم يسوع حاضرة، ولا أم تفشل في التعرف على ابنها أو تعجز عن تمييز موته (د) وبالمثل، فإن «النساء» اللواتي خدمن يسوع لسنوات، كن هناك، كما (هـ)، كان هناك تلميذ يسوع المقرب (يوحنا 19: 26). ومن المستحيل، إن جميع هؤلاء الناس، بكل هذا الاهتمام الكبير بمن كان على الصليب ومعرفة إن كان قد مات، قد فشلوا في تمييز موت يسوع.

(10) ما كان ظهور يسوع المتكرر لاحقاً سيعمل هذا التأثير الدرامي. لا يوجد من طريقة في حالة يسوع، أن يعيش في قبر بارد، وما كان يمكن أن يترك هذه الانطباعات الكبيرة على تلامذته غير المصدقين المحبطين. وحتى هذا ما لاحظته ديفيد سترأوس: «من الاستحالة لفرد مسروق نصف ميت من القبر، الذي تسلس خارجاً هزياً، مريضاً، وبحاجة لعناية طبية... كان يقدر أن يعطي الانطباع لتلامذته أنه كان منتصراً على الموت وحفرة الموت... فمثل هذه الحالة كان سيضعف الأثر، الذي حل بهم في الحياة والموت... ولكن ما كان ليقدّر أن يغير حزنهم إلى حماس، ويرفع من توقيرهم إلى عبادة».¹⁶³

(11) وبالإضافة إلى كل ما سبق، فإن مؤرخين غير مسيحيين سجلوا أن يسوع مات فعلاً. يوليوس أفريكانوس (حوالي 221 م) سجل إن يسوع مات، وكما المؤرخ تالوس من أصول سامرية (حوالي 52م) الذي سجل «حين الحديث عن الظلام الذي حل على الأرض أثناء صلب المسيح»، تكلم عنه على أنه كسوف.¹⁶⁴ والكاتب اليوناني من القرن الثاني، لوسيان، تكلم عن المسيح عن «الرجل الذي صُلب في فلسطين لأنه جاء بدين جديد للعالم». وقد سماه «المعلم المصلوب».¹⁶⁵ وتحدث «رسالة مارا بار - سيرابيون» (حوالي 73 م)، الموجودة في المتحف البريطاني، عن موت المسيح، وتساءل: «ما الفائدة التي عادت على اليهود من صلب ملكهم الحكيم».¹⁶⁶ وأخيراً، لدينا الكاتب الروماني، فلجون الذي تكلم عن موت المسيح وقيامته في كتابه التواريخ، قائلاً: «عندما كان يسوع على قيد الحياة، لم يكن له عون، ولكن نهض من الموت، وأظهر علامات التعذيب، وكشف عن يديه المنقوبتين بالمسامير».¹⁶⁷ كما ذكر فلجون، «الكسوف في وقت القيصر طيباريوس، الذي يبدو أن يسوع قد صُلب في حكمة، ووقتها حصلت زلزلة عظيمة».¹⁶⁸

¹⁶³ David Strauss, *A New Life of Jesus* (1879), I.412.

¹⁶⁴ F. F. Bruce, *Jesus and Christian Origins Outside the New Testament*, 113 (emphasis added).

¹⁶⁵ Geisler, *Christian Apologetics*, 323.

¹⁶⁶ Bruce, 114.

¹⁶⁷ Phlegon, *Chronicles*, cited by Origen, 4:455.

¹⁶⁸ *Ibid.*, 445.

12) كذلك، الكتاب المسيحيون القدماء بعد عهد المسيح، أكدوا موته على الصليب وقيامته. إن بوليكاربوس، تلميذ الرسول بولس، أكد تكراراً موت المسيح، وتكلم، على سبيل المثال، عن «ربنا يسوع المسيح، الذي تألم لأجل خطايانا حتى الموت» (بوليكاربوس، 33 م). وكتب إغناطيوس (30 - 107 م)، صديق بوليكاربوس، «وهو تألم ومات فعلاً، وقام من الموت ثانية». وأضاف، وإلاً، كان جميع الرسل الذين تألموا لأجل هذا الإيمان، ماتوا عبثاً. «ولكن (الحق) ليس أي من هذه الآلام كان عبثاً، لأن الرب كان قد صُلب فعلاً بشكل ظالم من الفجار».¹⁶⁹ ولاحظ القديس جاستن الشهيد في كتابه «حوار مع تريفو» اليهودي، أن اليهود في عصره كانوا يعتقدون أن «يسوع كان جليلياً مخادعاً قد صُلب».¹⁷⁰

إذاً، لدينا عملياً إجماع وشهادة كاملة من العهد القديم إلى آباء الكنيسة، بمن فيهم مؤمنون وغير مؤمنين، يهود وأمميون، أن يسوع تألم ومات على الصليب.

إن يسوع قام جسدياً من بين الأموات بعد بضعة أيام

إن الدليل على قيامة يسوع لهو من القوة، إن لم يكن أقوى من دليل الموت. وهذه هي المعجزة الأعظم التي قام به. في الدليل نلاحظ:

1. **هو التفسير الوحيد المناسب للقبر الفارغ المحروس.** ليس فقط عدم وجود جثمان يسوع قط، بل حتى أقمشة الدفن كانت متروكة في المكان الفارغ، بما فيها الأكفان موضوعة، [«وَالْمُنْدِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِ لَيْسَ مَوْضُوعًا مَعَ الْأَكْفَانِ، بَلْ مَلْفُوفًا فِي مَوْضِعٍ وَحْدَهُ» (يوحنا 20: 7)] في مكان بنفسها (دلالة على فعل قصدي). لقد كان القبر محروساً من جانب جنود رومان تحت عقوبة الموت. فلم يكن ثمة من وسيلة لأن يكون الجسد قد سُرق. وحتى لو تم نقله تحت حراسة الجنود الرومان، فمن يمكن أن يأخذه؟ وأين يمكن أن ينقل؟ ولن يأخذ أحد الجسد ويأخذ الوقت لطّي قماش الرأس في مكانه نفسه.

2. **إن البرهان الإيجابي على القيامة موجود في ظهورات المسيح العديدة في جسده نفسه - حيث كان حياً - لمئات من الشهود، بما فيهم المتشككيين وغير المؤمنين.** وهذا يظهر من:

أ. ثمة بالإجمال أكثر من 500 شاهد على قيامة المسيح (1 كورنثوس 15: 6). وهذا الرقم يضع الحدث خارج الشك.

ب. ثمة أكثر من 12 مناسبة ظهر فيها المسيح.

1. مريم المجدلية (يوحنا 20: 10 - 18).

2. النساء الأخريات (متى 28: 1 - 10).

3. تلميذي عمّواس (لوقا 24: 13 - 35).

4. بطرس (يوحنا 20: 3 - 9).

¹⁶⁹ Ignatius, 107.

¹⁷⁰ Martyr, 253.

5. التلاميذ العشر (لوقا 24: 36 - 49؛ يوحنا 20: 19 - 23).
6. التلاميذ الأحد عشر (يوحنا 20: 24 - 31).
7. التلاميذ السبع (يوحنا 21).
8. كل التلاميذ عند المأمورية العظمى (متى 28: 16 - 20؛ مرقس 16: 14 - 18).
9. الخمسمئة أخ (1 كورنثوس 15: 6).
10. يعقوب (1 كورنثوس 15: 7).
11. كل الرسل عند الصعود (أعمال 1: 4 - 8).
12. الظهور لبولس (1 كورنثوس 15: 8؛ أعمال 9: 1 - 9).

ومرة أخرى من غير المنطقي الاعتقاد أن أكثر من (500) شخص في اثنتي عشرة مناسبة مختلفة كانوا مخدوعين بشأن لقائهم مع المسيح القائم من الموت. وبالإضافة على ذلك، ففي سنة (55 - 56)¹⁷¹ (بعد القيامة فقط بـ 22 - 23 سنة)، تحدى بولس أهل كورنثوس أن يسألوا الشهود الأحياء على المسيح القائم من الموت، وكان أكثر من نصفهم (أكثر من 251) على قيد الحياة وكان الكورنثيين قادرين على سؤالهم والتوثق من قيامة المسيح من بين الأموات.

(أ) إن الرسل الذي ظهر لهم يسوع كانوا بعيدين عن التصديق. والهلوسة تنجح مع أناس لديهم استعداد للإيمان إن الأمر حقيقي ويسجل لنا إنجيل متى أن «بَعْضَهُمْ شَكُّوا» حتى بعد أن رأوا يسوع (متى 28: 17). ويقول مرقس إنه عندما أخبرت النسوة التلاميذ أن يسوع قام من الموت، «لَمْ يُصَدِّقُوا» (مرقس 16: 11). وقال توما إلى التلاميذ الآخرين الذين كانوا قد رأوا المسيح: «إِنْ لَمْ أَبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعُ إصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعُ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لَا أُوْمِنُ» (يوحنا 20: 25). فلا يمكن أن نعتبر أن هؤلاء التلاميذ كانوا عرضة للخداع.

(ب) كان من بين الشهود أخ يسوع الذي لم يكن مؤمناً، يعقوب، ويقول يوحنا: «لَأَنَّ إِخْوَتَهُ أَيْضًا لَمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِهِ» (يوحنا 7: 5). ويقول بولس: «وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ» (1 كورنثوس 15: 7).

(ت) وكان من بين اليهود، شاول الطرطوسي، الذي حارب المسيحيين. ولم يوجد من بين المعاصرين من قاوم القيامة أكثر من شاول الطرطوسي، الفريسي، اليهودي. ومع ذلك، ظهر له المسيح على الطريق إلى دمشق، فاهتدى. ويقول بولس لاحقاً: «أَلَسْتُ أَنَا رَسُولًا؟ ... أَمَا رَأَيْتُ يَسُوعَ الْمَسِيحَ رَبَّنَا؟» (1 كورنثوس 9: 1. قارن: أعمال 9: 1 - 9). وهو أحد أبعد الناس عن الإيمان بالمسيح، ومع ذلك آمن. و فقط ظهور حقيقي للمسيح الحقيقي يشرح بشكل كافٍ تحوله للمسيحية.

(ث) وثمة أدلة كثيرة على أن الجسد الذي ظهر كان نفسه جسد يسوع الذي مات لـ: (1) وجود الكفن المتروك (يوحنا 20: 5 - 6)؛ (2) كان على الجسد أثر جراح الصلب (لوقا 24: 36=9؛ يوحنا 20: 27)؛ (3)

¹⁷¹ حتى النقاد يوافقون على أن كورنثوس الأولى كُتبت حوالي 55 - 56 م.

وكان يمكن أن يُرى ويُلمس (متى: 28؛ لوقا: 24: 39؛ يوحنا: 20: 27)، و(4) وكان يقدر أن يأكل، وأكل طعاماً حقيقياً. ويؤكد إنجيل لوقا: «فَقَانُوا لَهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدِ عَسَلٍ. فَأَخَذَ وَأَكَلَ فُذَامَهُمْ» (لوقا: 24: 42 - 43). ويمكن أن يُرى ويُسمع بالحواس الفعلية (النظر، السمع، واللمس).

(ج) وإن الدليل على قيامة المسيح بالجسد، لهي من المتانة بشكل أقوى ما يكون، لـ: (1) خلو القبر بشكل دائم من الجسد؛ (2) وجود الكفن في القبر الفارغ (يوحنا: 20: 5 - 6)؛ (3) لقد رأى التلاميذ يسوع، وسمعوه، ولمسوه بحواسهم المباشرة بعد القيامة؛ (4) لقد رأوا ولمسوا جراح الصلب، التي كانت تظهر أنه نفس الجسد الذي مات فيه (لوقا: 24: 39؛ يوحنا: 20: 27)؛ (5) كما أكلوا معه في أربع مناسبات مختلفة (لوقا: 24: 30، 42 - 43؛ يوحنا: 21: 10 - 13؛ أعمال: 1: 4). ويقول في سفر أعمال 10: 41 «نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرَبْنَا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الْأَمْوَاتِ»؛ (6) إن شكل قيامة الجسد (باليوناني *soma*)، وهي الكلمة التي تعني دائماً الجسد المادي في العهد الجديد عندما تشير إلى أفراد البشر؛¹⁷³ (7)، ولقد تم الإشارة مرتين بشكل مباشر إلى القيامة (لوقا: 24: 39؛ أعمال: 2: 31) ومرتين بشكل غير مباشر (1 يوحنا: 4: 2؛ 2 يوحنا: 7)¹⁷⁴ على أنه بالجسد (باليونانية *sarx*)، وهي أقوى كلمة ممكنة للجسد الحي. والإشارة المباشرة في لوقا: 24: 39، حيث يقول يسوع: «جُسُونِي وَأَنْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي». وأعمال: 2: 31 - 32 حيث يقول بطرس أن دواود تنبأ عن القيامة، فقال: «سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ لَمْ تُنْزَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاطِيَةِ وَلَا رَأَى جَسَدَهُ [sarx] فَسَادًا. فَيَسُوغُ هَذَا أَقَامَهُ اللَّهُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذَلِكَ». وبالنظر إلى الدليل القاطع على أن يسوع قام في نفس الجسد والعظم الذي مات فيه، فإن محاولات تحريف الآيات الأخرى لرفض القيامة هي عبث لا طائل منه.

الرد على بعض الاعتراضات على القيامة بالجسد¹⁷⁵

كورنثوس الأولى 15: 44 ويتكلم عن قيامة الأجساد على أنها «جسم روحاني»، ولكنها لا تعني الجسد غير المادي. بل هي تعني قيامة «الجسد» (فمفردة *soma* تعني دائماً الجسد المادي عندما ترد بخصوص أفراد البشر)، لها مصدر «روحي» (*pneumatikos*)، أنها مؤيدة من الله. نفس الكلمة: «الروحي» ترد لدى بولس في رسالة كورنثوس الأولى بشأن أمر جسدي له مصدر إلهي. على سبيل المثال، المنّ التي كان يأكله شعب

¹⁷² يعلن متى: 28؛ 9 أن المرأتين: «تَقَدَّمْنَا وَأَمْسَكْنَا بِقَدَمَيْهِ». وفي يوحنا: 20: 17، قَالَ يَسُوعُ لِمَرْيَمَ: «لَا تَلْمِسِينِي لِأَنِّي لَمْ أَصْعُدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلَكِنْ أَذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُنَّ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي...».

¹⁷³ Robert Gundry, *Soma in Biblical Theology: with Emphasis on Pauline Anthropology*. 1976.

¹⁷⁴ جاء في رسالة يوحنا الأولى 4: 2 أن يسوع «جاء في الجسد» وهذا اسم فاعل تام، يعني أنه جاء في الماضي في الجسد، وبقي الآن (بعد قيامة) في الجسد. ويستعمل 2 يوحنا 7 نفس العبارة: «أَتَيْتُ فِي الْجَسَدِ»، وهي اسم فاعل بمعنى ما زال في الحاضر (بعد قيامة) في الجسد. وقوانين الإيمان المسيحية المبكرة، في البدء مع القانون الرسولي تتحدث عن القيامة «بالجسد»، كما تتكلم عن الصعود في الجسد إلى يمين الأب. انظر:

(Geisler, *The Battle for the Resurrection*, chapter 4).

¹⁷⁵ Geisler, *The Battle for the Resurrection*, chapters 3, 7, and 8.

إسرائيل في البرية، سماه «الطعام الروحي» (1 كورنثوس 10: 4). وبالمثل، الشخص الذي يعيش حياة القوة بالروح القدس يُطلق عليه اسم رجل «روحي» (1 كورنثوس 2: 15؛ 3: 1). وفي كل حالة، فالموضوع كان فيزيائياً، ولكن له مصدر روحي.

كورنثوس الأولى 15: 50، التي يقول فيها بولس: «إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَا يَقْدِرَان أَنْ يَرْتَأَا مَلَكُوتَ اللَّهِ»، ولكنها لا تنفي القيامة الجسدية. ونلاحظ أن الجزء الثاني منها ينص: («وَلَا يَرِثُ الْفَسَادُ عَدَمَ الْفَسَادِ»)، وهو يتحدث عن اللحم والدم القابلين للفساد لن يدخلوا ملكوت الله. وبالفعل، فيسوع يقول بشكل واضح أن قيامته الجسدية كانت «باللحم والعظم» (لوقا 24: 39). وبالفعل، كانت لحمًا وعظمًا غير قابلين للفساد، ولكن كان لحمًا وعظمًا في كل حال. والقيامة الجسدية هي أبدية، ولكنها ليست غير مادية. فهي نفس الجسد الفاني، ولكن الآن «يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ» (1 كورنثوس 15: 53). فهو أكثر من الجسد الذي نعرفه الآن، ولكن ليس أكثر من الجسد الحي.

وحقيقة أن قيامة المسيح بجسد يمكن أن يظهر ويختفي بشكل خارق لا يثبت أنه كان غير مادي، فيسوع كان يقدر أن يسير على الماء قبل قيامته، وهذا برهان قدرته، وليس برهان جسد غير مادي. وقد انتقل فيليبس بشكل معجزي من مكان إلى آخر قبل قيامة الأجساد (أعمال 8: 39 - 40). والمرء سيتوقع أن يسوع صانع المعجزات كان يقدر أن يعمل أشياء خارقة بعد قيامته كما كان يقدر أن يعمل قبل ذلك.

تلخيص القضية بكاملها إلى هذه النقطة

بما أن الله موجود (الفصل 3)، فالمعجزات ممكنة (الفصل 4). وبما أن المعجزات ممكنة، فهي تأتي لتأكيد رسالة من الله (الفصل 5). بما أن العهد الجديد موثوق تاريخياً (الفصل 6)، ويظهر صحة إعلان يسوع أنه الله (الفصل 7). ولدينا التقاء ثلاث مجموعات لا مثيل لها وغير مسبوقه من المعجزات التي تؤكد أن المسيح هو ما قال عن نفسه (الفصل 8). وهذا يصل بنا إلى الجزء الأخير: إن يسوع هو الله الواحد. وهذا هو موضوع الفصل التالي (انظر الفصل 9).

<p>✓ إعلانات المعجزة في اليهودية ✓ الأديان أخرى غير المسيحية ✓ إعلانات المعجزة حول بوذا ✓ المعجزات المعلنة بخصوص هاري كريشنا ✓ المعجزات المعلنة بشأن بليناس الحكيم (حوالي 98 م). ✓ المعجزات المعلنة بخصوص محمد ● فكرة أخيرة حول المعجزات والأديان غير المسيحية</p>	<p>المسائل الاثني عشر</p> <ol style="list-style-type: none"> 1. الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة 2. لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين 3. الله الواحد موجود 4. المعجزات ممكنة. 5. يمكن أن تأتي المعجزات لتأكيد رسالة من الله 6. العهد الجديد نص موثوق 7. أعلن يسوع المسيح في العهد الجديد أنه الله 8. إعلان يسوع أنه الله تأكد بمجموعة فريدة من المعجزات 9. وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد 10. كل ما أكده يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق 11. يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله 12. إذًا، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي
<p>ملخص الفصل</p> <p>إن المسيحية وحدها، هي التي تلبى المقياس الضروري للتأكيد الإعجازي عن الحق التي تقول به. قبل كل شيء، فالمسيح هو الأعظم والوحيد من الرؤساء الدينيين الذي لدينا بشأنه وثائق معاصرة موثقة عن حياته وتعاليمه. ثانياً، هو الوحيد الذي أعلن أنه الله. ثالثاً، المسيح وحده الذي يلبي معايير القيام بالمعجزة لتأكيد دعاويه الحق. وتتضمن هذه المعايير الحوادث الخارقة بشكل فعلي، والمتعددة، وذات السمة التنبؤية، والمرتبطة بإعلان الحق. بالإضافة إلى ذلك، فالعهد القديم، والذي يشير إلى المسيح، فالمسيح هو الوحيد الذي يلبي كل هذه المقاييس. و فقط المسيح الذي يعلن أنه أكثر من نبي. وبهذا، فالمسيح وحده من بين كل الرؤساء الدينيين، من أعلن أنه الله (انظر الفصل 7) بالتقاء ثلاث مجموعات من الأحداث الخارقة التي تؤكد ما قاله. وبهذا، فخلافاً لهيوم، أصحاب الشك، ليس ثمة تكافؤ في أي دعوى حقيقة منافسة لما أعلنه المسيح. وبالتالي، المسيح - والمسيح لوحده - الذي تأكد أنه الله القدير في الجسد. وباختصار، إن الدعوى المركزية في المسيحية هي حق، والدعاوي المعارضة لها هي باطل.</p>	<p>موجز الفصل: وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد.</p> <ul style="list-style-type: none"> ● مقياس تأكيد المعجزة ✓ 1. يجب أن تكون أحداث خارقة حقاً ✓ 2. يجب أن تجري معجزات متعددة ✓ 3. يجب أن تكون المعجزات مرتبطة بإعلان حق معين باسم الله ✓ 4. العنصر التنبؤي يؤكد الطبيعة الخارقة ✓ 5. يجب أن تكون المعجزات فريدة ● لم لا ينظر إلى الأحداث الخارقة في أديان أخرى أنها معجزات؟

9 إن يسوع هو الله الظاهر بالجسد

لقد رأينا أن الحق قابل لأنه يُعرف بشكل فعلي (الفصل 1). وأنه لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقاً (الفصل 2). وأن الله الواحد موجود (الفصل 3). والمعجزات ممكنة (الفصل 4). والمعجزات تأتي بالارتباط مع إعلان الحق، الذي يؤكد أن هذا الإعلان هو حق (الفصل 5). وأن وثائق العهد الجديد موثوقة تاريخياً (الفصل 6). وأن العهد الجديد شهد على أن يسوع لم يعلن فحسب أنه الله (الفصل 7)، بل أن إعلانه تبرهن عليه بإجراء مجموعة فريدة من المعجزات (الفصل 8). وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر في الجسد.

مقياس تأكيد المعجزة

ثمة معايير عديدة لقبول المعجزة (الفصل 5) واعتبارها تؤكد حقيقة الدعوى. وهذه المعايير هي ضمانات معقولة للتوثق من البرهان الإعجازي لرسالة من الله. وبدون تلبية هذه المعايير، فالدليل على ألوهية يسوع تتخفف بشكل كبير. في حين التدليل بها، يقدم برهاناً لا شك فيه.

1. يجب أن تكون أحداث خارقة حقاً

إن الأحداث يجب أن تكون خارقة بشكل فعلي. وليست أحداثاً شاذة، سحرية، أفعال صدفية، أو علاجات نفسية - جسدية تُعتبر معجزات (انظر الفصل 4).

أغلب معجزات يسوع كانت قطعية [خارج الشك المنطقي] بأصالتها. وحتى السحرة المحترفون يقرون أنه بدون المساعدات التقنية الدقيقة، ومنصات متقدمة (التي لم تكن بحوزة يسوع)، لا يمكن بأي وسيلة تزيف معجزات يسوع.¹⁷⁶

فمثلاً، كان ألعازر قد صار له ميتاً أربعة أيام وبدأ جسده يفسد قبل أن يقيمه يسوع من الموت ثانيةً (يوحنا 11: 39). وسير يسوع على الماء كان معجزةً واضحةً. وبالنظر إلى الأمواج، والعاصفة، فبطرس بدأ يغرق بالماء (متى 14: 22 - 33)، ولم يكن يسوع قرب الشاطئ أو المياه الضحلة بحيث يمكن أن يزيّف السير. وكذلك، شفاء مولود أعمى أمر خارق. ويأتي الدليل على الطبيعة الخارقة لما جرى من اعتراف أبوي الرجل الأعمى، وكانت السلطات تقدر على رفضها، ولكنها حاولت أن تقاومها (يوحنا 9). وبالمثل، فتحويل الماء إلى خمرٍ لهو معجزة حقيقية (يوحنا 2)، كما إطعام الـ (5000) ببضع أرغفة وسمكتين (يوحنا 6). وفي أحيان كان

¹⁷⁶ Illusionist Brock Gill, *The Miracles of Jesus* (BBC Worldwide: 2006).

يسوع يقوم بشفاء جماعي (متى 8: 16). وكذلك شفي مريضاً بمرض مستعصٍ (متى 8). وإن نظرنا إلى أن الله موجود (الفصل 3)، ودقة ما جاء في الإنجيل (الفصل 6)، فيظهر لنا أن أعمال يسوع ليست بوسائل بشرية، فهي كانت فريدة، وغير عادية، ومتعددة باسم الله الواحد.

2. يجب أن تكون معجزات متعددة

يجب أن يكون ثمة على الأقل معجزتان أو أكثر. وهذا قائم على المبدأ الكتابي الذي ينص: «عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهُودٍ» (التثنية 17: 6) وهو شرط ضروري في القضايا الهامة. والمعجزات هي شاهد خارق. وتسجل الأناجيل أكثر من خمسين معجزة قام بها يسوع. وبعضها تشمل أشخاص كثير.

وهذه المعجزات الكثيرة والمختلفة تضع تأكيد إعلان المسيح أنه الله خارج الشك المنطقي. وتضع دعاوي المسيح وتأكيداته في فئة خاصة بها، وليس لها مثيل من جانب أي شخص آخر معروف في التاريخ.

3. يجب أن تكون المعجزات مرتبطة بإعلان حق معين باسم الله

ما لم يتم ربط الدعوى الحق بمعجزة، فليس ثمة من وسيلة لمعرفة المعجزة إن كانت تأكيداً للدعوى الحق. وقد رأى نيقوديموس، رَيْيسُ الْيَهُودِ، هذه الرابطة، فقال ليسوع: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا، لِأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ» (يوحنا 3: 2). وقد أشار يسوع إلى الرابطة بين ما يقوله على أنه المسيح وبين معجزاته، فقال: «وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَابْنَ الْإِنْسَانَ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا. حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَقْلُوجِ: فُمْ اِحْمِلْ فِرَاسَتَكَ وَادْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!» (متى 9: 6). وقد أكد يسوع على الارتباط بين معجزات وإعلانه أنه المسيح عندما أتى إليه تلميذان ليوحنا وسألاه إن كان هو المسيح: «فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا: «ادْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوْحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ: الْعُمِيُّ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشِّرُونَ» (متى 11: 4 - 5). كما قال بطرس، تلميذ يسوع، عن معلمه: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرَّهَنْ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ بِقُوَاتٍ وَعَجَائِبِ وَأَيَاتٍ صَنَعَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ» (أعمال 2: 22). وأشار كاتب العبرانيين إلى العلاقة بين الرسالة والمعجزة، عندما كتب: «فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلَاصًا هَذَا مَقْدَارُهُ؟ قَدْ ابْتَدَأَ الرَّبُّ بِالتَّكَلُّمِ بِهِ، ثُمَّ تَنَبَّتَ لَنَا مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا، شَاهِدًا اللَّهُ مَعَهُمْ بِآيَاتٍ وَعَجَائِبِ وَقُوَاتٍ مُنْتَوَعَةٍ وَمَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، حَسَبَ إِرَادَتِهِ» (العبرانيين 2: 3 - 4). وبالفعل، بعد قيامته، فإن الآية الكبرى هي أنه كان ابن الله (متى 12: 39 - 40)، وقال يوحنا عن يسوع: «وَأَيَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلَامِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ...» (يوحنا 20: 30 - 31). وبهذا، فإن خدمة يسوع المعجزية كانت مرتبطة مع إعلانه أنه الله.

متى	مرقس	لوقا	يوحنا	1	2
				1	11: 1 - 2
				2	46: 4
		30: 4		3	
		6: 5		4	
	23: 1	33: 4		5	
14: 8	30: 1	38: 4		6	

شفاء مرضى كثيرين.	7		40 :4	32 :1	16 :8
شفاء أبرص.	8		12 :5	40 :1	2 :8
شفاء مشلول.	9		18 :5	3 :2	2 :9
شفاء معاق في بيت حسدا.	10	9 :5			
شفاء يد رجل مشلولة.	11		6 :6	1 :3	9 :12
شفاء أناس كثير.	12			10 :3	15 :12
شفاء خادم قائد المئة.	13			1 :7	5 :8
إقامة ابن أرملة من الموت.	14		11 :7		
طرد شيطان من رجل أعمى.	15				22 :12
تهدئة عاصفة في البحر.	16		22 :8	35 :4	23 :8
طرد شياطين إلى قطيع خنازير.	17		26 :8	1 :5	28 :8
إقامة ابنة الوالي من الموت.	18		49 - 40 :8	35 - 22 :5	23 - 18 :9
شفاء نازفة الدم.	19		43 :8	25 :5	20 :9
شفاء أعميين.	20				27 :9
طرد شيطان من رجل أصم.	21				32 :9
إطعام الـ 5000.	22	6 :1	10 :9	30 :6	13 :14
السير على البحر.	23	19 :6		48 :6	25 :14
شفاء أشخاص كثير.	24			56 :6	36 :14
شفاء ابنة رجل أعمى.	25			25 :7	21 :15
شفاء أصم أخرس.	26			31 :7	
إطعام الـ 4000.	27			1 :8	32 :15
شفاء مشلول أعمى في بيت حسدا.	28			22 :8	
التجلي.	29		36 - 28 :9	8 - 2 :9	10 - 8 :17
شفاء ولد مصروع.	30		38 :9	17 :9	14 :17
ضريبة الهيكل في فم السمكة.	31				24 :17
شفاء رجل مولود أعمى.	32	1 :9			
شفاء رجل أعمى أصم فيه شيطان.	33		14 :11		
شفاء امرأة معاقة.	34		11 :13		
شفاء رجل به داء الاستسقاء.	35		5 :14		
إقامة لعازر.	36	43 :11			
شفاء عشرة برص.	37		11 :17		
شفاء أعميين.	38		35 :18	46 :10	30 :20
ذبول شجرة التين.	39			12 :11	18 :21
إعادة أذن الخادم.	40		51 :22		
قيامة يسوع من الأموات.	41	20	24	8 - 1 :16	28
دحرجة الملاك للحجر من القبر.	42				7 - 1 :28
ظهور الملائكة لمن كانوا قرب القبر.	43		8 - 4 :24	7 - 5 :16	8 - 5 :28
ظهور ملائكة لمريم.	44	13 - 11 :20			
ظهور يسوع لمريم المجدلية.	45	17 - 14 :20		9 :16	
ظهور يسوع للنساء.	46				10 - 9 :28
ظهور يسوع لرجلين في الطريق إلى عمواس.	47		35 - 13 :24	12 :16	
ظهور يسوع للرسل العشرة.	48	23 - 19 :20			
ظهور يسوع للأحد عشر رسولاً.	49	31 - 26 :20	48 - 26 :24	18 - 14 :16	
ظهور يسوع للرسل السبعة.	50	25 - 1 :21			
التقاط كثرة كبيرة من السمك.	51	6 :21			
ظهور يسوع لكل الرسل.	52			18 - 15 :16	20 - 16 :28
ظهور يسوع للأخوة الـ 500.	53		5 :15	1 كورنثوس	
ظهور يسوع ليعقوب.	54		7 :15	1 كورنثوس	
ظهور يسوع لكل الرسل.	55		5 - 3 :1	سفر الأعمال	
صعود يسوع إلى السماء.	56		9 - 6 :1	سفر الأعمال	

4. العنصر التنبؤي يؤكد الطبيعة الخارقة

إن التنبؤات التي ترتبط مع دعاوي الحق تقدم دليلاً إضافياً على أنها من طبيعة فائقة. وهي تزيل اتهامات أن المعجزة ليست مرتبطة بالحقيقة المعلنة. وإلا يمكن أن يظهر أنها حصلت مصادفةً. فعلى سبيل المثال، إن كان معلم مزيف يعلم على ضفاف نهر الجليل في الوقت الذي كان فيه يسوع يسير على الماء، فهذا لا يجب أن يؤخذ برهاناً على صحة آراء المعلم المزيف. إن آيات يسوع مرتبطة بعظات يسوع؛ وتأكيداته الإلهي مرتبط بوحيه الإلهي.

5. يجب أن تكون المعجزات فريدة

من أجل أن تأتي المعجزات تأكيداً خارقاً على صحة الدعوى، فيجب أن تكون هذه المعجزات لا مثيل لها في أديان أخرى ذات دعاوي معارضة. وكما حاجج ديفيد هيوم عن صواب،¹⁷⁷ أن أحداثاً غير عادية مرتبطة مع إعلانات متعارضة تلغي بعضها. وبالتالي، أن ديناً واحداً يجب أن يكون مؤكداً بشكل فريد على أنه الدين الحق، أكثر من الأديان الأخرى المعارضة التي لا يمكن أن يكون لها نفس النوعية من المعجزات المدعاة بالارتباط مع دعاوي حقيقتها.

إن معجزات المسيح التي أوردتها الأناجيل فريدة. وهي ليست فقط فائقة الطبيعة، ومتعددة، وتنبؤية، ولكن متصلة بدعاويه عن الحقيقة. والأخبار عن تلك المعجزات هي عن معاصرين، وشهود عيان، فصارت أساس ما جاء في الأناجيل. ولا يوجد قط في أي دين مثل هذه الالتقاء الفريد للدليل. وبالفعل، كما ذكر (في الفصل 8) أنه كان يوجد ثلاث مجموعات من التقاء المعجزات في المسيح التي تجعله فريداً. فهو أتم نبوءات خارقة عديدة كانت متعلقة به قبل مئات السنين مسبقاً. وعاش بدون خطيئة وحياة فائقة الطبيعة، وقام بأكثر من 50 معجزة مدونة (انظر أعلاه). وهو تنبأ عن قيامته من الأموات، وحقق نبوءاته. وفي الواقع لا يوجد أي قائد ديني آخر سُجل أنه قام بمثل ذلك. من هنا، جواباً على تحدي هيوم، فنحن نوافق أن الدعاوي عن الحقيقة لأديان متنافسة إن كانت تحمل نفس الأفكار، هذا يلغي الدليل. وفي كل حال، بما أن في الواقع العملي، لا توجد دعاوي للحقيقة منافسة للمسيحية لها تأكيد فائق، فإن المسيحية - والمسيحية لوحدها - بدعوة الحق الأساسية (حول ألوهية المسيح) هي الدين المبرهن عليه بشكل معجز.

لم لا ينظر إلى الأحداث الخارقة في أديان أخرى أنها معجزات؟

من المتعارف عليه وجود قصص عن معجزات في أديان أخرى. وهذا ينطبق على اليهودية، والإسلام، وحتى على أديان غير توحيدية. وبالتالي، يجب فحص هذه الدعاوي للنظر أن كانت مشابهة لدعوى المسيحية التي وردت أعلاه بخصوص البرهان فوق الطبيعي على إعلانات المسيح أنه الله.

¹⁷⁷ David Hume, *An Enquiry Concerning Human Understanding*, Book X.

إعلانات المعجزة في اليهودية

هنا يجب أن نميز بين اليهودية الكتابية، واليهودية ما بعد الكتابية. اليهودية الكتابية هي الأب الكتابي للمسيحية بما أن المسيح أعلن أنه مسيح الله اليهودي، وهذا الإعلان تثبت بشكل معجز (انظر الفصلين 7 و8). وحتى يسوع أعلن: «لَأَنَّ الْخَلَّاصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ» (يوحنا 4: 22)، وأنه قد أتى ليتمم الشريعة والأنبياء (لوقا 24: 27). وبالفعل، حقق يسوع ما يقارب من مئة نبوءة في العهد القديم حول المسيح (انظر الفصل 8). وفي العهد الجديد يوجد بشكل حرفي مئات الاقتباسات، والاستشهادات، والإشارات إلى العهد القديم، التي تظهر أن لها جذوراً في اليهودية. وبالتالي، ليس من تعارض بين ما تقول به اليهودية الكتابية والمسيحية بما أن المسيحية تحقق النبوءات الكتابية اليهودية حول المسيح.

اليهودية بعد الكتابية، ترفض يسوع أنه مسيحتها، وتتعارض بشكل مباشر مع دعاوي يسوع أنه المسيح الذي أنبأ عنه العهد القديم. وبكل حال، فليس لها معجزات تدعم بها اعتقادها أن يسوع ليس المسيح. وعلاوة على ذلك، لم يظهر على نطاق واسع شخصية مركزية في اليهودية بعد الكتابية (بعد القرن الأول)، مثل موسى، التي أعلن أنه نبي الله وقام بمعجزات لتأييد هذا الإعلان. وبالطبع، ظهر أدياء مسحاء كذبة (انظر: سفر الأعمال 5: 36 - 17)، ولكن لم يقدم أي واحد منهم معجزات معادلة لما قام به يسوع، ولم يحصل أي منهم على اعتراف واسع في اليهودية. وخلافاً لهؤلاء، ليس ثمة في اليهودية بعد الكتابية أي شيء فريد تقدمه يمكن حتى مقارنته بعقيدة المسيحية.

ويقدم الريبون حجة مفادها أن يوسيفوس يسجل في كتابه «الحرب اليهودية» (المكتوب 75 - 79 م) معجزات مزعومة حصلت قبل ذلك بفترة وجيزة من عشرة إلى خمسة عشرة سنة (حوالي 66 م)، وإحدها ساطعة كضوء النهار في الثالثة صباحاً: «عن بقرة ولدت حملاً». وأضاف يوسيفوس: «لقد كنت سأرفض هذه القصة باعتبارها تلفيق، لولا أن أكدها شهود عيان، وقد أعقبتها كوراث تحمل دلالات». ¹⁷⁸ وبكل حال، خلافاً للمعجزات الكتابية (1) لا يوجد تأكيد على قصة يوسيفوس من مصدر آخر موثوق؛ (2) ولا يوجد أي دعوى حق خلاصية مرتبطة بالقصة؛ و(3) وخلافاً لقصة ولادة يسوع الإنسان من عذراء بشر، فإن هذه القصة تعارض الترتيب الإلهي «لَتُخْرَجَ الْأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجَنَسِهَا» (التكوين 1: 24).

باختصار، فهذا يتعارض مع طبيعة المعجزات الحقيقية، والتي تأتي ببساطة من أحداث وراء الطبيعة يقوم بها شخص ما، ورغم ذلك، تنتج شيئاً يتناسب مع الطبيعة. ¹⁷⁹ فمثلاً، تحويل يسوع الماء إلى خمر وتكثيره الأرغفة، ولكن الطبيعة تقوم بذلك في كل الأوقات ولكن ببطء. وما قام به يسوع هو تسريع العملية الطبيعية. كما لاحظ لويس بخصوص المعجزات الحقيقية: «ليست أي منها معزولة أو شاذة: كل واحدة منها تحمل توقيع الله الذي نعرف من خلال الضمير ومن الطبيعة. وتشهد طرقها على صحتها». ¹⁸⁰

¹⁷⁸ Robert Price, ed., *The Empty Tomb*, 174.

¹⁷⁹ C. S. Lewis on this point of how true miracles “fit” with nature (*Miracles*, chapter 15).

¹⁸⁰ *Ibid.*, 140.

الأديان أخرى غير المسيحية

والعديد من الأديان غير التوحيدية، الأخرى غير الإسلام (انظر فيما بعد)، تدعي أن لها معجزات،¹⁸¹ ولكنها لا توازي مع ما في المسيحية. فلا كونفوشيوس (551 - 479 ق. م) أو بوذا (563 - 483 ق. م.) ادعى أن نبي من الله. وبقي بوذا لأدرياً. فهو أعلن فقط عن الاستنارة، وكذلك أعلن كونفوشيوس عن الحكمة. ولم يشجع لاوتسو (604 - 531 ق. م.) العجائب.¹⁸² ولا يحمل أي واحد منهم الرؤيا التوحيدية، وبهذا، بما أنه ليست ثمة أحداث فائقة للطبيعة فعلياً ممكنة في هذه العقائد. و فقط، إن كان الكائن الأعلى موجوداً، فهو يتدخل في العالم بشكل فائق (الفصل 4). وبالتالي، فنتيجة لطبيعتها هذه العقائد ليس ثمة معجزات حقيقية موجودة. وبهذا، لا توجد إمكانية للمصادقة الإلهية. وعلاوة على ذلك، بما أن الدليل على التوحيد هو متين (انظر الفصل 3)، فهذا يزيل تلقائياً أن الأديان غير التوحيدية مرشحة لأن تكون ديناً حقاً.

ومع ذلك، فكثير من هذه الأديان لها أفعال شفاء وعجائب، رغم أن مصدرها المزعوم هو الإله الواحدي الوجود أو الشركي. وبكل حال، كما سنرى، فهي لا تُقارن مع الإعلان المسيحي على مستويات مختلفة.¹⁸³

إعلانات المعجزة حول بوذا

ثمة دعاوي متأخرة أن بوذا قام بمعجزات، ويظهر على هذه الدعاوي علامات أنها خرافة لعدة أسباب: أولاً، هذه الروايات متأخرة وليست روايات معاصرين. ثانياً، إن البوذية ليست ديانة توحيدية، ووفق طبيعتها لا تقبل الأعمال الخارقة لأنها ترفض الله الخارق للطبيعة. ثالثاً، لا تحوز هذه المعجزات على عنصر تنبؤي مرتبط بها. رابعاً، ليست مرتبطة بأي دعاوي حق أنها من نبي لله. وأخيراً، هي متعارضة مع إعلانات البوذية نفسها. وكما لاحظ لويس: «ما هو الأمر الأكثر غرابة أن ذاك الذي أتى ليعلمنا أن الطبيعة وهمٌّ وأننا يجب أن نهرب منها، سينشغل بأن يقدم أثراً على مستوى الطبيعة - ذاك الذي أتى لإيقاظنا من الكابوس سيضيف شيئاً إلى الكابوس».¹⁸⁴

المعجزات المعلنة بخصوص هاري كريشنا

أحد أكبر الرؤساء الدينيين في العالم الذي نُسبت إليه معجزات، ولم يزعم في أي منها أنه أكثر من نبي. وليس فيها إعلان إنه الله في لحم بشري. فهذا أمر فريد في المسيحية. وبكل حال، فإن بعض أشكال الهندوسية، مثل هاري كريشان، قالت إن كريشنا كان تجسيدا لله. ويفتقر هذا القول لجملة أشياء فريدة بالمسيحية: (1) إن كريشنا لم يكن تجسيدا لله الحقيقي - الله الواحد. (2) لا يوجد أي روايات عن معجزات متعددة قام بها كريشنا

¹⁸¹ James Ferguson, *The Religions of the Roman Empire*. Also, Howard Clark Kee, *Miracle in the Early Christian World*.

¹⁸² Lao Tzu, *Tao Teh King*, 89.

¹⁸³ انظر المقالات الممتازة:

Gary Habermas, "Resurrection Claims in Non-Christian Religions," *Religious Studies* 25 (1989); 167- 177 and chapter 12 by David Clark in "Miracles in World Religions" in R. Douglas Gievet, ed., *In Defense of Miracles*.

¹⁸⁴ C. S. Lewis, *Miracles*, 138.

لتأييد مثل هذه الدعوى. (3) ليس ثمة نبوءات محددة متعددة قديمة قام كريشنا بتحقيقها. (4) لم يعش كريشنا حياة خالية من الخطيئة. (5) لم يقم كريشنا بالتنبؤ وتحقيق ذلك عن قيامته الجسدية من بين الأموات كما فعل المسيح. وبهذا فليس ثمة من مقارنة عملياً مع هذه الإعلانات والمصادقة بخصوص المسيح. وإعلانات «المعجزة» الهندوسية هذه لا يمكن أن تكون حقاً، أي أنها فعل خارق لله الواحد (انظر الفصل 4)، بما أن هذه الديانة لا تؤمن بمثل هذه الإله. بالفعل، إن كان الله الواحد موجوداً، كما ظهر سابقاً (الفصل 3)، فكلام الهندوسية يصبح مجرداً من الأهلية بشكل مباشر. لأن دعوتها الرئيسية عن الله هي دعوى باطلة، ولهذا لا يمكن أن تكون ديناً حقاً. بل أن الهندوسية ليس لها الحقيقة عن الله، فضلاً عن الأشياء المتعلقة به.

المعجزات المعلنة بشأن بليناس الحكيم (حوالي 98 م)

يعتقد البعض أن بليناس الحكيم أعلن أنه ابن الله وأنه كان لديه قدرة القيام بمعجزات برهاناً على ما يقوله. ويسجل فيلاستراتوس في كتابه: «حياة بليناس» قصص معجزات بعد الموت، بما فيها ظهورات بليناس الحكيم وتأليهه (تمجيده). ولكن عندما يتم فحص الدليل بعناية يظهر أن ذلك لا يؤيد هذه الدعوى.¹⁸⁵

أولاً، إن سيرة بليناس التي كتبها فيلاستراتوس تنتهي بموته. وبينما سير يسوع لا تنتهي بموته؛ بل تُختم بقيامته (متى 28؛ مرقس 16؛ لوقا 24؛ يوحنا 20 - 21).

ثانياً، لا يوجد أي شيء فائق للطبيعة في سيرة حياة بليناس، لا في دعاويه للألوهية أو المعجزات التي قام بها للتدليل على مثل هذا إعلان. وقصص معجزات ما بعد الموت ليست جزءاً من سيرته. بل تُسمى «قصصاً» ببساطة من جانب فيلاستراتوس: كاتب سيرته. وفي الواقع هي أساطير متأخرة.

ثالثاً، إن كتاب فيلاستراتوس هو المصدر الوحيد الموجود عن حياته. وبالتالي، فموثوقية هذه الرواية ليست مؤكدة. أما في حالة يسوع، فلدينا روايات متعددة لشهود عيان معاصرين لحياته، وموته، وقيامته.

رابعاً، المصدر المزعوم لهذه القصص، هو داميس، الذي يرجح أنه لم يكن شخصاً حقيقياً، ولكن اختلق كوسيلة أدبية. وقد قال جميس فرجسون أن «إن فيلاستراتوس صرح أنه اكتشف وثيقة تعود لشخص يُدعى داميس الذي هو مصدره، لكن مثل هذه الاكتشافات هي مخزن بضائع القصص الرومانسية التاريخية، ولا يمكن أن نضع ثقتنا على داميس».¹⁸⁶ وبكل حال، هو يزعم فيلاستراتوس أن داميس قد جاء من نينوى، المدينة التي لم تكن موجودة في عصره. ولا يوجد في أماكن أخرى أساس واقعي للقصص. وعلى العكس، فروايات الإنجيل عن يسوع تقدم دلائل تاريخية متنوعة قابلة للتحقق من دقتها (انظر الفصل 6).

خامساً، إن أسلوب الكتابة الذي أورده فيلاستراتوس كان أدباً شعبياً من الفترة المسماة «الرواية الرومانسية»، أو «الرواية الرومانسية الخيالية». ولا يجب أن يؤخذ حرفياً أو تاريخياً. إذ تتكشف الحكمة عن مواقف مصطنعة؛ وهي تحتوي على تفاصيل غريبة وتصاوير لأعمال فنية، كما تحتوي على خطابات مطولة لشخص فيها. ومن ناحية الأخبار، فالرواية تحتوي على عدم دقة جغرافية وتاريخية. مثلاً، نينوى وبابل اللتان

¹⁸⁵ Norman L. Geisler, "Appolonius of Tyana," in *BECA*.

¹⁸⁶ J. Ferguson, *Religions of the Roman Empire*, 182.

كانتا قد دُمرتا قبل ذلك بـ 300 سنة. كما قيل إنّ جبال القوقاز تقع في المنطقة الفاصلة بين الهند وبابل، وهو الأمر الخاطئ. كما أن خطابات فيلاستراتوس موضوعة على لسان بليناس بطريقة لا تتناسب مع عصر بليناس (من كتاب: «سير السفستانيين»).

سادساً، لم يكن فيلاستراتوس شاهد عيان، ولكن كان مكلفاً بكتابة هذه العمل من جانب جوليا دومنا، زوجة الإمبراطور الروماني سيبتيموس، وبعد موت بليناس بـ 120 سنة. وبعد أن ازدادت الأساطير. وخلافاً للأناجيل، ورسائل بولس المتفق عليها، التي هي كثيرة، ومروية من طرف شهود عيان، ومعاصرين للروايات، ومكتوبة بعد عقود قليلة عن الأحداث (والتي لا تترك وقتاً كافياً لتطور الأساطير).

سابعاً، إن الدافع المحتمل لنشر عمل فيلاستراتوس كان الرغبة في مواجهة تصاعد تأثير يسوع. وقد قال أحد المؤرخين: «لقد كانت (جوليا دومنا) هي التي شجعت فيلاستراتوس على جمع المادة عن حياة بليناس من طوانه لكي تكون ضربة مضادة ليسوع».¹⁸⁷ وقد قال آخر، بما أنها كانت على وشك أن تصبح كبيرة كهنة الوثنية الهلنستية، «فإنها أدركت الحاجة لإيجاد شخصية تاريخية ملائمة تكون دعاية مضادة لهدم الأناجيل، وبهذا، كانت تسعى على الخصوص إلى إحياء ذكرى بطل في سير الأبطال الوثنيين، بليناس من طوانه».

ثامناً، إن قصص المعجزات المتصلة ببليناس متناقضة. بعضها تقول إنه مات في أفسس، وأخرى في ليندوس أو في كريت، وأنه ظهر لاحقاً. وظهر واحد سُجل في فيلاستراتوس. وهذا الظهور كان لرجل نائم، في رؤية بعد 200 سنة من حياة بليناس (273 م). وقال آخرون أنه لم يمت بل تم تأليهه لأنه اختفى عن الأنظار.

وأخيراً، ثمة اختلافات هامة بخصوص ما يُقال عن بليناس الذي تم تأليهه، وبين يسوع الذي كان الألوهية نفسها. إن تأليه بليناس معروف على أنه تمجيد، وهي عملية يصبح فيه الإنسان إلهاً. وفي حين أن تجسد يسوع عملية صار فيها الله بشراً (يوحنا 1: 1، 14؛ 1 تيموثاوس 3: 16). وإضافة لذلك، فإن مفهوم «الله» مختلف. فالمسيح كان الله بمعنى الواحدي. بينما الدعوى بشأن بليناس تجعله إلهاً في معنى وثني.

والخلاصة، لا يوجد من مقارنة بين بليناس وبين الإعلانات عن المسيح. فأولاً، ليس ثمة دعاوي أنه الله الواحد. ثانياً، ليس ثمة معجزات معاصرة متعددة تؤكد هذه الدعوى عن بليناس. وثالثاً، ليس ثمة نبوءات مرتبطة بهذه الدعوى. وأخيراً، هناك ما يدل على الأصل الأسطوري للقصة التي لدينا عن بليناس.

المعجزات المعلنة لنبي الإسلام محمد

إن أقرب منافس لدعاوي المسيحية - مقارنةً بأي شخصية دينية رئيسية - نجده في الإسلام. إذ أعلن المسلمون أن محمداً نبياً من الله، وقالوا بوجود أحداث فائقة الطبيعة تؤكد هذا. وبالتالي، من الضروري فحص هذه الدعوى. ونحن لا نجد في القرآن أن محمداً قدم قط معجزات برهاناً على أنه نبي. وحتى عندما تحده الكفار للقيام بمعجزة (آل عمران 3: 181 - 84). ومع ذلك نجد أن قصص معجزاته تملأ الكتب الإسلامية.

¹⁸⁷ J. Ferguson, *Religions of the Roman Empire*, 51.

وهذه المعجزات المنسوبة لنبي الإسلام محمد تقع في ثلاث فئات رئيسية: تلك التي سجلها القرآن، وتلك النبوءات الفائقة الطبيعة المزعومة لنبي الإسلام محمد في القرآن، وتلك الموجودة في كتب الحديث.

الإعلانات العامة عن المعجزات

يورد مسلمون كثيرون نص «وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبغني نفاقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية» (الأنعام 6: 35) ليقولوا إن نبي الإسلام محمد كان قادراً على أن يأتي بآية. ولكن، يظهر التحليل الدقيق أن هذا النص لا يدعم إعلان أنه كان قادراً على القيام بمعجزات. أولاً، فعبارة «فإن استطعت...» لا تفيد معنى أن النبي محمد كان قادراً. ثانياً، إنه حتى الآية تتضمن أنه ما كان بوسعها أن يأتي بمعجزات. وإلا كيف نفسر أنه رفض أن يقوم بالمعجزات؟ فلو أمكنه أن يقوم بمعجزات، لقدرة أن يكف عنه إعراضهم. وعلاوة على هذا، رفض نبي الإسلام محمد أن يقوم بمعجزات عندما كان يُطلب منه ذلك، وما كان يقدمه هو «الوحي» آية على أنه من الله.¹⁸⁸ (انظر أدناه).

الدعوى عن انشقاق القمر

يقول الكثير من المسلمين إن القرآن (القمر 54: 1 - 2) أشار إلى انشقاق القمر بأمر نبي الإسلام محمد، إذ بينما كان نبي الإسلام محمد أمام الكفار، انقسم القمر إلى جزئين كما بينت الآية: «أفتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يُعرضوا ويُقولوا سحرٌ مُستمرٌ». وهنا لدينا مجدداً مجموعة من الصعوبات مع هذا التفسير. أولاً، لم يرد ذكر نبي الإسلام محمد في النص. ثانياً، القرآن لا يسمي ذلك «معجزة» فعلية كما وردت، بل يشير إلى «آية». ثالثاً، لو كانت معجزة، لكان هذا النص متعارضاً مع نصوص أخرى أعلنها نبي الإسلام محمد أنه لم يعمل معجزات مثل هذه (آل عمران 3: 181 - 184). رابعاً، هذا النص هو أبكر من أي نص آخر طلب فيه الكفار معجزة. خامساً، أن آية كونية مثل ذلك ستكون مرئية على مستوى العالم، ولكن ليس دليل على أنها حصلت. سادساً، وحتى بعض العلماء المسلمين الآخرين يقولون إنها تتعلق بالبعث يوم القيامة. إذ يؤكدون على أن «الساعة» تشير إلى نهاية العالم. وأن صيغة الماضي هنا هي للتعبير عن مستقبل متنبأ به.

الدعوى بصدد جمالية القرآن الفائقة

غالباً ما يحتاج المسلمون أن القرآن معجزة لأنه يتمتع بجمال أدبي فريد. وبكل حال، فهذه الحجة تخفق في البرهان لعدة أسباب. أولاً، اللغة الجميلة ليست حدثاً خارقاً بشكل حقيقي. إذ لم يتم تعليق أي قانون طبيعي. ثانياً، إن الجمال ليس اختباراً للحق. إذ يمكن التعبير عن الحق بشكل أقل أناقة، ويمكن أن يُعبر عن الباطل بشكل رشيق. ثالثاً، وكون نبي الإسلام محمد لم يكن لديه تعليم رسمي، لا يعني أنه كان عاجزاً عن الكلام بعبارات جزمة. رابعاً، نبي الإسلام محمد لم يكتب فعلياً القرآن. بل تلاه شفويّاً، ولاحقاً تم كتابته وتحريره من جانب الخليفة الثالث للمسلمين، عثمان. خامساً، ولو أخذنا هذا المعيار فيجب أن نعتبر أعمال هوميروس وشكسبير

¹⁸⁸ بخصوص المعجزات الموجودة في الأحاديث، انظر كتاب محمد بن إسماعيل البخاري. وبالمناسبة، فالكثير من النقاط التي ترد في هذا القسم من كتابنا تستند إلى بحث غير منشور عن المعجزات الإسلامية، من تأليف:

أعمال مُوحاة بها. وأخيراً، ثمة أجزاء عديدة في القرآن ينقصها الجمال اللغوي (انظر: س. ج. بفاندر، «ميزان الحق»). ولكن لن نجد مسلماً يقول عن هذه الأجزاء أنها ليست وحيّاً من الله.¹⁸⁹

صعود نبي الإسلام محمد المزعوم للسماء

إن القصة المعروفة باسم الإسراء والمعراج: «الرحلة الليلية». ويعتقد كثير من المسلمين أن نبي الإسلام محمد بعد أن انتقل إلى القدس، صعد إلى السماء على ظهر دابة. وفي سورة الإسراء (17: 1)، نقرأ: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا». وتتوسع التقاليد الإسلامية بشرح هذه الآية، فتقول إن نبي الإسلام محمد صعد إلى سبع سموات برفقة جبريل، وأن كبار الشخصيات أُلقت عليه السلام (آدم، يوحنا، يسوع، يوسف، أخنوخ [إدريس]، هارون، موسى، وإبراهيم)، وهناك ساوم الله بخصوص فرض الصلاة خمسين مرة ونجح في جعلها خمس مرات.

ولا يوجد من سبب يجعل الآية متعلقة برحلة فعلية إلى السماء؛ وحتى الكثير من العلماء المسلمين لا يعتبرونها كذلك. فالمترجم البارز للقرآن، عبد الله يوسف علي، علق على هذه الآية، فقال: «أنها تبدأ مع رؤية صوفية لصعود النبي الأكرم؛ وأنه انتقل من المسجد المبارك (في مكة) إلى المسجد الأقصى (في القدس) ليلاً ورأى آيات الله». وحتى حسب أقدم الأحاديث الإسلامية عن زوجة النبي محمد، عائشة، التي قالت: «ما فقدت جسد رسول الله ولكن أسري بروحه».¹⁹⁰ وبالإضافة إلى ذلك، حتى لو فهمنا هذه الآية أنها معجزة مدعاة، فليس من دليل موجود يبرهن على موثوقيتها. فهي تفتقر إلى قابلية الاختبار، وليس لها قيمة البرهان.

أخيراً، وفق تعريف الإسلام الخاص لتأكيد المعجزة، فهذه القصة ليست لها وزن دفاعي. فحسب علماء مسلمين أنفسهم، فالمعجزة تؤكد على صدق النبي (1) وهي فعل الله، ولا يمكن أن يقوم به مخلوق، (2) يجب أن تكون خلاف المسار الاعتيادي للأشياء في صنفها، (3) تهدف إلى البرهنة على صدق هذا النبي، (4) يسبقها الإعلان عن المعجزة القادمة، (5) تسير وفق نفس النمط التي أعلن عنها، (6) تجري فقط على يدي النبي، (7) لا يجب أن تنكر نبوءة محمد، (8) مصحوبة بتحدي الإتيان بمثلها، و(9) لا يمكن أن يقوم بمثلها أي شخص حاضر. وبكل حال، ليس لدينا البرهان في الآية على «معجزة الإسراء المعراج»، أو حتى ما يلبي الحد الأدنى من هذه الشروط.

الدعوى بالانتصار الخارق في بدر

معجزة أخرى تنسب إلى محمد هو الانتصار في بدر (آل عمران 3: 123؛ الأنفال 8: 17). وفي سورة المائدة (5: 11) نقرأ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ». وحسب التفسير الإسلامية، فإن معجزات عدة حصلت هنا، وأهمها أن الله أرسل آلاف من الملائكة للمساعدة في القتال (ومن المعتقد أنه جرى معرفة هذه الملائكة

¹⁸⁹ see Geisler, *Answering Islam*, chapter 9.

¹⁹⁰ Ali Dashti, *Twenty-Three Years: A Study of the Prophetic Career of Muhammad*, 48–49.

بالعمائم التي كانت تلبسها) والإنقاذ العجائبي لمحمد من محاولة قتله على يد أحد المشركين. وتحكي إحدى الروايات كيف نثر محمد قبضة من التراب على جيش المكيين لكي تعمى أبصارهم ويفرون.

في الرد على دعوى هذه المعجزة يجب ملاحظة التالي. أولاً، أنه لأمر مشكوك فيه إن كل هذه الآيات تشير إلى نفس الحدث. وحتى أن كثيراً من العلماء المسلمين يعتقد أن سورة الأنفال (8) تتحدث عن حدث آخر ويجب أن تؤخذ على أن الله يلقي الرعب في قلوب أعداء نبي الإسلام محمد. ويرى البعض أن سورة المائدة (5) تشير إلى حدث آخر، على الأرجح محاولة اغتيال محمد¹⁹¹.

ثانياً، تذكر سورة آل عمران (3) معركة بدر فحسب، ولا تقول إنها معجزة. فهي بأفضل تقدير تظهر الحماية الإلهية لمحمد، ولا تتكلم عن حدث خارق. وكما أنها لا تتحدث عن معجزة تؤكد دعوي محمد النبوية بما أنها ليست دليلاً ينطبق عليه المقاييس التسعة للمعجزة.

ثالثاً، كما أشار نقاد عديدون، كان انتصار بدر آية على التأكيد الإلهي، فلماذا لا يكون الحدث اللاحق المتمثل في هزيمة أحد دليلاً على رفض الله. إذ كانت هزيمة أحد منكرة جداً، حيث جرحت شفتي محمد وكسرت اثنتين من أسنانه. وبالإضافة لذلك، تعرض قتلى مسلمون إلى تشويه الأعضاء في ساحة المعركة من العدو. وأحد أعداء نبي الإسلام محمد قطع أنوف وأذان القتلى كي يعمل منها سلسلة وقلادة. ولم ينظر المسلمون إلى ذلك على أنه دلالة على الغضب الإلهي.

أخيراً، لم يكن نبي الإسلام محمد أول قائد عسكري انتصر في معركة هامة على قوات أكبر منه. فحرب الست أيام الإسرائيلية - العربية سنة 1967 كانت واحدة من أكثر المعارك في التاريخ الحديث سرعةً وحسماً. ومع ذلك لا يعتبره أي من المسلمين أنها علامة على محاباة إلهية لإسرائيل ضد العرب (مصر).

الزعم بشق الصدر محمد

حسب الرواية الإسلامية، بعد ولادة محمد (أو قبل معراجه)، قام جبريل بشق صدر محمد. واخرج قلبه منه وتطهيره، ثم ملئه بالحكمة، وأعادته إلى صدر النبي مجدداً. ويستند هذا التفسير على النص القرآن «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ؟... وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ» (الشرح 94: 1 - 2، 8).

وبكل حال، فإن أكثر العلماء المسلمين المحافظين ينظرون إلى هذا النص على أنه يصف حالة الفلق التي عاشها محمد في السنوات المبكرة في مكة. ويقول عبد الله يوسف علي، مفسر القرآن: «إن الصدر هنا هو مستقر المعرفة رمزياً وأشد درجات شعور المحبة والعاطفة».

دعوى وجود نبوءات خارقة في القرآن

يقدم بعض المسلمين نبوءات في القرآن برهاناً على قيام محمد بمعجزات. ولكن الدليل ليس مقنعاً. فالسور التي يُستشهد بها، والتي يقولون إن محمداً تنبأ بانتصار جيوشه. ولكن ما قيل إنها تنبؤات خارقة وهي ليست من

¹⁹¹ [لا يحدد النص الإنجليزي رقم الآية المتعلقة بمحاولة اغتيال محمد. ربما كان يقصد ما جاء في تفسير سورة التوبة على الآية: «وَهُمْ أَيْمَانُ يَتَّالُونَ» (التوبة: 74) والمفسرون يقولون إنها تشير إلى محاولة اغتيال محمد أثناء العوده من غزوة تبوك سنة 9 هجرية/ 630 ميلادية].

هذا الصنف على الإطلاق. فمن هو القائد العسكري الديني الذي لن يقول لجيشه «أن الله معنا، وسننتصر. فقاتلوا». علاوة على ذلك، لنتذكر أن نبي الإسلام كان يُعتبر «نبي السيف»، حيث جاء عدد كبير من الناس أصبحوا مسلمين بعد أن تخلى نبي الإسلام عن الوسائل السلمية التي لم تنجح في نشر رسالته، وبالتالي لن يكون مدعاة للعجب أن يتنبأ بالنصر. وإن أخذنا بالاعتبار حماسة القوات الإسلامية، التي كان القرآن وعدها بالجنة (الحج: 22: 58 - 59؛ آل عمران 3: 157 - 158، 170 - 171)، فلن يكون مفاجئاً أنهم حققوا انتصارات. ولن يدعشنا أن كثيرين «أسلموا» إن أخذنا بعين الاعتبار أمر نبي الإسلام محمد: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (المائدة: 5: 33).

والنبوءة الوحيدة اللافتة للنظر في القرآن متعلقة بانتصار الروم على الجيش الفارسي في إسوس (الروم 30: 2 - 4)، إذ ورد في القرآن: «غَلَبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ». وبكل حال، يظهر الفحص الدقيق، أشياء عديدة تجعل من هذه النبوءة أقل إثارة، ولا تظهر خارقة:

(1) حسب المفسرين، فإن «بضعة سنين» تعني من ثلاث إلى تسع سنوات، ولكن البعض حاجج بأن النصر لم يأت قبل ثلاثة عشر إلى أربعة عشرة سنة من النبوءة. وقد كانت هزيمة الرومان سنة 614 أو 615 عندما استولى الفرس على القدس. والهجوم المضاد لم يبدأ قبل سنة 622، وتحقق النصر سنة 625. وهذا يعني أنه حدث بعد 10 - 11 سنة، وليس بقدر «بضعة» سنين كما قال محمد.

(2) وفي مصحف عثمان¹⁹²، والذي كان خالياً من التنقيط (وقد أضيف التنقيط بعد ذلك بكثير) فإن النبوءة جاءت: «غَلَبَتِ الرُّومُ... سَيَغْلِبُونَ...»، حيث فعل <غَلَبَتِ> بصيغة المبني للمفعول، وحسب الشارحين يشير النص إلى هزيمة الروم على يد الفرس سنة 5 قبل الهجرة، وفي قراءة ثانية ورد: «غَلَبَتِ الرُّومُ... سَيُغْلِبُونَ»: حيث الفعل الأول بصيغة الفاعل، وهي حسب التقاسير تحكي عن خبر وصل المسلمين بعد معركة بدر (2 هـ/ 624 م) بأن الروم انتصروا على الفرس وأن الآية تبشر المسلمين أن الروم سيلقون هزيمة على أيديهم، وبالتالي لدينا خلاف في الحثيات التاريخية وطبيعة الوعد (فهل سينتصر الروم أم سينهزمون؟) وخلاف آخر في تاريخ الآية، هل 5 قبل الهجرة أم 4 بعد الهجرة؟

(3) وحتى لو أزلنا هذا الغموض، فالنبوءة أقل إثارة لأنها لم تكن بعيدة المدى، وليس مما يدخل في نطاق غير العادي. إذا يمكن للمرء أن يتوقع أن الرومان المنهزمين كانوا سيقومون بهجوم مضاد لتحقيق النصر. والأمر يحتاج إلى بعض الانتباه في قراءة مسارات الأحداث للتنبؤ بمثل هذا الحدث. وفي أفضل الحالات، يمكن أن يكون تخميناً حقيقياً. ولا وجود أساس كافٍ لاعتبارها خارقة.

أخيراً، أن النبوءة الوحيدة المزعومة الموجودة في القرآن: «وَلَيَالٍ عَشْرٍ» (الفجر: 89: 2)، الذي يقول البعض أنها تتنبأ بعشرات سنوات على اضطهاد المسلمين الأوائل. ولكن هذا التفسير بعيد الاحتمال، بحيث أن عالم إسلامي كبير ومترجم القرآن، عبد الله يوسف علي قال: «وَلَيَالٍ عَشْرٍ تفهم بالعادة على أنها الليالي العشر

¹⁹² [قام المترجم بتعديل الفقرة رقم (2) لتوضيح أن القراءات المختلفة تحمل مضامين مختلفة].

الأولى لشهر ذي الحجة، في الوقت المقدس للحج».¹⁹³ وهنا ليس ثمة أي نبوءة قاطعة بشكل واضح بحيث تكون حجة للمستمع الذكي يقتنع أنها نبوءة مسبقة على حدث لاحق. وهذا الاستخدام للنبوءات عن المستقبل من جانب المسلمين يظهر إلى أي حد كانوا يجاهدون لإيجاد شيء خارق لتأييد القرآن.

إذاً، لا يوجد دليل على أن نبي الإسلام كان يحوز على موهبة خارقة في التنبؤ. والنبوءة المزعومة هي غامضة ومحل نقاش. ومن السهل أن يتم قراءة هذه المعاني بعد الحدث وليس قبله. ولو كان نبي الإسلام محمد يحوز على قدرة توقع المستقبل بشكل خارق للطبيعة، لكان بالتأكيد سيستعملها في سحق معارضيهِ. ولكن لم يقم قط بذلك، بل أنه صرح أنه لم يعمل معجزات كما كان عمل الأنبياء الذين قبله، بل ببساطة قدم القرآن على أنه معجزته الخاصة. بالإضافة إلى ذلك فمحمداً لم يقدم المعجزات المنسوبة له على أنها دليل نبوته. وعلى النقيض من ذلك، فإن يسوع، قدم مراراً قدرته على القيام بمعجزات برهاناً على أنه كان المسيح، ابن الله (انظر أعلاه).

المعجزات المدعاة في كتب الحديث

إن غالبية المعجزات المنسوبة لنبي الإسلام محمد ليس لها أساس في القرآن. وبالفعل، فنبي الإسلام محمد يرفض مراراً في القرآن القيام بمعجزات لتأكيد دعاويه النبوية، ويظهر أنه اعتبر القرآن معجزته الوحيدة. والغالبية العظمى من المعجزات المنسوبة له موجودة في كتب الحديث، التي يرى المسلمون إنها المصدر الثاني بعد القرآن مباشرة. وثمة مئات من قصص المعجزات هذه في كتب الحديث. وذكر بعضها سيوضح المسألة.

يخبرنا البخاري قصة معجزة شفاء رجل مكسورة لأحد الصحابة، عبْدُ اللهِ بنُ عَتِيك، الذي جرح لدى محاولة اغتيال أحد أعداء نبي الإسلام محمد. وتحكي مصادر عدة قصة نبي الإسلام محمد الذي تمكن بمعجزة أن يوفر الماء لعشرة آلاف من جنده في الحُدَيْبِيَّة، إذ وضع يده في إناء، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه. وكما توجد قصص مختلفة قام بها نبي الإسلام بتوفير الماء. ولدينا حالة تحويل الماء إلى حليب. وفي قصص مختلفة نجد أشجاراً كلمت نبي الإسلام، وحييته أو أفسحت له الطريق. في إحدى هذه القصص كان نبي الإسلام محمد يبحث عن مكان لقضاء الحاجة، فأنت شجرتان لتواريه، وابتعدتا إلى مكانهما بعد أن انتهى من الأمر. وفي إحدى روايته قال البخاري أن محمداً استند إلى شجرة، ولما غادر المكان شعرت الأشجار باشتياق له. ويوجد قصص عديدة عن ذئب وحتى جبال ألقت التحية على نبي الإسلام. وفي بعض القصص العجائبية ورد أنه أطمع عدداً كبيراً من الناس بقليل من الطعام. وأخبرنا أنس قصة إطعام نبي الإسلام محمد ما بين ثمانين إلى تسعين شخصاً ببضعة أرغفة من الشعير. وروى ابن سعد قصة امرأة دعت محمداً للغداء. فقام باصطحاب ألف شخص معه وهناك كثر الطعام القليل بحيث أطمع الجميع. وتروي كتب الأحاديث قصص معجزات نبي الإسلام بالتعامل مع أعدائه. فذات مرة قام بلعن أحد أعدائه فسقط حصان العدو على بطنه في أرض صلبة. ويقول سعد أن نبي الإسلام حوّل ذات مرة غصن شجرة إلى سيف معدني.

أسباب كثيرة لرفض المعجزات الواردة في كتب الحديث

¹⁹³ Ali Dashti, *Twenty Three Years: A Study of the Prophetic Career of Muhammad*, 1731, note 6109.

ثمة أسباب كثيرة تضع موثوقية هذه القصص موضع التساؤل. أولاً، إن مجموعات الحديث هذه، وكما هو متعارف عليه من جانب أغلب المسلمين، قد جُمعت بعد أجيال عدة عن الأحداث الأولى. وبالفعل، فأغلب قصص المعجزات المذكورة مرت عليها من مئة إلى مئتي سنة بعد الأحداث، وهذا يعني أن الكثير من الأساطير قد نمت حول القصص الأصلية. وهي تركز على قصص تناقلها الرواة شفويًا جيلاً بعد جيل مع الكثير من الزخرفة. وحتى القصص المقبولة من جانب المسلمين على أنها صحيحة، فلو أخذنا معيار الإسناد (سلسلة الرواة)، فسوف يظهر أنها تفتقد للمصداقية. وحتى أن هذه القصص لا ترجع إلى شهود عيان، بل لأجيال رواة عديدة، وغالباً ما تصل إلى مئات. ولهذا يطرح المستشرق الكبير جوزيف هورفيتس سؤالاً عن مصداقية الإسناد.

من الممكن بسهولة الإجابة على سؤال من هو أول من روى قصص المعجزات هذه لو تمكنا من النظر إلى الإسناد، أو سلسلة الشهود، على أنه أمر لا غبار عليه كما يفترض بنا أن نفعّل. وأنه بالخصوص لأمر مغرٍ عندما يرد خبر في مختلف الروايات المتشابهة أساساً... وبالعموم، لا يسمح لنا الإسناد أن نقرر إن كانت القصة مأخوذة من رواية شفوية أو منسوخة من تسجيلات محاضرات المعلمين.

وعلى ذلك، فالبخاري، الذي ينظر إليه على أنه أكثر جامعي الحديث موثوقية، أقرّ أنه جمع (300 ألف) حديث، واعتبر فقط (100 ألف) حديثاً صحيحاً. وبعد ذلك قلّص العدد إلى (7275) حديث، وبعد إزالة المكرر منها، صار العدد الفعلي (3000)، مما يعني أنه اعتبر أكثر من (295000) حديثاً غير صحيح!

وأكثر من ذلك، ليست أي من هذه القصص في القرآن. والواقع، هذه القصص تخالف بشكل كامل ما في القرآن، الذي يظهر كيف أن نبي الإسلام كان يرفض مراراً أن يقوم بمثل هذه المعجزات للكافرين (آل عمران 3: 181 - 184؛ النساء 4: 153؛ الأنعام 6: 8 - 9).

إضافة إلى هذا، فهذه المعجزات المزعومة تسير على نفس نسق معجزات المسيح في الكتب المنحولة التي جاءت بعد موته بقرن أو قرنين. فهي كانت زخرفات أسطورية لأناس كانوا بعيدين عن الأحداث الحقيقية. ولم تصدر من شهود عيان معاصرين للأحداث.

إضافة إلى هذا، أنه لا يوجد اتفاق عام بين المسلمين بشأن قائمة المعجزات في كتب الحديث. وبالفعل، فإن الغالبية العظمى من القصص في كتب الحديث مرفوضة من جانب معظم العلماء المسلمين على أنها ليست صحيحة. وكل فريق من العلماء يقبل مجموعة مختلفة من القصص عن الفريق الآخر.

وعلى ذلك، لا توجد مجموعة قانونية واحدة لهذه القصص مقبولة من كل المسلمين. ويرتب المسلمون مصداقية هذه المجموعات على الترتيب التنازلي التالي: صحيح البخاري (ت. 256 هجرية)؛ صحيح مسلم (ت. 261 هجرية)؛ سنن أبي دواد (ت. 275 هجرية)؛ سنن الترمذي (ت. 279 هجرية)؛ سنن النسائي (ت. 283 هجرية)؛ وسنن ابن ماجه (ت. 303 هجرية). وبجوار كتب الحديث هذه، ثمة سير هامة روت قصص هذه المعجزات. وأكثرها أهمية هي كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (123 هجرية)، وسيرة ابن إسحاق (ت. 151 هجرية)، وسيرة ابن هشام (ت. 218 هجرية). وكتب الحديث أعلاه رفضها الشيعة. ولكنهم مع بقية المسلمين يقبلون بالقرآن. وأخيراً، فإن الأمر الأكثر أهمية بصدد قصص المعجزات هذه أنها لا تنطبق عليها معايير

المعجزات التسعة المقبولة من جانب المسلمين لتأكيد معجزات النبي. وبالتالي، فحسب المعايير الإسلامية نفسها ليست لأي من هذه القصص من لها قيمة دفاعية في إظهار أن الإسلام هو الدين الحق.

وأخيراً، فإن أصل دعاوي المعجزات محل شك. وأنه لأمر معروف أن الإسلام اقتبس الكثير من العقائد والممارسات من أديان أخرى. وقد وثق علماء كثير هذا الأمر. وليس مدعاة للاستغراب أن المعجزات التي قال بها المسلمون جاءت رداً على ما قام به المدافعون المسيحيون الذين أظهروا رفعة يسوع على نبي الإسلام من خلال معجزات يسوع. وقد أشار أسقفان مسيحيان (أبو قرّة من أورفة وأرثاس من قيصرية) إلى أن قصص المعجزات في الأدب الإسلامي بدأت آنذاك تظهر. وقد لاحظ ساهاس: «يُفهم [من تحدي الأسقف] إن تعاليم محمد ربما كان لها مزايا، ولكنها هذا لا يمنح محمداً الأهلية كنبي بدون آيات خارقة. وإن كان بالإمكان البرهنة على هذه المعجزات، فمن المحتمل أن يتم قبوله كنبي». وبهذا لكي يتم منافسة الدعاوي المسيحية، كانت هناك حاجة باختلاق معجزات للرد على التحدي المسيحي. وعندها بدأت قصص معجزات نبي الإسلام محمد تظهر. ويلفت ساهاس النظر إلى: «أنه لأمر شيق أن عدة من هذه (قصص المعجزات) يظهر أنها جاءت رداً على مسيحيين أمثال أبي قرّة، وهذا القصص كانت تحمل تشابهاً مذهلاً مع معجزات يسوع الواردة في الأناجيل». وبالمثل، فخلال هذه الجدل بدأ المسلمون في تفسير بعض الإشارات في القرآن على أنها معجزات. وكل هذا يشير إلى النتيجة: إنه ينقص قصص معجزات نبي الإسلام محمد المصادقية.

ما يُعتقد أنها معجزة القرآن

يرى كثير من المسلمين أن القرآن هو معجزة نبي الإسلام محمد. ويؤكدون أن شخصاً أمياً كمحمد لا يمكن أن يأتي بكتاب مثله بتلك الجزالة الأدبية. وهذه الحجة تفشل في البرهنة على مرادها. فالرائعة الأدبية ليست معجزة. لأنه لم يتم تعطيل قانون طبيعي. ثانياً. نبي الإسلام محمد لم يكتب القرآن. بل تلقى الرسالة شفويًا. وتمت كتابته من جانب آخرين، وحرره الخليفة الثالث عثمان بعد موت محمد. ثالثاً، أظهر بعض النقاد أن القرآن ليس قطعة أدبية، بل يحتوي على جملة مخالفات قواعديّة. رابعاً، يمكن لشخص غير متعلم أن يكون له مواهب بلاغة. خامساً، الجمال ليس اختباراً للحق. إذ يمكن أن يتم التعبير عن الأمر الخاطئ بشكل جميل، ويقدم الحق بشكل أقل تأنقاً. سادساً، لو أخذنا الجمالية الأدبية معياراً لأن يكون المكتوب كلمة الله، لكانت أعمال شكسبير وهوميروس موحى بها من الله.¹⁹⁴

نتائج بخصوص دعاوي المعجزات الإسلامية

ثمة عدة أسباب تجعل هذه المعجزات المزعومة خالية من قيمة البرهنة على أن نبي الإسلام هو نبي الله، فضلاً عن السعي لوضعه على مستوى المسيح الذي أعلن عن نفسه أنه ابن الله. أولاً، أن أغلب قصص المعجزات الإسلامية ليست لها أصل في القرآن (الذي يُنظر إليه لوحده أنه المُوحى به من الله). وبالتالي، ما يحتاجه المسلمون هو المرجعية الإلهية لمثل هذا القول إن القرآن هو المعجزة.

¹⁹⁴ N. L. Geisler, *Answering Islam*, chapter 9.

ثانياً، إن هذه القصص المرتكزة على التقاليد الإسلامية هي محل شك. وينقصها روايات الشهود العيان، وتحتوي على تناقضات، وبالتالي، تنقصها المصادقية. أن غياب هذه الأحداث في القرآن، حينما كان نبي الإسلام محمد يتعرض للتحدي بشكل دائم لتأكيد نبوته بالمعجزات، هو الدليل المتين على أن حجة معجزة القرآن ليست أصلية. وبالتأكيد، لو كان نبي الإسلام قادراً على إفحام نقاده بالتأييد الخارق للطبيعة، لكان فعل ذلك، وهو لم يقم بذلك، رغم أنه تعرّض للتحدي في مناسبات عديدة.

ثالثاً، لا يوجد في أي مكان في القرآن أن نبي الإسلام قدم عملاً معجزاً في طبيعته دليلاً على صحة نبوته. وقول الكاتب المسلم المعاصر، الفاروقي أن «المسلمين لا يدعون أية معجزات لمحمد. فمن وجهة نظرهم ما يثبت نبوة محمد هو جمال ورفعة الوحي نفسه، القرآن الكريم، وليس أي خروقات لا تُفسر لقوانين الطبيعة التي تحير العقل البشري».

وحتى بعض أن بعض العلماء المسلمين يجادلون بشأن صحة هذه القصص، وعلى أي حال، فإن نبي الإسلام لم يعمل أي أعمال إعجازية قط بحيث تدعم دعوته أنه نبي، رغم أن أنبياء آخرين قاموا بذلك وقد تعرض محمد للتحدي (آل عمران 3: 183؛ النساء 4: 153؛ الأنعام 6: 8 - 9؛ الإسراء 17: 90 - 95). وحتى أحد أبرز العلماء المسلمين، عبد الله يوسف علي، يقر أن نبي الإسلام لم يقم بمعجزات «بمعنى أعمال عكس الطبيعة». وإن هذا الاعتراف يثير عدة أسئلة جدية عن أهلية محمد النبوية.

رابعاً، حتى نبي الإسلام محمد قَبِلَ واقع أن الله صادق على الأنبياء السابقين قبله بمعجزات. ومن المثير للاهتمام، أن أغلب الأنبياء المذكورين في القرآن هم شخصيات كتابية. فمثلاً في سورة الأنعام 6: 84 - 86 وبعد قصة إبراهيم، يعلن الله في القرآن:

«وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَرَكَرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ»

ويشير القرآن إلى تأكيد الله لأهلية موسى النبوية عدة مرات (الأعراف 7: 106 - 108، 116 - 119). وقد جاء في القرآن: «ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» (المؤمنون 23: 45). ويشير القرآن إلى قدرة الله المعجزة التي ظهرت خلال أنبياء آخرين (النساء 4: 63 - 65). ولكن إن كان نبي الإسلام محمد يقر أن الله قام بمعجزات من خلال هؤلاء الأنبياء الكتابيين، فلماذا لم يقم هو بعمل مثلها؟

خامساً، لقد قبل محمد حقيقة أن يسوع قام بمعجزات كثيرة برهاناً على الأصل الإلهي لرسالته، مثل شفاء الناس وإقامتهم من الموت. والقرآن يقول: «يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ... وَتُبْرِئِ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي» (المائدة 5: 110). وكان بوسع يسوع أن يقوم بأعمال معجزة للطبيعة لتأكيد رسالته الإلهية، بينما رفض محمد القيام بذلك، وبهذا سيكون صعباً على عموم المسيحيين الاعتقاد أن محمداً كان أفضل من المسيح.

سادساً، لقد تم تحدي محمد للقيام بمعجزات من أجل البرهنة على صحة دعاويه ولكن رفض فعل ذلك، والقرآن يقرّ أن معارضي محمد قالوا: «أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ» (الأنعام 6: 8 - 9). ويقرّ نبي الإسلام نفسه، أن الكافرين تحدوه ليبرهن لهم على نبوته، ولكنه قال: «وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحِيلٍ وَعَيْنٌ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَافَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا» (الإسراء 17: 90 - 92). ونجد في رد نبي الإسلام محمد أمراً كاشفاً: «هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا» [الإسراء 17: 93]. والمرء لا يقدر أن يتصور أن موسى، أو إيليا، أو يسوع كانوا سيقدمون نفس الجواب. وبالفعل، أقر نبي الإسلام أنه حينما تحدى فرعون موسى، فإن موسى رد عليه بمعجزات: «قَالَ [فرعون] إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى [موسى] عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ! وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ» (الأعراف 7: 106 - 108). ويتابع القرآن في نفس السورة، الآية (118)، فيقول: «فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». ومع ذلك، فرغم معرفته بطرق الله لتأكيد رسله، رفض نبي الإسلام محمد الإتيان بمعجزات مشابهة. ولهذا، فلم يجب على أي شخص أن يؤمن أنه جزء من سلك أنبياء الله الكبار؟

وأخيراً، لا يقدم المسلمون تفسيراً مقنعاً لسبب فشل نبي الإسلام في عمل معجزات حقيقية في الطبيعة مثلما عمل يسوع. وإحدى الحجج الإسلامية الشائعة تفيد: «إن طرق الله الراسخة أنه يؤيد النبي بنوع من المعجزات الذي يناسب العصر، بحيث يرى العالم أن ذلك فوق قدرة البشر وأن هذا الأمر يكشف فيه الله عن نفسه»، تضيف هذا الحجة: «إن في عصر موسى كان فن السحر هو الأكثر تطوراً. وبالتالي، فالله أيد موسى بالمعجزات التي أذهلت السحرة، بحيث أن السحرة قبلوا زعامة ونبوة موسى بعد أن رأوا هذه المعجزات». وبالمثل، «في عصر نبي الإسلام، فإن البلاغة والخطابة كانت في أوجها. وبهذا أيد الله نبي الإسلام بمعجزة القرآن التي فاقت قدرات أعظم شعراء عصره».

يوجد الكثير من المشاكل في هذه الحجة. فأولاً، ليس هناك دليل على «إنها طرق الله الراسخة». بل على العكس، فالقرآن يعتبر بنفسه أن الله أعطى مراراً معجزات خارقة للطبيعة من خلال موسى، وأنبياء آخرين، بما فيهم يسوع. فطرق الله الراسخة أن يؤيد الأنبياء من خلال المعجزات.

وعلاوة على ذلك، فإن أكثر سهولة أن تأتي بقطعة جميلة لنص ديني من أن تقوم بعمل خوارق في الطبيعة، والذي يعترف به القرآن نفسه أن الله يقوم به من خلال أنبيائه. وفي الواقع، ثمة قطع أدبية دينية بليغة تحتوي على تعاليم مخالفة لما في القرآن، بما في ذلك سفر إشعياء اليهودي، أو الموعظة على الجبل المسيحية، أو جينا الهندوسية. وكل هذه الكتب تعلم أموراً متعارضة مع القرآن.

بالإضافة إلى ذلك، فإن عدم رغبة نبي الإسلام محمد (والتي يظهر أنها عجز) في القيام بمعجزات فوق الطبيعة، وبينما كان يعرف أن الأنبياء الذين كانوا قبله كانوا قادرين وقاموا بالمعجزات يجعل المفكرين على حق في التشكيك في نبوته. ولو فكر شخص غير مسلم بهذه المعطيات، فسوف يسأل: «إن كان الله قد أيد الأنبياء الآخرين بمثل هذه الأشياء، فإذا لماذا يقم محمد بنفس الأمر ليزيل الشك من حوله؟». وبكلمات نبي الإسلام نفسه (في القرآن): «وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (الأنعام 6: 37).

كما أن نبي الإسلام لم يقدم إجابة إلى نقاده بالقول إن من طرق الله الراسخة أن يؤيد الأنبياء بطرق مختلفة وفي عصور مختلفة حسب عقلية أوقاتهم. بل قدم ببساطة آياته الخاصة (القرآن)، وقال إن الكفر هو رفضهم، وليس عدم قدرته على القيام بالمعجزات، فقال: «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (البقرة 2: 118). قارن: آل عمران 3: 183؛ الإسراء 17: 90 - 93). وكما ظهر أعلاه، فلا يمكن أن يعتبر المرء الزعم بوجود البلاغة الأدبية للقرآن معجزة بحال من الأحوال.

أخيراً، حتى لو كان ثمة أحداث مزعومة خارقة متصلة بحياة نبي الإسلام محمد (رغم أنها ليست معجزة من طبيعة المعجزات التي هو اعترف هو بها بشأن موسى أو يسوع)، فيمكن أن تفسر بأسباب طبيعية. مثلاً، إن ما يقوله المسلمون عن الانتصار المذهل في معركة بدر سنة 624 م على أنه ذو دلالة خارقة على التأييد الإلهي لصالح نبي الإسلام. ولكن بالضبط بعد سنة من بدر، تعرض أتباع محمد لهزيمة مُذلة¹⁹⁵. ومع ذلك لم يعتبر أي شخص هذه الهزيمة دلالة على رفض إلهي.

فكرة أخيرة حول المعجزات والأديان غير المسيحية

لا شيء مما قيل إلى الآن يجب أن يؤخذ على أن إله كل البشر الذي يحب كل الناس من كل الأديان لا يقدر أو لا يريد أن يعمل بينهم أحياناً معجزات، فمن لطف الله أنه يقود الناس إلى التوبة (رومية 2: 4). ويجادل سي. إس لويس، «وأنني لست بحال من الأحوال ملتزماً بتأكيد أن الله لم يعمل المعجزات بين الوثنيين ولأجلهم أو لم يسمح قط للكائنات الخارقة بفعل ذلك... ولكن أجد أن المعجزات المسيحية لها أرجحية جوهرية بفضل رابطها العضوي مع بعضها البعض ومع كامل المنظومة الدينية التي تظهرها».

علاوة على ذلك، فالمعجزات في تلك الأديان ليست لها قيمة دفاعية في تأسيس صدق الدين الذي ينتمي المرء إليه. وهي أعمال منفصلة لله، غير متصلة بصدق الدعوى للديانة غير المسيحية وليست مدعومة بأحداث متعددة وتنبؤية، مثل ما في المسيحية.

لنعد على الأسماع كامل المسألة

من بين كل الأديان الكبرى، فالمسيحية وحدها هي التي تلبى الشروط الضرورية التي تجعل المعجزات تؤكد صدق ما تعلنه. أولاً، المسيح هو الرئيس الديني الأعظم الذي لدينا حول حياته وتعاليمه وثائق معاصرة موثوقة. ثانياً، هو الوحيد من بين كل القادة الدينيين الذي أعلن أنه الله. ثالثاً، المسيح وحده فحسب الذي يحقق

¹⁹⁵ لقد كانت الهزيمة منكراً بان المسلمون «سحبوا مع وجنتي محمد حلقتين من سلسلة في وجنته، وسقط اثنان من أسنانه في المعركة». وبالإضافة إلى ذلك، تعرض بعض قتلى المسلمين إلى التشويه في ساحة المعركة. كما قام أحد الأعداء «بقطع أنوف وأذان القتلى كيف يعملها قلادة». انظر: هيكل، حياة محمد، ص 266 - 67.

معايير استعمال المعجزة تأكيداً لما يقوله. وهذه المعايير تتضمن فعلاً الأحداث الفائقة للطبيعة، والمتعددة، والتنبؤية المرتبطة بالحق الذي يعلنه. وإضافة إلى العهد القديم اليهودي، الذي يشير إلى المسيح، فمعجزات المسيح وحدها فحسب تلي كل هذه المقاييس. والمسيح فقط الذي أعلن أنه أكثر من نبي. وبهذا، فالمسيح من كل الرؤساء الدينيين الكبار أعلن أنه الله (انظر الفصل 7). وهو الوحيد من تم البرهنة عليه أنه الله (انظر الفصل 7) بالتقاء ثلاث مجموعات من الأحداث الفريدة التي تؤكد قوله. وبهذا، وخلافاً لهيوم والريبيين، ليس ثمة من تساو حقيقي في أي نظرة دينية منافسة لما عند المسيح. وبالتالي، فالمسيح، والمسيح وحده هو الذي تبرهن على أنه الله القدير في جسد بشري! وباختصار، فإن الدعوى المركزية في المسيحية هي حق، والدعوات الأخرى زائفة.

<p>✓ لا يخطأ البشر دائماً ✓ يسوع أيضاً هو الله الذي لا يمكن أن يخطأ</p> <p>• ماذا بشأن التنازل الإلهي؟ ✓ الخلط بين التأقلم والتنازل ✓ التنازل متعارض مع الواقع</p>	<p>المسائل الاثني عشر</p> <p>1. الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة 2. لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين 3. الله الواحد موجود 4. المعجزات ممكنة 5. يمكن أن تأتي المعجزات لتأكيد رسالة من الله</p>
<p>ملخص الفصل</p> <p>إن كان يسوع هو الله (الفصل 8)، فأى شيء يؤكد يسوع (الذي هو الله) فهو حق، وصادق فعلاً، وبالتالي، أي شيء يعلمه يسوع، سواءً كإله أو كإنسان، يجب أن يكون حقاً بشكل قاطع. وهذا هو الحال، والآن نستطيع أن نسأل ماذا علم يسوع عن الكتاب المقدس. فإلى هذه النقطة، نحن كنا نركز على العهد الجديد بوصفه مصدراً موثقاً تاريخياً (اعتماداً على دليل متين) لما قاله يسوع ولما فعل. وإذا كان كذلك، فالعهد الجديد يخبرنا أنه شهد ليسوع أنه كان الله في جسد بشري. وأي تفكير بخصوص حدود معرفته أو تكيفات تعاليمه، أو ربما كان يسوع على خطأ يتعارض مع شخصه وحقائق الواقع. وليست المسألة مسألة تكيف بل مسألة التأكيد الإلهي. والآن إذ كنا نعرف من هو، وأن كلماته ليست خاطئة، فبوسعنا الآن أن نسأل ماذا علم عن الكتاب المقدس (الفصل 11).</p>	<p>6. العهد الجديد نص موثوق 7. أعلن يسوع المسيح في العهد الجديد أنه الله 8. إعلان يسوع أنه الله تأكد بمجموعة فريدة من المعجزات 9. وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد 10. كل ما أكدته يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق 11. يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله 12. إذاً، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي</p> <p>موجز الفصل: كل ما أكدته يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق</p> <ul style="list-style-type: none"> • مراجعة الدليل • ماذا بشأن قيود يسوع البشرية؟

10 كل ما أكدّه يسوع أنه الحق، فهو حق

إن هذا الفصل هو الأقصر، لأنه بمجرد فهم المصطلحات، فالنتائج ستأتي بشكل منطقي. وبما أننا بتنا نعرف ماذا نقصد من مفهوم «الله»، وهو الموضوع الذي تمت مناقشته (في الفصل 3)، صار واضحاً لماذا ما أكدّه يسوع أنه الحق، فهو الحق. بما أن يسوع أظهر أنه الله (الفصلان 7 و8)، فيتأتى من ذلك أن كل ما علمه يسوع هو الحق، فهو الحق.

مراجعة الدليل

لقد تم البرهنة على أن الحقيقة تطابق الواقع (الفصل 1)، وأن عكس الصواب هو خطأ (الفصل 2). ورأينا أن الله الواحد موجود (الفصل 3).

والله الواحد هو صاحب المعرفة بلا حدود¹⁹⁶ (كما جاء في البرهان الكوني)، والكائن الكامل المطلق (حسب الحجة الأخلاقية). ومثل هذا الكائن لا يمكن أن يتكلم بالزيف، لا قصداً ولا عفواً. والله لا يمكن أن يخطئ بدون قصد، لأنه عارف بكل شيء (كلي العلم). ولا يمكن أن يخطئ قصداً لأنه كامل أخلاقياً، والزيف القصدي هو كذب، وهذا يتعارض مع كمال الله الأخلاقي. وبالتالي فالله لا يخطئ بأي شكل من الأشكال.

ولكن يسوع هو الله لأنه هو نفسه أعلن ذلك (الفصل 7)، وقد تأكد ذلك (الفصل 8) بالتقاء مجموعة من المعجزات التي هي ممكنة (الفصل 4) والتي يمكن أن تأتي لتأكيد الحق الذي أعلن عنه (الفصل 8). وبهذا، يتأتى من ذلك، أن يسوع (الذي هو الله) لا يمكن أن يخطئ. كما لا يمكن أن ينطق بالزيف. وبهذا، ما يعلمه على أنه الحق، فهو حق. وأي شيء يدعى زيفه فهو زائف.

ماذا بشأن قيود يسوع البشرية؟

يقدم البعض اعتراضاً مفاده أن يسوع بوصفه بشراً، فهو قابل للخطأ مثل كل البشر.¹⁹⁷ وبالفعل، فيسوع يقر أنه لم يكن يعرف كل شيء والكتاب المقدس يقول عن يسوع أنه «كَانَ يَنْقَدِّمُ فِي الْحِكْمَةِ» (لوقا 2: 52).

¹⁹⁶ الله كائن مطلق (غير محدود)، لأن كل ما هو محدود، فله سبب. وبالتالي بالمُسبب، ليس محدوداً. ولو كان كذلك، لكان يحتاج إلى سبب. وبهذا، فالله في وجوده غير محدود. ولكن الله الكائن العارف، كما ظهر في البرهان الغائي (الفصل 3). وبالتالي، فالله يجب أن يكون غير محدود بمعرفته. وبما أنه خلق الزمان (مع المادة والفضاء)، كما ظهر في البرهان الكوني (انظر الفصل 3)، فيجب ألا يكون محدوداً في الزمان. فهو فوق الزمان أي أنه سرمدني. وبهذا، وهو لا يعرف فقط الحاضر والماضي، ولكن يعرف المستقبل أيضاً. وبالفعل، فكل ما هو موجود، أو ما سيوجد في أي وقت مضى موجود فيه كسبب رئيس. الله يعرف مسبقاً كل شيء ومنه كل الأبدية، مثل الكاتب الذي لديه معرفة بكامل القصة. والله سيروي الفصل الأخير في الكتاب.
¹⁹⁷ لأجل مناقشة الآراء عن التنازل والقيود انظر:

ثانياً، يعلن يسوع أنه لا يعلم وقت مجيئه الثاني. ويسجل مرقس قول يسوع: «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْإِبْنُ، إِلَّا الْآبُ» (مرقس 13: 32). وبهذا، فيسوع لا يعرف كل شيء بوصفه كائناً بشرياً، وعلى ذلك يستحيل عليه ألا يخطئ دون قصد، وحتى لو افترضنا أنه كان كامل الأخلاق، فهو ليس معصوماً من ارتكاب خطأ غير مقصود. فكيف لنا أن نصدق أن كل ما قاله على أنه الحق، هو فعلاً الحق؟ أو، ربما قام ببعض الأخطاء عفواً. وللرد على ذلك، ثمة أمران من الضروري الإشارة إليهما.

لا يخطئ البشر دائماً

أولاً، أنه يمكن أن يقع البشر في الخطأ ولكن هذا لا يعني أنهم يفعلون الخطأ دائماً، «فالخطأ أمر بشري»، ولكن لا يعني أن البشر يخطئون دائماً. بعض الأحيان لا يقومون بذلك. فأحياناً نجد أدلة التلفون تطبع بدون أخطاء فيها. وبالتالي لأنه يسوع كان بشراً لا يعني أنه أخطأ. والكتاب المقدس يقول إن يسوع كان بشراً ولكنه لم يعمل خطيئة (عبرانيين 4: 15؛ 2 كورنثوس 5: 51؛ 1 بطرس 1: 19).¹⁹⁸ والقول إنه يمكن أن يعمل خطيئة لا يعني أنه عمل خطيئة، فقط أنه كان يمكن له أن يخطئ لا يعني أنه أخطأ.

يسوع أيضاً هو الله الذي لا يمكن أن يخطئ

ثانياً، علينا أن نذكر أن يسوع هو الله أيضاً (الفصل 8). والله لا يمكن أن يخطئ. «لَا يُمَكِّنُ أَنَّ اللَّهَ يَكْذِبُ» (عبرانيين 6: 18). ويقول بولس: «اللَّهُ الْمُنَزَّهَ عَنِ الْكَذِبِ» (تيطس 1: 2). فالله هو مصدر ومعيار الحق، ولأنه كذلك، فهو لا يمكن أن يخطئ بشأن أي شيء. وهو كلي العلم (كل المعرفة)، وهو العقل الذي يعرف كل شيء ولا يمكن أن يخطئ بشأن أي شيء. وبهذا، حقيقة أن يسوع هو أيضاً بشراً، بالإضافة إلى كونه إلهاً، لا يجب أن يبعدنا عن واقع أنه هو هو، الشخص الذي هو يسوع الناصري، لم يخطئ في أي أمر. وبوصفه الله، لا يمكن أن يخطئ، وكما بوصفه إنساناً، لم يخطئ قط.

إذاً، كيف لنا أن نفسر أن يسوع لم يخطئ عفوية وهو بشر، لا سيما أن أخذنا بالاعتبار أنه من المسلم به أنه لم يكن يعرف كل شيء ككائن بشري؟ والجواب هو من شقين:

أولاً، يسوع لم يعلم قط في المسألة التي كان يجهل فيها في بشريته. فلم يكن يعرف وقت مجيئه الثاني. وبالتالي، فهو لم يعلم شيئاً بخصوص هذه المسألة. وبالتالي، فهو لم يخطئ. لأن الأمر الذي لا يعرفه لم يعلم عنه. فالمرء لا يمكن أن يرتكب أي أخطاء في المسائل التي لم يعلن فيها حقائق. وباختصار، إن لم تنطق بكلمة بشأن موضوع لا تعرف عنه شيئاً، فإنك لا تكون مخطئاً بهذا الموضوع.

“Accommodation Theory” in Norman L. Geisler, BECA and John Wenham, *Christ and the Bible*.

¹⁹⁸ من أجل مناقشة أوسع لطبيعة المسيح البشرية التي لم تعمل خطيئة مقارنة بالطبيعة البشرية في الكتاب المقدس. انظر:

Geisler, *Systematic Theology: Introduction and the Bible*, chapter 15.

ثانياً، عندما كان يسوع يؤكد أي أمر فإنه كان يقوم به بسلطان إلهي. لم يكن ثمة شخصان هو يسوع¹⁹⁹. بل كان يوجد شخص واحد. فهو الواحد، نفسه يسوع الشخص الإنسان، الذي تَبْرهن أنه الله (الفصل 8)، الذي أعلن أنه الله (الفصل 7). وبهذا، فالذي أكده هذا الشخص، نفسه، سواء كإله أو كإنسان²⁰⁰، يجب أن يكون حقاً. ذلك أن نفس التأكيد الواحد لا يمكن أن تكون صادقاً وكاذباً في نفس الوقت وبنفس المعنى. فهذا سيكون تناقضاً مع قانون عدم التناقض. ولكن هذا القانون هو صحيح بشكل لا يمكن نفيه (انظر الفصل 2). وبالتالي، ما يؤكد يسوع على أنه حق (وحتى لو كان يؤكد ذلك بوصفه كائناً بشرياً)، فهو حق.

وبالفعل، هذا ما يقول الكتاب المقدس بدقة حول يسوع، أي أنه كان يتكلم بالصدق بشكل مطلق بسلطان إلهي.

لننظر في الأمور التالية المتعلقة بسوع:

- متى 11: 27: «كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي».
- متى 24: 35: «السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ وَلَكِنْ كَلَامِي لَا يَزُولُ».
- متى 28: 18: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ».
- متى 28: 20: «وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ».
- يوحنا 8: 26: «لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ. وَأَنَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَهَذَا أَقُولُهُ لِلْعَالَمِ».
- يوحنا 12: 48: «الْكَلَامُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ».

ويظهر من هذه النصوص أن كل ما كان يعلمه يسوع، فقد علمه بسلطان إلهي. وأنه كان يتكلم بما كان يقوله له الأب أن يتكلم، وأن كلمات يسوع، مثل كلمات الله (متى 5: 17 - 18)، لا تزول (متى 24: 35).

وبهذا، فحتى لو علم يسوع بوصفه كائناً بشرياً، فقد كان يعلم حقاً بشكل مطلق. وليس فقط كان «الحق» (يوحنا 14: 6)، بل جميع ما كان يتكلم به كان حقاً. وهو لم ينطق قط عن خطأ. وبما أنه ابن الله لم يكن له أن يفعل ذلك. وبوصفه ابن مريم لم يخطأ. فقد كان إلهاً وإنساناً، ولكن لم يخطئ أي جانب فيه.

ماذا بشأن التنازل الإلهي؟

يقول أصحاب هذا الرأي: الله غير محدود، والإنسان محدود. وبهذا، لكي يتواصل الله مع الكائنات البشرية فعليه أن يقوم بتنازلات. تماماً بما أن يسوع كان الله الذي وضع نفسه إلى مستوى بشري من أجل أن يكون بشراً (فيلبي 2: 5 - 8)، فلكي يتكلم الله مع البشر وفق مستواهم، فمن الضروري أن يقوم ببعض التنازل. وأخذاً بعين

¹⁹⁹ إن فكرة أن ليسوع شخصيتين - الأولى الله والثانية إنسان، هي من أخطاء النسطورية، ولو كان هذا الأمر صحيحاً، فالشخص البشري الذي مات لأجلنا لم يكن إلهاً، وبالتالي، فموته لا يتسم بدلالة إلهية للتكفير عن خطايانا. فقد الله - الإنسان الذي يمكن أن يكون وسيطاً بين الله والإنسان (1 تيموثاوس 2: 5). وإذا لم يكن هذا الشخص نفسه الله وإنسان، فلم يكن ليقدر أن يكون وسيطاً.

²⁰⁰ ما أكده يسوع بوصفه الله الذي لا يمكن أن يخطأ (لأن الله لا يخطأ). وما علمه يسوع كإنسان لا يمكن أن يكون قد أخطأ فيه لأنه كان بشراً، ومن الممكن (رغم أنه ليس ضرورياً) لبشر أن يخطأ. ولكن بكلا الحالتين فيسوع لم يخطأ.

الاعتبار هذه الحقيقة، فقد كان على يسوع (الذي كان الله) من أجل يقدم تعاليمه حسب مستوانا، ألم يكن يجب أن ينزل إلى درجة في الخطأ البشري بدرجة أو أخرى لكي يتواصل معنا؟ وبالتالي، فهل من المحتمل أن يسوع يمكن أن ينزل على مستوى الخطأ البشري؟

الخط بين التأقلم والتنازل

ثمة مسائل متعددة هامة يجب تذكرها في الرد على «نظرية التنازل». أولاً، صحيح أن الله غير محدود، ونحن محدودون. وبهذا فالله يكتيف نفسه إلى واقع محدوديتنا. ولكن لأن الله هو الحق المطلق، فهو لا يمكن أن يتنازل إلى الخطأ البشري. فهو يكتيف نفسه باستعمال حقائق جزئية، ولكنه لا يتنازل إلى الأخطاء الفعلية. فالله يتنازل لمستوى في التكلم عن الحق إلى البشر، ولكن لا يقوم بتقديم حل وسط بخصوص الحق. فلن يقترب الله إلى عقولنا المحدودة ثمة حاجة بعض الأحيان إلى تجسيمات،²⁰¹ ولكن لا حاجة قط للأساطير، وقد قال بطرس: «لأننا لم ننبغ خرافاتٍ مُصنَّعةً (باليوناني: *mythos*)» (2 بطرس 1: 16).

فمثلاً، يمكن للوالدين أن يتنازلا إلى مستوى الأطفال الصغار، بدون أن يكذبوا. وعندما يسأل الأطفال: «من أين يأتي الأطفال؟»، فيمكنهما الإجابة (بشكل جزئي): «من بطون أمهاتهم». وبعد ذلك بقليل، عندما يسأل الأطفال: «كيف يصبح الأولاد في بطون أمهاتهم؟»، فيأتي الجواب: «الأب يضع البذور هناك». وهذا النزول في المستوى بهدف أن يتمكنوا من الفهم (وهذا هو التكيف). ولكن لا يجوز أن نقول لهم: «إن اللقالب جلبت الرضع لنا» (الذي هو أسطورة). فتقديم الحق بشكل تدريجي وتطوري من قبل الآباء إلى الأبناء هو النزول إلى مستوى فهمهم في تلك الفترة. وبهذا، يمكن لله أن يتكيف إلى محدوديتنا بالحق الجزئي والتطوري، ولكن لا يتكيف أبداً إلى أخطأنا في هذه العملية.

التنازل متعارض مع الواقع

وأيضاً، التنازل للخطأ متعارض مع الواقع. فكل ما هو معروف بخصوص حياة يسوع وتعاليمه تظهر أنه لم يتكيف قط مع التعاليم الباطلة في عصره. بل على العكس، وبخ يسوع الذين قبلوا تعاليم يهودية. لننظر في التالي:

- متى 15: 3، 6، حيث أعلن يسوع: «وَأَنْتُمْ أَيْضًا، لِمَاذَا تَتَعَدُّونَ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ؟... فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ!».
- متى 5: 21 - 22: حيث يصحح يسوع نظراتهم الخاطئة حول الكتاب المقدس، ويؤكد بشكل قاطع: «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ». وهذا الصيغة المشابهة: «لقد قيل... ولكن أنا أقول لكم...»
تعاد مرارا في الأعداد التالية (قارن: متى 5: 23 - 43).

²⁰¹ التجسيم [Anthropomorphism] يعني حرفياً «الشكل البشري». والفكرة هنا أن الله يكتيف نفسه إلى الطريقة البشرية في الكلام لكي يقدم رسالته للبشر. على سبيل المثال يتكلم الكتاب المقدس عن «عين الله» (عبرانيين 4: 12)، ليصور بشكل حي قدرة الله على معرفة ما في قلوبنا. ولكن الله السرمدي ليس لديه أشياء محدودة مثل العيون كما نعرفها نحن.

- **يوحنا 3: 10**: حيث يقوم يسوع بتوبيخ المعلم اليهودي البارز نيفوديموس: «أَنْتَ مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ وَلَسْتَ تَعْلَمُ هَذَا!». وأضاف: «إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ الْأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمْ السَّمَاوِيَّاتِ؟» (يوحنا 3: 12).
- **متى 22: 29**، يتكلم يسوع بالتحديد عن نظرته الخاطئة للكتاب ويقول للصدوقيين بصراحة: «تَضِلُّونَ إِذْ لَا تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلَا قُوَّةَ اللَّهِ».
- **متى 23: 16-33**، يدين يسوع الفرسيين الذين بالكاد كانوا يستوعبون: «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمَيَانُ!... وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتَبَةُ وَالْفَرِّيْسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ!... أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمَيَانُ!.. الَّذِينَ يُصَفِّونَ عَنِ الْبُعُوضَةِ وَيَبْلَعُونَ الْجَمَلُ... وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتَبَةُ وَالْفَرِّيْسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ!... أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلَادَ الْأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرَبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟».
- **يوحنا 2: 15-16**، وكان يسوع بعيداً عن التنازل للعقائد والممارسات المزيفة في الهيكل عندما «صَنَعَ سَوَاطِئَ مِنْ حِجَالٍ وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ، أَلْعَمَمَ وَالْبَقَرَ، وَكَبَّ ذَرَاهِمَ الصَّيَّارِفِ وَقَلَبَ مَوَائِدَهُمْ. وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ: «ارْفَعُوا هَذِهِ مِنْ هَهُنَا! لَا تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ!».
- **متى 22: 16**، وحتى أعداء يسوع اعترفوا أنه لا يساوم. فقالوا: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَنَعْلَمُ طَرِيقَ اللَّهِ بِالْحَقِّ، وَلَا تُبَالِي بِأَحَدٍ، لِأَنَّكَ لَا تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ». ولا يوجد في الإنجيل أي شيء يشير على أن يسوع تنازل لقبول الخطأ في أي موضوع.

إن التنازل للخطأ كان متعارضاً مع شخصية يسوع. وقد وجده أصدقاؤه المقربون شخصاً معصوماً من الخطأ (1 يوحنا 3: 3، 4: 17؛ 1 بطرس 1: 19). كما دُهِشَ الجمهور عندما كان يعلم: «لَأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَا لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَمَا الْكُتَبَةُ» (متى 7: 29). وحتى أعداؤه مثل بيلاطس، الذي استجوب يسوع أعلن: «إِنِّي لَا أَجِدُ عِلَّةً فِي هَذَا الْإِنْسَانِ» (لوقا 23: 4). والجندي الروماني الذي صلب يسوع صرخ: «بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ بَارًّا!» (لوقا 23: 47). ويسوع الذي كان ابن الله، لا يمكن أن يخدع. ف«اللَّهُ الْمُنْرَهُ عَنِ الْكُذِبِ» (تيطس 1: 2)، وبالفعل «لَا يُمَكِّنُ أَنَّ اللَّهَ يَكْذِبُ» (عبرانيين 6: 18). وكلامه «هُوَ حَقٌّ» (يوحنا 17: 17). و«لِيَكُنِ اللَّهُ صَادِقًا وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِبًا» (رومية 3: 4). ومهما كانت القيود الذاتية الإلهية الضرورية من أجل التواصل مع البشر، فليس ثمة من خطأ، لأن الله لا يمكن أن يخطئ. فهذا يتعارض مع طبيعته نفسها. ويسوع هو «حق» الله، وكونه ذلك، فهو لا يتكلم إلا الحق.

ماذا بعد؟

إذا كان يسوع هو الله (الفصل 8)، فما يؤكد يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو بالفعل الحق، وأي شيء يعلمه يسوع، سواء أكان بوصفه الله أو بوصفه إنساناً، يجب أن يكون حقاً بشكل مطلق. وإذا كان هذا هو الحال، فيمكننا أن نسأل ماذا علم يسوع عن الكتاب المقدس. فحتى هذه النقطة، أوردنا فقط العهد الجديد على أنه مصدر موثوق تاريخياً (اعتماداً على دليل متين) لما قال يسوع وفعل. ومثل ذلك، يخبرنا أنه نُبِرهن على أنه الله في لحم بشري. والآن، أصبحنا نعرف من هو، وأن كلمته لا تخطئ، ونستطيع أن نسأل الآن ماذا علم حول الكتاب

المقدس. هل هو - حسب يسوع، أكثر كتاب موثوق تاريخياً؟ هل كان الكتاب المقدس كلمة الله نفسها؟ سوف نتعرف على الإجابة في الفصل التالي.

	المسائل الاثني عشر
<p>✓ 7. أكد يسوع على الوثوقية التاريخية للعهد القديم</p> <p>✓ 8. أكد يسوع على الدقة العلمية للعهد القديم</p> <p>• وعد يسوع أن العهد الجديد سيكون كلمة الله</p> <p>✓ 1. يسوع قال إن الروح القدس سيعلم تلاميذه «جميع الحق»</p> <p>✓ 2. أعلن الرسل السلطان الإلهي الذي أعطاهم إياه يسوع</p> <p>✓ 3. العهد الجديد هو الوثيقة الوحيدة الأصلية لتعاليم الرسل</p> <p>✓ 4. إذاً، «جميع الحق» الذي وعد به يسوع موجود في العهد الجديد</p> <p>• المسيح والنقاد</p>	<p>1. الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة</p> <p>2. لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين</p> <p>3. الله الواحد موجود</p> <p>4. المعجزات ممكنة</p> <p>5. يمكن أن تأتي المعجزات لتأكيد رسالة من الله</p> <p>6. العهد الجديد نص موثوق</p> <p>7. أعلن يسوع المسيح في العهد الجديد أنه الله</p> <p>8. إعلان يسوع أنه الله تأكد بمجموعة فريدة من المعجزات</p> <p>9. وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد.</p> <p>10. كل ما أكده يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق</p> <p>11. يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله.</p> <p>12. إذاً، الحق هو أن الكتاب المقدس كلمة الله وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي فهو مزيف</p>
<p>ملخص الفصل</p> <p>إن أولئك الذين يرفضون الكتاب المقدس عليهم طرح السؤال: من كان يعرف أكثر عن الكتب المقدسة، المسيح أم النقاد؟ والمنطق بالبسيط هو: إذا كان يسوع ابن الله، وكما ثبت (الفصل 7 و8)، فالكتاب المقدس كلمة الله. وبالعكس، لو لم يكن الكتاب المقدس كلمة الله، فيسوع ليس ابن الله (حيث يكون يسوع قد قدم تعليماً زائفاً). ولكن يسوع هو ابن الله، وبالتالي، فالكتاب المقدس كلمة الله. وأي فكرة عن محدودية معرفة يسوع، أو تكيف تعليمه، فذلك يعني أن يسوع قد أخطأ، وقد تبين أن ذلك يعاكس سواء شخصيته، والحقائق التي رأيناها (الفصل 10). والمسألة ليست متعلقة بالتنازل، بل بالتأكيد الإلهي لما يقوله يسوع: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ» (متى 28: 18)؛ «الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ. وَأَنَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَهَذَا أَقُولُهُ لِلْعَالَمِ» (يوحنا 8: 26)، و«السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ» (متى 24: 35).</p>	<p>موجز الفصل: يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله.</p> <p>• أكد يسوع أن العهد القديم كلمة الله</p> <p>✓ 1. أكد يسوع أن كتب العهد القديم خالدة</p> <p>✓ 2. أعلن يسوع أن كتب العهد القديم موحى بها من الله</p> <p>✓ 3. يسوع أكد أن الكتاب المقدس غير قابل للنقض</p> <p>✓ 4. يسوع أكد أن العهد القديم كلمة الله نفسها</p> <p>✓ 5. رأى يسوع أن للعهد القديم السلطة العليا</p> <p>✓ 6. أكد يسوع على عصمة الكتب المقدسة</p>

11. يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله

لقد قطعنا شوطاً طويلاً. وقد بدأنا الرحلة بالبرهنة على الأمر الذي لا ريب فيه أنه يوجد عالم حقيقي، وأنه يمكن أن نعرف الحق عنه (الفصل 1). وبتنا بعد ذلك أن ما يعارض الحق هو باطل (الفصل 2)، وبالتالي، أن النظرات المتعارضة لا يمكن أن تكون جميعها صحيحة. ولقد رأينا أن الدليل يفيد أنه لأمر حق أن الله الواحد موجود، وأنه شحص سرمدي وكائن كامل الأخلاق خلق الكون (الفصل 3). ومن هنا استخرجنا النتيجة المحتومة، إن كان الكائن الكلي القدرة موجوداً والذي صنع العالم بشكل خارق، فالأحداث الخارقة ليست فقط ممكنة، ولكن الحدث الأكبر قد حصل (الفصل 4). وعندما فحصنا طبيعة المعجزة، وجدنا أنها ترد بالارتباط مع إعلان الحق الذي يؤكد رسالة من الله إلينا (الفصل 5). وبالنظر إلى ذلك، فحصنا الدليل لصالح العهد الجديد، ووصلنا إلى استنتاج أنه أكثر النصوص الموثوقة تاريخياً من العالم القديم (الفصل 6). وهذا هو الواقع، ونحن فحصنا العهد الجديد ووجدنا أن الشخصية المركزية فيه، يسوع المسيح، الذي أعلن عن نفسه أنه الله الواحد في جسم بشري (الفصل 7). وليس الأمر كذلك، بل أن إعلانه عن الألوهية تُبرهن بسلسلة من ثلاث مجموعات من المعجزات الفريدة وغير المسبوقة (الفصل 8). وبهذا، وصلنا إلى استنتاج أن يسوع الناصري، كان الوحيد المعروف في التاريخ الذي أعلن أنه الله في جسد بشري والذي تم البرهنة على صحته (الفصل 9). وبالتالي، من خلال فحص طبيعة الله الواحد، وصلنا إلى النتيجة أن يسوع (الذي هو الله) قادر وحده على تأكيد الحق وأن كل ما يعلمه حق. وبالمثل، أي شيء قال عنه يسوع أنه باطل فهو باطل (الفصل 2). والآن بقي علينا أن ندرس ما علم يسوع عن الكتاب المقدس.

أكد يسوع أن العهد القديم كلمة الله

استعمل يسوع وتلاميذه عبارة «مكتوب» بخصوص العهد القديم حوالي تسعين مرة. وهي أنتت في صيغة الفعل التام، والمعنى: «إنه كان مكتوباً في الماضي، وما زال إلى اليوم قائماً على أنه كلمة الله المكتوبة». وكان يسوع يستعمل العبارة بمعنى: «وهذا الكلمة الأخيرة في النقاش؛ والنقاش انتهى». وبالمثل، رفض يسوع إغواء الشيطان. ولكنه أجاب قائلاً: «"مكتوب": لَيْسَ بِالْخُبْرِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ" ... قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لَا تُجَرِّبَ الرَّبَّ إِلَهَكَ" حِينِيذِ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "اذهَبْ يَا شَيْطَانُ! لِأَنَّ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ"» (متى 4: 4، 7، 10. التشديد مضاف). ويظهر هذا أن يسوع كان يؤمن أن للكتاب المقدس السلطة الأخيرة والإلهية.

1. أكد يسوع أن كتب العهد القديم خالدة

لقد قال يسوع: «لَا تَتَّظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأَكْمِلَ. فَإِنِّي أَحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ» (متى 5: 17 - 18). كما كان يسوع يؤمن أن العهد القديم الكلمة الخالدة لله الأبدية. وهو اتفق مع النبي إشعياء الذي قال: «يَبِيسَ الْعُشْبُ، ذَبَلِ الزَّهْرُ. وَأَمَّا كَلِمَةُ إِيهَنَّا فَتَنْبُتُ إِلَى الْأَبَدِ» (إشعياء 40: 8).

2. أعلن يسوع أن كتب العهد القديم موحى بها من الله

رغم أن يسوع لم يستعمل قط كلمة وحي، ولكنه استعمل ما يعادلها. فرداً على سؤال الفريسيين رد بحسم: قَالَ لَهُمْ: «فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبًّا؟» (متى 22: 43. التشديد مضاف). وبالفعل دواد نفسه قال هذه الكلمات: «رُوحُ الرَّبِّ تَكَلَّمَ بِي وَكَلِمَتُهُ عَلَى لِسَانِي» (2 صموئيل 23: 2. التشديد مضاف). وهذا بالضبط ما يعنيه بكلمة وحي. وقد قال النبي زكريا في العهد القديم في وقته «الشَّرِيعَةَ وَالْكَلامَ الَّذِي أَرْسَلَهُ رَبُّ الْجُنُودِ بِرُوحِهِ عَنْ يَدِ الْأَنْبِيَاءِ الْأَوَّلِينَ» (زكريا 7: 12. التشديد مضاف).

3. يسوع أكد أن الكتب المقدسة غير قابلة للنقض

لا ترد في الكتاب المقدس كلمة معصوم، ولكن نجد قريباً منها، غير قابل للنقض. إذ قال يسوع: «إِنْ قَالَ إِلَهَةٌ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ» (يوحنا 10: 35). وبالفعل ثمة ثلاث كلمات معبرة تصف العهد القديم في هذا النص القصير: «ناموس» (العدد 34)، و«كلمة الله»، و«غير قابل للنقض». وبهذا، فيسوع يؤمن أن العهد القديم كان شريعة الله غير قابلة للنقض.

4. يسوع أكد أن العهد القديم كلمة الله نفسها

اعتبر يسوع أن الكتاب المقدس «كلمة الله» وشدد على أنه يحتوي على «وصية الله» (متى 15: 3، 6). وهذا يصدق أيضاً على حديثه عن أنه لا يُنقض في إنجيل متى (5: 17 - 18). وسمى تلاميذ المسيح الكتاب المقدس «كلمة الله» (رومية 3: 2؛ عبرانيين 5: 12).

5. يسوع يرى أن للعهد القديم السلطة العليا

لقد أكد يسوع أن العهد القديم يتمتع بالقوة والسلطة العليا مقابل تعاليم البشر أو «التقاليد». فقال لليهود: «لِمَاذَا تَتَّعَدُونَ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ؟... فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ!» (متى 15: 3، 6. التشديد مضاف). وكان يسوع يؤمن أن الكتاب المقدس وحده له السلطة العليا، حتى لو كان متعارضاً مع أكثر التعاليم البشرية توقيراً. فالكتاب المقدس وحده هو المرجعية المكتوبة العليا لله.

6. أكد يسوع على عصمة الكتاب المقدس

تعني العصمة أنه خالٍ من الخطأ. وهذا المفهوم موجود في جواب يسوع إلى الصدوقيين، الجماعة التي تنكر الوحي الإلهي للعهد القديم: «تَضِلُّونَ إِذْ لَا تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلَا قُوَّةَ اللَّهِ» (متى 22: 29). وفي صلاته الشفاعية أكد على الصدق المطلق للكتاب المقدس، فقال إلى الأب: «قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ» (يوحنا

17:17. التشديد مُضاف). ومن الجدير ملاحظته أن قال إن كلمة الله هي الحق. وليس فقط أنها تحتوي على الحق. وحيث يوجد حق، لا يوجد خطأ.

7. أكد يسوع على الموثوقية التاريخية للعهد القديم

أكد يسوع على الصحة التاريخية لأكثر النصوص جدلاً في العهد القديم، بما في ذلك خلق آدم وحواء (متى 19: 4 - 5)، والمعجزة بخصوص يونان وابتلاع الحوت له، ودمار العالم في الطوفان في عهد نوح. وبشأن نوح أعلن يسوع: «وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الْإِنْسَانِ. لِأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي الْأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُزَوَّجُونَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ الْفُلَّكَ» (متى 24: 37 - 38). كما أكد يسوع حقيقة ابتلاع الحوت ليونان على مدار ثلاثة أيام وثلاثة ليالٍ: «لِأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ» (متى 12: 40). وتكلم يسوع عن ذبح هابيل (1 يوحنا 3: 12)، وعن إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب (متى 8: 11)، ومعجزات إيليا (يعقوب 5: 17)، وعن شخصيات كثيرة عديدة من العهد القديم، وأحداث صحيحة تاريخياً بما فيها: موسى، وإشعيا، ودواد، وسليمان (متى 12: 42)، ودانيال النبي (متى 24: 15). وصادق على الصحة التاريخية لنصوص كثيرة في العهد القديم محل خلاف. ونظراً للطريقة التي ترد فيها الأحداث، والمرجعية التي أضفاها يسوع عليها، وأنها أساس التعاليم الرئيسية التي أعطاه المسيح بشأن حياته، وموته، وقيامته، كل ذلك يظهر أنه كان ينظر إلى هذه الأحداث على أنها أحداث تاريخية.

8. أكد يسوع على الدقة العلمية للعهد القديم

إن أكثر الإصحاحات عرضةً للنقاش العلمي هي الإصحاحات الأولى في سفر التكوين. ومع ذلك أكد يسوع في تعاليمه الأساسية أن ما جاء في سفر التكوين دقيق علمياً، أي خلق العالم و آدم وحواء. وأسس تعليمه الأخلاقي عليها بدون تردد. إذ أجاب الفريسيين: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدَءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِأَمْرَائِهِ، وَيَكُونُ الْاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا» (متى 19: 4 - 5). وبالإضافة إلى ذلك، تكلم عن «مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ» (مرقس 10: 9، و«ابْتِدَاءِ الْخَلِيقَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ» (مرقس 13: 19).²⁰²

وبعد أن تكلم إلى نيقوديموس، رئيس اليهود، حول المسائل الأراضية مثل الولادة والريح، أعلن يسوع: «إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ الْأَرْضِيَّاتِ وَلَسَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمْ السَّمَاوِيَّاتِ؟» (يوحنا 3: 12). وباختصار، فيسوع قال، إن لم يصدقه أحد عندما يتكلم بالمسائل التجريبية العلمية، فلن يؤمن به عندما يتكلم بالمسائل السماوية، مما يظهر أنه كان يرى الأمرين لا انفصال بينهما.

وعد يسوع أن العهد الجديد سيكون كلمة الله

²⁰² وبالفعل أصل التلاميذ تعاليم كثيرة بناءً على قصة الخلق في سفر التكوين (رومية 5: 12؛ 1 تيموثاوس 2: 13 - 14؛ 1 كورنثوس 11: 8، 15: 22، 45).

لم يصادق يسوع على العهد القديم، فقط بل أيضاً أعطى وعداً بشأن العهد الجديد. وأعلن رسل يسوع وأنبياء العهد الجديد أن كتابتهم تحقيق للوعد الذي أعطاه يسوع.

1. يسوع قال إن الروح القدس سيعلم تلاميذه «جميع الحق»

لقد وعد يسوع أن «المُعزّي، الرُّوحُ القُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ». وأضاف: «وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَلِكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورِ آتِيَةٍ» (يوحنا 14: 26؛ 16: 13. التشديد مُضَاف). وقد تحقق الوعد حينما تكلم الرسل فيما بعد وسجلوا (في العهد الجديد) كل ما قاله يسوع وعلمه لهم.

وبالنظر إلى السياق الروحي وحقيقة أن يسوع لم يعلم جميع الحق الذي يخص كل الجوانب البشرية، فـ«جميع الحق» الذي يقصده يسوع متصلة بالعقيدة والتطبيق. وكما قال بولس، فإن «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَى بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّادِيْبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللَّهِ كَامِلًا» (2 تيموثاوس 3: 16 - 17). وباختصار، فيسوع علّم جميع الحق الضروري للإيمان والعمل.

2. أعلن الرسل السلطان الإلهي الذي أعطاهم إياه يسوع

لم يعد يسوع تلاميذه بالسلطان الإلهي فيما كتبوا فحسب، ولكن الرسل أعلنوا بدورهم هذا السلطان على كتاباتهم. وقال يوحنا: «وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ» (يوحنا 20: 31). وأضاف: «الَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدَءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بَعْيُونَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسْنَاهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ» (1 يوحنا 1: 1). ومرة ثانية، يقول: «أَيُّهَا الْأَجْبَاءُ، لَا تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلْ امْتَحِنُوا الْأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللَّهِ؟ لِأَنَّ أُنْبِيَاءَ كَذِبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ... هُمْ مِنَ الْعَالَمِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَتَكَلَّمُونَ مِنَ الْعَالَمِ، وَالْعَالَمُ يَسْمَعُ لَهُمْ. نَحْنُ مِنَ اللَّهِ. فَمَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَسْمَعُ لَنَا، وَمَنْ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ لَا يَسْمَعُ لَنَا. مِنْ هَذَا نَعْرِفُ رُوحَ الْحَقِّ وَرُوحَ الضَّلَالِ» (1 يوحنا 4: 1، 5 - 6).

ويقرّ الرسول بطرس أن كل كتابات بولس من «الكتب المقدسة» (2 بطرس 3: 15 - 16؛ قارن: 2 تيموثاوس 3: 15 - 16)، قائلاً: «وَاحْسِبُوا أَنَاةَ رَبِّنَا خَلَاصًا، كَمَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسٌ أَيْضًا بِحَسَبِ الْجُكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ، كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضًا، مُتَكَلِّمًا فِيهَا عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءٌ عَسِرَةٌ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ، كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضًا، لِهَا لِكِ الْهَلَاكِ أَنْفُسِهِمْ».

3. العهد الجديد هو الوثيقة الوحيدة الأصلية لتعاليم الرسل

إنّ العهد الجديد هو الوثيقة الوحيدة الأصلية لتعاليم الرسل التي لدينا.²⁰³ فكل سفر مكتوب من قبل رسول أو نبي من أنبياء العهد الجديد (أفسس 2: 20؛ 3: 3 - 5). وليس ثمة كتب أخرى من القرن الأول للرسل أو المساعدين. فكلها موجودة في أسفار العهد الجديد السبع والعشرين.

²⁰³ وبالطبع، في الوقت الذي كان فيه الرسل على قيد الحياة، كان تعاليمهم الشفوي يتمتع بمرجعية (قارن: أعمال 2: 42؛ 2 تسالونيكي 2: 2)، ولكن الوثيقة الرسمية لتعاليمهم الشفوي فحسب موجودة في العهد الجديد.

وبالطبع كان ثمة كتب أبوكريفية [مشكوك بها] وكتب منحولة (كتابات مزيفة) من القرن الثاني والثالث (مثل إنجيل توما، وإنجيل يهوذا)، التي ترفضها كل الطوائف المسيحية.²⁰⁴ ويظهر من تاريخ هذه الكتب المتأخر (بعد فترة طويلة من موت الرسل)، والعقيدة المزورة (المخالفة لما علّم الرسل في العهد الجديد)، بجلاء أنها ليست كتابات موثوقة. وإيريناوس أحد آباء الكنيسة (الذي يعرف بوليكرابوس تلميذ الرسول يوحنا، قال: «بالفعل، لقد بلغوا درجة من الجرأة، حتى أنهم سمّوا أعمالهم المتأخرة نسبياً «الإنجيل الحق»، ورغم أنه لا يتفق بأي شيء مع أناجيل الرسل، وحتى هي ليست أناجيل، بل مليئة بالتجديف... ولكن أناجيل [الرسل] وحدها هي الأناجيل الصحيحة والموثوقة، وليس فيها لا زيادة ولا نقصان عن عدد الأناجيل [الأربعة] التي ذكرناه من قبل، وهذه الحقيقة أثبتت بالكثير من الحجج».²⁰⁵

ومؤرخ الكنيسة الكبير، يوسابيوس (في كتابه: «تاريخ الكنيسة»)، أعلن أن الكتب الأبوكريفية «أثمة وسخيفة». وكتب ج. دونالدسون، محرر «آباء ما قبل نيقية»، «إن الانطباع الغالب الذي تركوه على أذهاننا لهو شعور عميق بسلطة لا محدودة، وبساطة لا تقبل الجدل، ورفعة، للكتابات القانونية».²⁰⁶ والمرجعية المعاصرة بخصوص تلك الحقبة، إدوين ياموتشي، وصل إلى استنتاج بخصوص الكتب الأبوكريفية وهو أن «الأناجيل الأبوكريفية، بما فيها الباكرة منها والأكثر رصانة، بالكاد يمكن مقارنتها مع الأناجيل القانونية. فالأولى ثانوية وأسطورية بلا شك، منحرفة بشكل واضح... والأدب غير قانوني إن أخذناه بالأجمال، نجده يظهر بؤساً فاقعاً. ومجموعه أسطوري، ويحمل بشكل واضح علامة التزوير».²⁰⁷

4. إذاً، «جميع الحق» الذي وعد به يسوع موجود في العهد الجديد

من واقع أن يسوع وعد أن يرشد تلاميذه إلى «جميع الحق»، وأن كلاً من المسيح والتلاميذ أعلنوا أن هذا الوعد قد دُون في تعاليم العهد الجديد، الذي يشكّل الوثيقة المعتمدة لتعاليم الرسل، وبهذا يمكننا أن نصل إلى استنتاج أن وعد يسوع قد تحقق بشكل نهائي في العهد الجديد الموحى به. وبهذا فيسوع أكد بشكل مباشر وقوي العهد القديم وسلطته، ووَعدَ وأعلن بشكل غير مباشر أن العهد الجديد سيتمتع بنفس الصفة. وبالتالي، إن كان المسيح ابن الله، فكل من العهد القديم والعهد الجديد كلمة الله المكتوبة. وهذه الحقيقة تؤكدت من كتاب العهد الجديد الذين اعتبروا أن كتابات العهد الجديد سواء الأناجيل (انظر 1 تيموثاوس 5: 18) والرسائل (انظر 2 بطرس 3: 15 - 16)، «كتباً مقدسة» متوازية مع العهد القديم.

المسيح والنقاد

²⁰⁴ Edgar Hennecke, *New Testament Apocrypha*, 2 vols.

²⁰⁵ Irenaeus, *Against Heresies*, 3.11.9.

²⁰⁶ As cited by Edwin Yamauchi, "The Word from Nag Hammadi," 22 in *Christianity Today*, 13 Jan, 1978.

²⁰⁷ Ibid.

لقد صادق يسوع على أشياء كثيرة في العهد القديم رفضها نقاد كثر معاصرون. فإن كان يسوع على حق، فهذا يعني أن النقاد على خطأ، بغض النظر عن ذريعة أن العلم يقف إلى جانبهم. لأنه إن كان يسوع ابن الله، فالمسألة تصبح مسألة السلطان، وليست مسألة العلم.

فمثلاً، يقول النقاد السلبيون للكتاب المقدس إن دانيال لم يكن نبياً، ولكنه كان مؤرخاً سجل الأحداث بعد وقوعها (حوالي 165 ق. م.). ولكن يسوع صرّح أن دانيال كان نبياً. وبالفعل، اقتبس يسوع من نبوءة أعطاها دانيال لم تكن قد وقعت بعد أيام يسوع: «فَمَتَى نَظَرْتُمْ «رَجَسَةَ الْخَرَابِ» الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيَالُ النَّبِيُّ... هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ» (متى 24: 15، و24. التشديد مُضاف).

وكذلك، يؤكد كثير من النقاد أن البشر الأوائل تطوروا بعملية طبيعية. ولكن كما لاحظنا، فيسوع أكد أنّ الله خلق آدم وحواء (متى 19: 4 - 5). فإن كان يسوع ابن الله، فالاختيار بين داروين وبين الله؛ بين شخص مخلوق في القرن التاسع عشر وبين الخالق الأزلي.

يعتقد أغلب النقاد السلبيين للكتاب المقدس أن قصة يونان خرافة. ولكن يسوع شدّد على أنه «كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ» [متى 12: 40]. ولا يمكن ليسوع بالتأكيد، أن يقارن تاريخية موته وقيامته مع يونان لو كانت قصة يونان أسطورة، وبهذا، فحسب يسوع، فقصة يونان ليست قصة زائفة عن الحوت، بل قصة حقيقية عن الحوت.

وينكر غالبية نقاد الكتاب المقدس حدوث طوفان شامل أيام نوح. ولكن كما رأينا أعلاه فيسوع أكد على وقوع طوفان أيام نوح، والذي هلك فيه الجميع ما عدا أسرة نوح (متى 24: 38 - 39؛ قارن: 1 بطرس 3: 20؛ 2 بطرس 3: 5 - 6). ومرة ثانية، إن كان المسيح على حق، فالنقاد على خطأ. ولكن كيف يمكن للمسيح أن يخطأ إن كان هو ابن الله (انظر الفصل 8)؟

ومن المعتاد أن نقاد الكتاب المقدس يقولون بوجود اثنين من إشعياء على الأقل، الأول عاش بعد الأحداث، وقام بوصفها في الإصحاحات الأخيرة (40 - 66) بعد المنفي؛ وإشعياء الآخر الذي عاش قبل الأحداث وكتب الإصحاحات التسع والثلاثين الأولى. ولكن يسوع يقتبس من الجزئين من سفر إشعياء على أنه «النبى إشعياء». ففي إنجيل لوقا 4: 17، يقتبس يسوع جزءاً من إشعياء (61: 1)، فيقول: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ» (لوقا 4: 17 - 18). وفي مرقس اقتبس يسوع من القسم الأول من إشعياء 29: 13، قائلاً: «حَسَنًا تَنَبَّأَ إِشْعِيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمْ الْمُرَائِينَ! كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: هَذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِسَمْعَانِهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا» (مرقس 7: 6). وبالفعل، وضّح يوحنا، تلميذ يسوع، بشكل لا لبس فيه أنه يوجد إشعياء واحد من خلال الاقتباس من قسمي سفر إشعياء (الإصحاح 53 والإصحاح 6)، في نفس الفقرة، بإعلانه أن إشعياء الثاني هو نفسه، وليس ثانٍ: «إِشْعِيَاءُ قَالَ أَيْضًا» (يوحنا 12: 37 - 41).

بعض الملاحظات الختامية

أولئك الذين يرفضون الكتاب المقدس يحسنون إن سألوا أنفسهم: من الذي يعرف أكثر عن الكتاب المقدس، المسيح أم التّقاد؟ والمنطق البسيط يقول: إن كان يسوع هو ابن الله، وهو الأمر الذي تم البرهنة عليه (الفصلان 7 و8)، فالكتاب المقدس كلمة الله. وبالعكس، إن لم يكن الكتاب المقدس كلمة الله، فيسوع ليس ابن الله (لأنه يعني أن يسوع كان يعلم عقيدة مزيفة). ولكن يسوع هو ابن الله، وبهذا، فالكتاب المقدس كلمة الله. وأي تفكير عن محدودية معرفة الله أو موائمة تعاليمه، يعني أنه يمكن ليسوع أن يخطئ، وقد ظهر أن هذا يتعارض مع شخصيته، والحقيقة (انظر الفصل 10). وليست المسألة هي موائمة بل تأكيد إلهي عندما قال يسوع: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ» (متى 28: 18)؛ و«الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ. وَأَنَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَهَذَا أَقُولُهُ لِلْعَالَمِ» (يوحنا 8: 26)، و«السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ» (متى 24: 35).

<p>موجز الفصل: إذاً، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله ومزيف كل ما يعارض هذا الحق الكتابي</p> <ul style="list-style-type: none"> • الحقائق الأخلاقية في الأديان الأخرى • الحقائق اللاهوتية في الأديان الأخرى • ماذا لا يعني هذا 	<p>المسائل الاثني عشر</p> <ol style="list-style-type: none"> 1. الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة 2. لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين 3. الله الواحد موجود 4. المعجزات ممكنة 5. يمكن أن تأتي المعجزات لتأكيد رسالة من الله
<p>ملخص الفصل</p> <p>يمكننا الآن أن نصل إلى أن المسيحية (في تعاليمها الأساسية) صادقة، وأي شيء يعارض هذه التعاليم هو زائف. إن المسيحية ديانة صادقة، وأي ديانة أخرى تتعارض معها في تعاليمها الجوهرية هي ديانة زائفة، بغض النظر إن كانت تلك الديانة تحتوي على بعض الحقائق الأخرى الصحيحة. وخلاصة القول، ثمة أسباب متينة للاعتقاد أن المسيحية هي الديانة الحق وإن ما عداها باطل. وبهذا، من المنطقي قبول المرء للمسيح على أنه رباً ومخلصاً.</p>	<ol style="list-style-type: none"> 6. العهد الجديد نص موثوق 7. أعلن يسوع المسيح في العهد الجديد أنه الله 8. إعلان يسوع أنه الله تؤكد بمجموعة فريدة من المعجزات 9. وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد 10. كل ما أكده يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق 11. يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله 12. إذاً، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي

12. إذاً، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله

وزائف كل ما يعارض هذا الحق الكتابي

البناء من الأساس إلى القمة، والنقاط الاثنتي عشرة تظهر أن المسيحية هي على الشكل التالي:



وفي استعراض نقاطنا الاثنتي عشرة ظهر أن المسيحية هي حق:

- (1) الحقيقة حول الواقع قابلة للمعرفة.
- (2) لا يمكن أن يكون كلا النقيضين صادقين.
- (3) الله الواحد موجود.
- (4) المعجزات ممكنة.
- (5) يمكن أن تأتي المعجزات لتأكيد رسالة من الله.
- (6) العهد الجديد نص موثوق تاريخياً.
- (7) أعلن يسوع المسيح في العهد الجديد أنه الله.
- (8) إعلان يسوع أنه الله تؤكد بمجموعة فريدة من المعجزات.

- (9) وبهذا، فيسوع هو الله الظاهر بالجسد.
- (10) كل ما أكدّه يسوع (الذي هو الله) أنه الحق، فهو حق.
- (11) يسوع أكد أن الكتاب المقدس كلمة الله.
- (12) إذاً، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي

إن المسألة الثانية عشر هي الأخيرة، والفصل الختامي من الكتاب لأنها تحتوي على الخاتمة وتنتويج الكتاب. ولكن ماذا يعني أن نقول إن الكتاب المقدس كلمة الله، وأن ما عداه مزيف؟ فهل هذا يعني أنه لا يوجد حق خارج الكتاب المقدس؟ وحتى الكتاب المقدس يقول بأنه يوجد. فالكتاب يتحدث عن الوحي الخاص (متى 5: 17-18؛ يوحنا 10: 35) والوحي العام «المكتوب في القلوب» (رومية 2: 12-15)، و«السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْقَلْبُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ» (المزمور 19: 1). وقد قال بولس في رومية: «إِذْ مَعْرِفَةُ اللَّهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، لِأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمُنْظُورَةِ تُرَى مِنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، فَدُرَتْهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَالْأَهْوَتْ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلَا عُدْرِ» (رومية 1: 19-20). وبهذا، ثمة حقائق كثيرة يمكن أن نتعلمها من الوحي العام المتوفر للبشر خارج الكتاب المقدس. فجميع الحق هو حق الله، بغض النظر أين هو موجود - سواء في الكتاب المقدس أو الوحي العام.

بما أن البشر الذين يؤمنون بأديان أخرى، لديهم افتراضات متعارضة مع الكتاب المقدس، لكن ذلك لا يجعلهم جاهلين بـ «الوحي العام». وبهذا لا يجب أن يكون مدعاةً للدهشة أن بعض من حقائق الله موجودة في أديان أخرى. وبالفعل، يقتبس الكتاب حقائق موجودة في مصادر أخرى في مناسبات عدة (أعمال 17: 28؛ 1 كورنثوس 15: 33؛ تيطس 1: 12).

الحقائق الأخلاقية في الأديان الأخرى

يوجد حقائق أخلاقية في الأديان الأخرى؛ وهذا بسبب أن القانون الطبيعي «المكتوب في» قلوب جميع البشر. وقد أعطى سي. إس لويس دفاعاً قوياً في كتابه: «إلغاء الإنسان» الذي ختمه في نتيجة: «إن هذا الشيء الذي أُطلق عليه راحة في التاوية، والذي يمكن أن نسميه القانون الطبيعي... ليس من بين سلسلة المنظومة الأخلاقية الممكنة. بل هو المصدر الوحيد لجميع أحكام القيمة. فإن رُفض، فقد تم رفض جميع القيم... والجهد لدحضه وإقامة منظومة جديدة من القيم مكانه هو أمر يتسم بالتناقض مع ذاته».²⁰⁸ وبالفعل، فإن لويس يضع في كتابه ملحقاً ممتازاً، حيث يقتطف من ثقافات عظيمة غير مسيحية مبادئ عالمية للأخلاق التي تشابه لحد كبير ما جاء في الوصايا العشر. فمثلاً، كان لدى كونفوشيوس ما يسمى الوصية الذهبية السلبية، التي تقول: «لا تفعل للآخرين ما تريد لهم أن لا يفعلوه معك». وهذه الوصية تنادي ولا تتعارض مع ما قال به يسوع: «فَكُلُّ مَا

²⁰⁸ C. S. Lewis, *The Abolition of Man*, 56.

ثُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ أَفْعُلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ» (متى 7: 12). وثمة مبادئ أخلاقية كثيرة في أديان أخرى مثل تكريم الأبوين، وعدم الكذب، وعدم السرقة، وعدم القتل.

الحقائق اللاهوتية في الأديان الأخرى

وكذلك، ثمة بعض الحقائق اللاهوتية في الأديان الأخرى. وكما جاء في رسالة رومية: «لأنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمُنْتَظَرَةِ ثُرِيَ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمُصْنُوعَاتِ، فُذِرَتْهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَالْأَهْوَتْهُ» (رومية 1: 20). التشديد مُضَافٍ). وهذا دليل فعلي أنه حتى في الأديان الوثنية نجد مفهوم «الإله الأعلى» أو «إله السماء» الذي هو واحد.²⁰⁹ وبالفعل، فإن أحد النصوص التي لدينا من ألواح إيبلا من سوريا تتحدث عن الله الواحد الذي خلق العالم من العدم. إذ نقرأ: «يا رب السماء والأرض، الأرض لم تكن، وأنت خلقتها، ونور الصباح لم يكن [بعد] أنت صنعتة».²¹⁰ وباختصار، ليس بالإمكان نفي وجود حقائق في أديان أخرى، بغض النظر عن كم التعاليم الخاطئة الموجودة في هذه الأديان.

ماذا لا يعني هذا

تقول مسألتنا الثانية عشرة: «إذاً، الحق أن الكتاب المقدس كلمة الله، ومزيف وكل ما يعارض هذا الحق الكتابي». وهذا يعني، أن أي ما يخالف الحق الكتابي هو باطل. وكل ما يؤكد الكتاب المقدس على أنه حق، فهو حق. ولكن ليس جميع العلوم في الكتاب المقدس. بما أن، ما يعارض الحق هو زيف، ينتج من ذلك أن أي شيء خارج الكتاب المقدس يعلم ما هو متعارض مع تعليم الكتاب المقدس فهو بالضرورة مزيف.

الكلمة الختامية

لقد سرنا شوطاً طويلاً. والآن لننظر إلى نتيجة الأمر برمته. لقد رأينا أن الإعلانات الأساسية عن المسيحية هي حق. كما وجدنا في الفصول الحادي عشر التالي:

²⁰⁹ إن جون س. مبيتي في عمله البارز عن الأديان في عصر ما قبل القراءة والكتابة، والمعنون: «الأديان الأفريقية والفلسفة ومفهوم الإله في أفريقيا» أظهر أن الاعتقادات الأفريقية لديها خلفية توحيدية للإله الخالق الذي صنع العالم والخلقة. وهذا يظهر الوحي العام الذي أشار إليه الكتاب (رومية 1: 19 - 20؛ وسفر الأعمال 14 و17). ولأجل بحث أكاديمي انظر:

Winfried Corduan's *In the Beginning God*.

ولبحث عام للجمهور، انظر:

Don Richardson's *Eternity in their Hearts*.

²¹⁰ Giovanni Pettinato, *The Archives of Ebla*, 259.

• الله الواحد موجود
• معجزات الله ممكنة
• يسوع المسيح هو الله
• مات يسوع وقام من الموت
• الكتاب المقدس كلمة الله

إذاً، فلدى المسيحية الحقائق الأكثر أهمية مما لدى الأديان الأخرى، وهذا هو صلب تعاليم العقيدة المسيحية. وهذا يتضمن التعاليم الأخرى في الكتاب المقدس، الذي هو كلمة الله (المسألة 12)، والتي تشكل المسيحية الأساسية. ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن المسيحية (في تعاليمها الأساسية) هي حق، وباطل كل ما يعارضها من تعاليم. وباختصار، فالمسيحية هي ديانة حق، وأي ديانة أخرى متعارضة مع تعاليمها الرئيسية هي ديانة باطلة بحد ذاتها، بغض النظر عن الحقائق الأخرى التي تشتمل عليها.

باختصار، ثمة أسباب كثيرة للإيمان أن المسيحية هي حق، وأن الأديان التي على النقيض منها هي أديان لا تحتوي على الحق. وبهذا، من المنطقي قبول المسيح على أنه رباً ومخلصاً. لأن الدليل يظهر أن يسوع مات على الصليب لأجل خطايانا (1 كورنثوس 15: 1 - 6)، وأنه قام من بين الأموات ثانية. وكل ما عليك فعله هو «أَمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ» (أعمال 16: 31). فإن أمنت به، نشجعك أن تكلم الله حول إيمانك.

المسيحية ليست فقط مجموعة من العقائد، بل هي علاقة مع الله الحي!

ملحق: الحجة من الموجود

فيما يلي مخطط الحجة على وجود الله من الوجود:²¹¹

- (1) الكائن هو شيء موجود.
- (2) الكائن هو موجود. الشيء الذي يتطابق مع ذاته.
- (3) إن الكائن ليس عدم وجود.
- (4) إما وجود أو عدم وجود. فلا يمكن لشيء أن يكون موجوداً وغير موجود بنفس الوقت.
- (5) إن عدم الوجود لا يمكن أن يسبب موجوداً. فالعدم لا يمكن أن يسبب شيئاً.
- (6) الكائن الذي له سبب مشابه لسببه.
- (7) الكائن إما ضروري أو مشروط، ولكن لا يمكن أن يكون الأمرين معاً.
- (8) إن الكائن الضروري لا يمكن أن يسبب وجوداً ضرورياً آخر يخرج إلى الوجود.
- (9) لا يمكن للوجود المشروط أن يكون سبباً لوجود مشروط آخر.
- (10) الكائن الضروري هو وجود الحقيقة الصرف مع عدم وجود إمكانية.
- (11) إن وجود الواقع الصرف لا يمكن أن يسبب وجوداً آخر مع واقع صرف لكي يوجد.
- (12) إن الكائن الذي سببه وجود الواقع الصرف يجب أن يكون واقعاً وممكناً.
- (13) إن كل وجود سببه وجود الواقع الصرف يجب أن يكون مقارباً ومباعداً لسببه.
- (14) أنا كائن مشروط.
- (15) فقط الكائن الضروري يمكن أن يسبب كائناً مشروطاً للحياة.
- (16) وبالتالي، الكائن الضروري (لواقع الصرف) موجود، الذي كان سبباً لوجودي (ولكل كائن آخر مشروط ممكن).
- (17) إن الكائن الضروري لواقع الصرف (بدون إمكانية) له صفات ضرورية أكيدة:
 - أ. لا يمكن أن يتغير (ثابت)
 - ب. لا يمكن أن يكون مؤقتاً (= خالد)
 - ت. لا يمكن أن يكون مادياً (روحي)
 - ث. لا يمكن أن يكون محدوداً (مطلق)
 - ج. لا يمكن أن يكون منقسماً أو قابلاً للانقسام (بسيطاً)
 - ح. ليس له مسبب للوجود بما أنه الموجود الضروري
 - خ. يجب أن يكون الكائن الواحد فقط
 - د. معرفة الكائن بدون حدود (كلي العلم)

²¹¹ For a full commentary on this argument see Norman L. Geisler, *God: A Philosophical Argument* (Bastion Books, 2015).

ذ. الكائن كلي القوة (القادر على كل شيء)
ر. يجب أن يكون الكائن الأخلاقي الكامل بشكل مطلق
ز. يجب أن يكون كائناً فرداً

(18) بالتالي، فالكائن المطلق، لا سبب له، الفرد، الكامل أخلاقياً، كلي المعرفة، كلي القوة هو الذي سبب الكائنات المحدود للوجود وهذا المقصود به الله الواحد. وبالتالي الله الواحد موجود.

إن هذه النقاط الثمانية عشر يمكن أن تختصر بالمخطط التالي:

- 1) يوجد شيء ما (مثلاً، أنا موجود).
- 2) لا يمكن للعدم أن ينتج شيئاً.
- 3) بالتالي، شيء ما موجود بشكل أزلي بالضرورة.
أ. وهذا الكائن موجود بشكل أزلي لأنه لو كان عدماً كلياً، فسيكون دائماً عدماً كلياً لأن العدم لا يمكن أن ينتج شيئاً.
ب. إنه موجود بالضرورة لأنه لا يمكن لكل شيء أن يكون كائناً مشروطاً، ذلك أن جميع الكائنات المشروطة بحاجة إلى سبب لتوجد.
- 4) أنا لست كائناً ضرورياً وسرمدياً (بما أنني أتغير).
- 5) بالتالي، فإن الله (الكائن الضروري) وأنا (الكائن المشروط) موجودان (= التوحيد).

صلاة للإيمان

إن وجدت صعوبة في التعبير عما يجول في خاطرك لله، فها هي صلاة بسيطة يمكنك أن تأخذها نموذجاً:

الله الحبيب،

أنا أؤمن أنك خالق كل الأشياء. وأنا عارف أنك القدوس الكامل وأنت لا تقبل الخطيئة.

أيها الرب، أنا أعلم أنني إنسان خاطئ لم أصل إلى مقابيلك المقدسة وأني استحق تحمّل عواقب الخطيئة.

ولكن أشكر نعمتك في غفران خطاياي من خلال موت وقيامته ابنك، الرب يسوع المسيح لأجل خطاياي.

والآن أتوب إليك عن كل خطاياي وأقبل الإيمان بعطيتك المجانية في الخلاص بدون استحقاق الأعمال

الصالحة من جانبي.

أرجوك علمني وأرشدني من خلال كلمتك المقدسة، الكتاب المقدس، وقويني لأعيش حياة الأعمال

الصالحة يومياً لأجلك.

وساعدني أن أجد كنيسة صالحة أستطيع أن أنمو فيها بالشركة مع المؤمنين الآخرين.

أشكرك باسم يسوع. آمين!

Bibliography

- Albright, William F. *The Archaeology of Palestine*. Penguin, 1949.
- _____. *From Stone Age to Christianity*. Doubleday, Anchor, 1957.
- _____. "Recent Discoveries in Palestine and the Gospel of John" in W. D. Davies ed., in *The Background of the New Testament and Its Eschatology*. Cambridge University Press, 1954.
- _____. "Toward a More Conservative View," in *Christianity Today* (1/18/63).
- Augustine. *Confessions*. Image Book, 1960.
- Aquinas, Thomas. "Summa Theologica." *Encyclopedia Britannica*, 1955.
- Barrow, John. D. *The Anthropic Cosmological Principle*. Oxford University Press, 1986.
- Behe, Michael. *The Edge of Evolution*. The Free Press, 2007.
- _____. *Darwin's Black Box*. The Free Press, 1996.
- Blomberg, Craig. *The Historical Reliability of the Gospels*. InterVarsity, 1987.
- Bruce, F. F. *Jesus and Christian Origins Outside the New Testament*. Eerdmans, 1974.
- Budziszewski, Jay. "Objections, Obstacles, Acceptance," an interview by Ignatius Press, 2006.
- _____. *The Revenge of Conscience*. Spence Pub, 1999.
- _____. *What We Cannot Not Know*. Spence Pub, 2004.
- Bushnell, Horace. *The Character of Christ: Forbidding His Possible Classification with Men*. Scribner, 1884.
- Callahan, Tim. *The Secret Origins of the Bible*. Millennium Press, 2002.
- Camus, Albert. *The Rebel*. New York: Vintage Books, 1991.
- Carson, D. A. *An Introduction to the New Testament*. Zondervan, 1992.
- _____. *The Gospel According to John*. Eerdmans, 1991.
- Collins, Francis. *The Language of God*. Free Press, 2006.
- Corduan, Winfried. *In the Beginning God: A Fresh Look at the Case for Original Monotheism*. B&H Academic, 2013.
- Craig, William Lane. *Knowing the Truth about the Resurrection*. Servant, 1981.
- _____. *The Kalam Cosmological Argument*. Barnes & Nobel, 1979.
- Crick, Francis. *Life Itself: Its Origin and Nature*. Simon & Shuster, 1981.
- Dashti, Ali. *Twenty Three Years: A Study of the Prophetic Career of Muhammad*. George Allen & Unwin, 1985.
- Dembski, William. *The Design of Life*. The Foundation for Thought and Ethics, 2008.
- Descartes, René. *Meditations on the First Philosophy*. Cambridge, 1986.
- Encyclopedia of Religion and Ethics*. Edited by James Hastings. Charles Scribner's Sons, 1955.
- Ferguson, John. *Religions of the Roman Empire*. Cornell University Press, 1970.
- Feuerbach, Ludwig. *The Essence of Christianity*. Harper Torchbooks, 1957.
- Freud, Sigmund. *The Future of an Illusion*. Translated by W. D. Robson-Scott. New York: Liveright, 1955.
- Fromm, Eric. *Psychoanalysis and Religion*. Yale University Press, 1959.
- Flew, Antony. *There is a God: How the World's Most Notorious Atheist Changed His Mind*. Harper One, 2006.
- France, R. T. *The Evidence for Jesus*. InterVarsity, 1986.
- Geisler, Norman L. *A Popular Survey of the New Testament*. Baker Books, 2014.
- _____. *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics*, Baker Books, 1999.
- _____. *Christian Apologetics, rev. ed.* Baker Books, 2012.
- _____. *God: A Philosophical Argument*. Bastion Books, 2015.
- _____. *Systematic Theology: Introduction and Bible, Vol. I*, Baker Books, 2002.
- _____. *The Battle for the Resurrection*. Thomas Nelson, 1992.
- Geisler, Norman L. and Abdul Saleeb. *Answering Islam, Rev. Ed.* Baker Books, 2002.
- Geisler, Norman L. and Frank Turek. *I Don't Have Enough Faith to be an Atheist*. Crossway, 2004.

- Geisler, Norman L. and J. Yutaka Amano. *The Reincarnation Sensation*. Tyndale House, 1986.
- Geisler, Norman L. and Pat Zukeran. *The Apologetics of Jesus*. Baker Books, 2009.
- Geisler, Norman L. and Thomas Howe. *The Big Book of Bible Difficulties*. Baker Books, 2008.
- Geisler, Norman L. and William E. Nix. *From God to Us, Revised and Expanded*. Moody Press, 2012.
- _____. *A General Introduction to the Bible*, Revised Edition. Moody Press, 1986.
- Gievett, R. Douglas. Ed., *In Defense of Miracles: A Comprehensive Case for God's Action in History*. InterVarsity, 1997.
- Gill, Brock. *The Miracles of Jesus*. BBC Worldwide, 2006.
- Gonzalez, Guillermo. *The Privileged Planet*. Illustra Media, 2004.
- Gundry, Robert. *Soma in Biblical Theology*. Cambridge University Press, 1976.
- Grenier, Richard. *The Ghandi Nobody Knows*. Thomas Nelson, 1983.
- Habermas, Gary. "Resurrection Claims in Non-Christian Religions," *Religious Studies* 25 (1989).
- _____. *The Historical Jesus*. College Press, 1996.
- Haykal, Muhammad Husayn. *The Life of Muhammad*. North American Trust, Pub., 1976.
- Hemer, Colin. *The Book of Acts in the Setting of Hellenistic History*. Eisenbrauns, 1990.
- Hennecke, Edgar, ed. *New Testament Apocrypha, 2 vols.* Westminster, 1965.
- Hoehner, Harold. *Chronological Aspects of the Life of Christ*. Zondervan, 1978.
- Hoyle, Sir Fred. *Evolution from Space*. J. M. Dent & Sons, 1981.
- Heeren, Fred. *Show Me God: What the Message from Space Is Telling Us About God*. Search Light, 1995.
- Hume, David. *An Enquiry Concerning Human Understanding*. Liberal Arts Press, 1955.
- _____. *Letters*. Ed. by J. Y. T. Grieg. Clarendon, 1932.
- Ibn Isma`il Bukhari, Muhammad. *The Translation of the Meaning of Sahih Al-Bukhari*.
- Irenaeus, "Against Heresies" in *The Ante-Nicene Fathers*. Eerdmans, 1885.
- Jaki, Stanley. *Miracles and Physics*. Christendom Press, 2004.
- Jastrow, Robert. *God and the Astronomers*. Norton, 1978.
- _____. "A Scientist Caught between Two Faiths" in *Christianity Today*. August 6, 1983.
- Journal of the American Medical Association*. March 21, 1986.
- Kant, Immanuel. *The Critique of Pure Reason*. St. Martin's, 1965.
- Kee, Howard Clark. *Miracle in the Early Christian World*. Yale University Press, 1983.
- Kenyon, Frederick. *Our Bible and the Ancient Manuscripts*. Harper & Brothers, 1958.
- Lewis, C. S. *The Abolition of Man*. Macmillan, 1947.
- _____. *Mere Christianity*. Macmillan, 1943.
- _____. *Miracles*. Macmillan, 1947.
- Martin, Michael, ed. *The Impossibility of God*. Prometheus Books, 2003.
- Mbiti, John S. *African Religions and Philosophy*. Heinemann, 1990.
- _____. *Concepts of God in Africa*. Praeger, 1970.
- Meyer, Stephen. *Signature in the Cell*. HarperOne, 2009.
- Muller, Julius. *The Theory of Myths in its Application to Gospel History, Examined and Confuted*. Chapman, 1844.
- Nietzsche, Friedrich. *Antichrist*. In *The Portable Nietzsche*. Edited by Walter Kaufmann, Penguin Books, 1976.
- _____. *Thus Spoke Zarathustra*. In *The Portable Nietzsche*. Edited by Walter Kaufmann, Penguin Books, 1976.
- Payne, Barton. *Encyclopedia of Bible Prophecy*. Grand Rapids, MI: Baker, 1973.
- Pettinato, Giovanni. *The Archives of Ebla*. New York: Doubleday, 1981.
- Phlegon, *Chronicles*, cited by Origen, *Against Celsus*, Book II, Cha 14.
- Price, Robert, ed. *The Empty Tomb*. Prometheus, 2005.

- Ramsay, William. *St. Paul the Traveller and the Roman Citizen*. Putman's Sons, 1896
- Richardson, Don. *Eternity in their Hearts*. Regal, 1984.
- Robinson, John A. T. *An Introduction to the Textual Criticism of the New Testament*. Broadman, 1925.
- _____. *Redating the New Testament*. Westminster, 1996.
- Ross, Hugh. *The Creator and the Cosmos*. Nav Press, 1993.
- Russell, Bertrand. "Why I am not a Christian," in Robert E. Egner, ed. *The Basic Writings of Bertrand Russell*. Simon and Shuster, 1961.
- Sagan, Carl. *COSMOS*. Random House, 1980.
- _____. *Broca's Brain*. Random House, 1990.
- Sandage, Alan. "A Scientist Reflects on Religious Belief," *Truth*, Vol. 1. Dallas: Truth Incorporated, 1985.
- Sartre, Jean-Paul. *The Words: The Autobiography of Jean-Paul Sartre*. First Vintage Books, 1964.
- Sherwin-White. *Roman Society and Roman Law in the New Testament*. Clarendon, 1963.
- Strauss, David. *A New Life of Jesus*. Williams & Norgate, 1879.
- Tzu, Lao. *Tao Te Ching*. Interpreted by Archie J. Bahm, Jain Pub, 1996.
- VanderKam, James & Peter Flint. *The Meaning of the Dead Sea Scrolls*. Harper San Francisco, 2002.
- Watts, Alan. *The Book: On the Taboo Against Knowing Who You Are*. Pantheon Books, 1966.
- Wenham, John. *Christ and the Bible*. InterVarsity, 1972.
- Whately, Richard. "Historical Doubts Relative to the Existence of Napoleon Bonaparte" in *Famous Pamphlets*, H. Morley ed. Routledge, 1890.
- Yamauchi, Edwin. "The Word from Nag Hammadi" in *Christianity Today*. Jan. 1978.
- Yockey, Herbert P. "Self-Organization, Origin-of-life Scenarios and Information Theory," *Journal of Theoretical Biology*, Volume 91, 1981.

About the Author

Norman L. Geisler (<http://normangeisler.com>) was one of the most influential classical Christian apologists of the twentieth century. He was a philosopher (Ph.D. from Loyola University) in the tradition of Thomas Aquinas and Etienne Gilson, and a systematic theologian in evangelical Christian movement and in the tradition of Lewis Sperry Chafer and Charles Ryrie. He authored, co-authored, or edited over 100 books, was a professor at several evangelical universities and theological seminaries, and lectured at many churches and conferences in many countries. He was one of the founders of the International Council on Biblical Inerrancy and one of the framers of its Chicago Statements on biblical inerrancy, hermeneutic, and application. He was also the co-founder of Southern Evangelical Seminary (<http://ses.edu>), the co-founder of the International Society of Christian Apologetics (<http://isca-apologetics.org>), the co-founder of Veritas International University (<http://viu.ves.edu>), the co-founder of Bastion Books (<http://bastionbooks.com>), the founder of Defending Inerrancy (<http://defendinginerrancy.com>), and the co-founder of Norm Geisler International Ministries (<http://ngim.org>).

About NGIM

Norm Geisler International Ministries (<http://ngim.org>) preserves and extends the legacy of Norm Geisler by training Christians around the world in to defend the Christian faith (apologetics), win people to faith in the Lord Jesus Christ (evangelism), and teach others to follow Christ (discipleship).

